مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الجمهورية التونسية
كتابة الدولة للتربية القومية
الديوان التربوي

نصوص ادبية

السنة الاولى من التعليم الثانوي

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

1967

الجمهورية التونسية
كتابة الدولة للتربية القومية
الديوان التربوي

نصوص أدبية

السنة الأولى من التعليم الثانوي

نشر
الشركة التونسية للتوزيع

1967

مَكْتَبَةُ لِسَانِ العَرَب

أ. علاء الدين شوقى

رابط بديل
lisanerab.com

www.lisanarb.com

twitter مكتبة لسان العرب

facebook مكتبة لسان العرب

instagram مكتبة لسان العرب

المحـــــور الاول

الانسان وما اليه

١ - ميلاد طفل

لَمْ يَكَدِ الْفَجْرُ يَسْتَفِيضُ مِنْ وَرَاءِ الْأُفُقِ كَمَا يَسْتَفِيضُ الْأَمَلُ الْبَاسِمُ مِنْ وَرَاءِ الضُّلُوعِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ مِنْ إِغْفَاءَتِهِمْ وَنَفَضُوا عَنْهُمْ بَقَايَا أَحْلَامِهِمْ وَاسْتَقْبَلُوا نُورَ الْفَجْرِ السَّاحِرِ فَأَشْرَقَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَانْبَسَطَتْ لَهُ وُجُوهُهُمْ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا حَتَّى كَانُوا يَحُفُّونَ بِفَتَاةٍ تَئِنُّ أَنِينًا خَافِتًا لَا يَكَادُ يَتَجَاوَزُ نِطَاقَ صَدْرِهَا. وَقَدْ نَطَقَتْ حَرَكَتُهَا وَأَسَارِيرُ وَجْهِهَا بِمَا يَعْتَلِجُ فِي أَحْشَائِهَا مِنْ أَلَمٍ وَمَا تَبْذُلُهُ لِقَاءَهُ مِنْ جُهْدٍ فَكَانَتْ تَنْحَنِي إِلَى أَمَامِهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَلَمِ الْمُمِضِّ فَتَعْتَمِدُ عَلَى يَدَيْهَا ثُمَّ تَرْفَعُ كَفَّهَا

لِتُخْفِيَ دُمُوعًا تَتَرَقْرَقُ فِي عَيْنَيْهَا وَالسَّيِّدَتَانِ الْجَالِسَتَانِ إِلَى سَرِيرِهَا تُحَاوِلاَنِ التَّسْرِيَةَ عَنْهَا وَتَخْفِيفَ هَمِّهَا وَطَرْدَ الْأَشْبَاحِ الْمُفْزِعَةِ الَّتِي كَانَتْ تُسَاوِرُ خَيَالَهَا وَتُضَاعِفُ مِنْ آلاَمِهَا وَلَمْ يَمْنَعْهُمَا وَقَارُ السِّنِّ مِنْ أَنْ يَصْطَنِعَا فِي الْحَدِيثِ شَيْئًا مِنَ الْفُكَاهَةِ وَالْمَرَحِ يُبَدِّدُ وُجُومَ الْمَوْقِفِ وَيُبْعِدُ شَيَاطِينَ الْوَسَاوِسِ.

أَمَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِنَّ وَجْهَهُ لَيُعَبِّرُ عَنْ شَتَّى الْعَوَاطِفِ مِنَ الْأَلَمِ وَالْإِشْفَاقِ وَالرَّجَاءِ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ غَلَبَتْهُ عَوَاطِفُهُ فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَذَهَبَ إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى وَأَخَذَ يَدْعُو اللهَ وَيَضْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فِي عَوْنِ هَذِهِ الْمِسْكِينَةِ.

ثُمَّ مَضَى الرَّجُلُ إِلَى مُصَلاَّهُ يَلْتَمِسُ الرَّوْحَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فِي جِوَارِ رَبِّهِ مِنَ الْقَلَقِ الَّذِي جَعَلَ يَعْبَثُ بِقَلْبِهِ وَيَسْتَرْوِحُ نَفَحَاتِ الْمَلإِ الْأَعْلَى الَّتِي تَتَأَرَّجُ فِيهِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ فَإِذَا هُوَ يَتَلأْلأُ بِمَعَانِي الْفَرَحِ الطَّرُوبِ.

محمد طه الحاجري

(عن مجلة الرسالة)

2 - حمل النبيء

أَخَذَتْ آمِنَةُ تَنْتَظِرُ أَعْرَاضَ الْحَمْلِ وَلَكِنَّهَا انْتَظَرَتْ وَأَطَالَتْ الْإِنْتِظَارَ فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا وَلَمْ تَشْكُ أَلَمًا وَلَمْ تَضِقْ بِالْحَيَاةِ وَلَمْ تَرْغَبْ عَمَّا كَانَ يُتَاحُ لَهَا مِنْ لَذَّاتِهَا الْيَسِيرَةِ وَإِذَا فَمُمْتَازَةٌ هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ! يَأْلَمْنَ وَيَشْكُونَ وَيَضِقْنَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَيَزْهَدْنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ! وَهْيَ لَا تَأْلَمُ وَلَا تَشْكُو وَهْيَ لَا تَضِيقُ وَلَا تَزْهَدُ وَلَا تَجِدُ ثِقَلًا فَقَدْ كَانَتْ آمِنَةُ فِي حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ لَمْ تَعْرِفْ مِثْلَهَا مَا أَحَسَّتْ مِنْ رِضَى النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانِ الْقَلْبِ وَرَاحَةِ الضَّمِيرِ مِثْلَ مَا كَانَتْ تُحِسُّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَمَا ذَاقَتْ مِنْ عُذُوبَةِ النَّوْمِ وَلَا اسْتَمْتَعَتْ مِنْ جَمَالِ الْأَحْلَامِ مِثْلَ مَا كَانَتْ تَذُوقُ وَتَسْتَمْتِعُ بِهِ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي إِذْ كَانَتْ تَأْوِي إِلَى فِرَاشِهَا فَيَأْخُذُهَا نَوْمٌ هَادِيءٌ

رَفِيقٌ ثُمَّ تَتَمَثَّلُ لِعَيْنَيْهَا مَنَاظِرُ فِيهَا جَمَالٌ وَرَوْعَةٌ وَتُلْقَى فِي أُذُنَيْهَا أَصْوَاتٌ حُلْوَةٌ كَأَنَّهَا غِنَاءُ الْمَلاَئِكَةِ وَتَقْضِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي لَذَّةٍ غَرِيبَةٍ نَادِرَةٍ حَتَّى إِذَا انْجَلَى جَبِينُ الصُّبْحِ أَفَاقَتْ مَوْفُورَةَ الْقُوَّةِ شَدِيدَةَ النَّشَاطِ لاَ تَجِدُ كَسَلاً وَلاَ فُتُورًا. وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ تَسْتَعْذِبَ آمِنَةُ أَحْلاَمَ اللَّيْلِ فَتَوَدُّ لَوْ قَضَتْ وَقْتَهَا كُلَّهُ نَائِمَةً مُغْرِقَةً فِي هَذِهِ الْأَحْلاَمِ ثُمَّ تَوَدُّ لَوْ لَمْ يَزُرْهَا أَحَدٌ وَلَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَيْهَا أَحَدٌ لِتَسْتَحْضِرَ فِي الْيَقَظَةِ مَا كَانَتْ تَبْتَهِجُ بِهِ أَثْنَاءَ النَّوْمِ وَلَكِنَّهَا قُرَشِيَّةٌ تَعْرِفُ كَيْفَ تَمْلِكُ نَفْسَهَا وَتَضْبِطُ أَهْوَاءَهَا وَتَلْقَى النَّاسَ بِمِثْلِ مَا كَانَتْ تَلْقَاهُمْ بِهِ مِنَ الْبِشْرِ الْهَادِئِ الْبَرِيءِ مِنَ الْإِسْرَافِ فِي الْإِبْتِئَاسِ أَوِ الْإِبْتِهَاجِ.

طه حسين

3 - بشرى لامك ....

بُشْرَى لأُمِّكَ أُوتِيَتْ هِبَةَ السَّمَا ... أَنْتَ الْمَلاَكُ طَهَارَةً وَتَبَسُّمَا

ضَمَّتْكَ، وَهْيَ تَضُمُّ حَبَّةَ قَلْبِهَا ... وَشُعُورَهَا، وَحَنَانَهَا الْمُتَجَسِّمَا

وَحَنَتْ تُقَبِّلُ فِي جَبِينِكَ غُرَّةً ... مِثْلَ الصَّبَاحِ وَوَجْنَتَيْنِ وَمَبْسَمَا

هَيَّا ابْتَسِمْ يَاطِفْلُ، رُبَّتَ بَسْمَةٍ ... حَمَلَتْ لأُمِّكَ فِي شَذَاهَا مَغْنَمَا

مَا أَنْتَ إِلاَّ ذَلِكَ اللَّحْنُ الذِي ... عَنْ عَطْفِهَا الْفَيَّاضِ بَاتَ مُتَرْجِمَا

قَدْ كُنْتَ أُمْنِيَةً لَهَا فِي أَمْسِهَا ... وَالْيَوْمَ مَا أَشْهَى لِقَاكَ وَأَكْرَمَا

مَا بَيْنَ جَنْبَيْهَا نَزَلْتَ هِدَايَةً ... وَحَلَلْتَ فِي الْعَيْنَيْنِ نُوراً مُلْهِمَا

فِي الْمَهْدِ مَا أَحْلَى جَبِينَكَ نَائِمًا ... هَلْ هَكَذَا تَغْفُو الْمَلائِكُ فِي السَّمَا

يَا رُبَّ حُلْمٍ عَانَقَتْكَ طُيُوفُهُ ... مُتَرَاقِصَاتٍ حَوْلَ مَهْدِكَ حُوَّمَا

وَتَطَايَرَتْ بِكَ فِي فَضَاءٍ حَافِلٍ ... بِالنُّورِ، وَالصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ، وَالدُّمَى

بِالْوَرْدِ بِالرَّيْحَانِ بِالأَلْحَانِ بِالْـ ... ـبَسَمَاتِ فِضْنَ بَشَاشَةً وَتَرَحُّمَا

وَالأُمُّ تَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ كَأَنَّهَا ... مَلَكٌ يُصَفِّقُ بِالْجَنَاحِ مُسَلِّمَا

جلال الدين النقاش

4 - يـا أمـــــــي

يَا عِلَّةَ كِيَانِي، وَرَفِيقَةَ أَحْزَانِي. يَا رَجَائِي فِي شِدَّتِي، وَعَزَائِي فِي شَقْوَتِي. يَا لَذَّتِي فِي حَيَاتِي، وَرَاحَتِي فِي مَمَاتِي. يَا حَافِظَةَ عَهْدِي، وَمُطَيِّبَةَ سُهْدِي، وَهَادِيَةَ رُشْدِي. يَاضَاحِكَةً فَوْقَ مَهْدِي، وَبَاكِيَةً فَوْقَ لَحْدِي. أُمِّي مَا أَحْلاَكِ يَا أُمِّي !

إِذَا تَرَكَنِي أَهْلِي فَأَنْتِ لاَ تَتْرُكِينَنِي، وَإِنْ ابْتَعَدَ عَنِّي أَحْبَابِي فَأَنْتِ لاَ تَبْتَعِدِينَ، وَإِنْ نَقَمَتْ عَلَيَّ الْحَيَاةُ فَأَنْتِ تَصْفَحِينَ وَتَرْحَمِينَ. أَنْتِ يَامُسْكِنَةَ وَجَعِي وَأَلَمِي، وَمُبِيدَةَ بُؤْسِي وَهَمِّي. أَنْتِ وَمَا أَصْفَاكِ يَا أُمِّي ! قَدْ غِبْتِ عَنْكِ يَا أُمِّي فَغَابَ عَنْ عَيْنَيَّ وَجْهُكِ الْبَاسِمُ بِمَلاَمِحِهِ الرَّقِيقَةِ الرَّزِينَةِ، وَمَعَانِيهِ الدَّقِيقَةِ الحَنُونَةِ، وَتَرَاكَمَتْ عَلَى رَأْسِي هُمُومُ الْحَيَاةِ بِضجيجِهَا الْهَائِل فَضَعْضَعَتْ فِكْرِي وَزَلْزَلَتْ قَلْبِي، وَتَقَاذَفَتْنِي أَمْوَاجُ الْمَتَاعِبِ وَالشَّقَاءِ فَغُرْتُ فِي لُجَجٍ طَامِيَةٍ وَظُلُمَاتٍ دَاجِيَةٍ. وَبِعَيْنَيْنِ غَشَّى عَلَيْهِمَا الرُّعْبُ

نَظَرْتُ مِنْ أَعْمَاقِ قُنُوطِي فَرَأَيْتُ وَجْهَكِ اللَّطِيفَ الثَّابِتَ يَبْتَسِمُ إِلَيَّ مِنَ الْأَقَاصِي الْبَعِيدَةِ فَبَكَيْتُ وَبَكَيْتُ وَصَرَخْتُ يَا أُمِّي ! فِي الْمَسَاءِ عِنْدَمَا أَنْطَرِحُ عَلَى فِرَاشِي الْخَشِنِ الْقَاسِي أَذْكُرُ يَدَيْكِ اللَّطِيفَتَيْنِ النَّاعِمَتَيْنِ وَفِي اللَّيْلِ حِينَمَا تَمْتَزِجُ أَفْكَارِي بِأَبْخِرَةِ الْأَحْلَامِ أَشْعُرُ بِقَدَمَيْكِ الصَّغِيرَتَيْنِ تَنْقُرَانِ الْأَرْضَ حَوْلَ سَرِيرِي، وَفِي الصَّبَاحِ أَفْتَحُ عَيْنَيَّ لِأَرَاكِ فَلَا أَرَى غَيْرَ جُدْرَانِ غُرْفَتِي السَّوْدَاءِ، وَلِأَسْمَعَكِ فَلَا أَسْمَعُ غَيْرَ أَصْوَاتِ الْغُرَبَاءِ، وَفِي النَّهَارِ أَمْشِي مُتَلَفِّتًا بَيْنَ النِّسَاءِ مُفَتِّشًا مُتَسَائِلًا أَيَّتُهَا النِّسَاءُ هَلْ رَأَيْتُنَّ أُمِّي ؟.... إِذَا مِتُّ يَا أُمِّي، إِذَا قَتَلَنِي وَجْدِي وَدُفِنَتْ آمَالِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْقَاسِيَةِ الْغَرِيبَةِ، فَاجْلِسِي عِنْدَ الْغُرُوبِ قُرْبَ غَابَةِ السِّنْدِيَانِ، وَأَصْغِي، هُنَاكَ رُوحِي امْتَزَجَتْ بِنُسَيْمَاتِ الْغَابَةِ وَأَشْجَارِهَا يُرَتِّلْنَ بِهُدُوءٍ مُتَمَايِلَاتٍ مُرَدِّدَاتٍ يَا أُمِّي يَا أُمِّي يَا أُمِّي !

أمين مشرق

5 ـ انا وابنتي

ابْنَتِي الْكُبْرَى وَقَدْ أَرْسَلْتُهَا ... تَتَلَقَّى مَايُفِيدُ النَّاشِئَاتْ
عُذْتُهَا بِاللهِ مِنْ حُسَّادِهَا ... وَمِنَ الْأَعْدَا وَشَرِّ النَّازِعَاتْ
جَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْ أُسْتَاذِهَا ... تَكْتُبُ الدَّرْسَ وَتُصْغِي لِلْعِظَاتْ
صَوْتُهَا ـ وَهْيَ تُنَاجِي لَوْحَهَا ـ ... صَوْتُ عُصْفُورٍ يُنَاغِي الْكَائِنَاتْ
فَهْيَ فِي الْبَيْتِ هَزَارٌ مُنْشِدٌ ... وَهْيَ فِي الْمَكْتَبِ إِحْدَى الزَّهَرَاتْ
قُلْتُ : « يَارَبِّ، وَإِنْ لَمْ تُعْطِنِي ... وَلَدًا يَخْلُفُنِي بَعْدَ الْمَمَاتْ
بَارِكِ اللَّهُمَّ لِي فِي زَهْرَتِي ... وَأَجِرْهَا مِنْ عُيُونِ الْحَاسِدَاتْ »
أَقْبَلَتْ نَحْوِي نَهَارًا بَعْدَمَا ... خَرَجَتْ مِنْ دَرْسِهَا مِثْلَ الْقَطَاةْ
وَأَرَتْنِي أَحْرُفًا بَيْضَاءَ قَدْ ... سَطَّرَتْهَا بِاعْتِنَاءٍ وَأَنَاةْ
وَإِذَا بِنْتِي بِهَا مُعْجَبَةٌ ... مِثْلَ إِعْجَابِي بِهَا بَيْنَ الْبَنَاتْ
قُلْتُ : « يَابِنْتِي اسْمَعِي وَاتَّعِظِي ... وَاطْلُبِي الْعِلْمَ، فَبِالْعِلْمِ الْحَيَاةْ
وَانْشَئِي مِثْلَ أَبِيكِ، بُلْبُلاً ... فِي رِيَاضِ الشِّعْرِ عَذْبَ النَّبَرَاتْ
وَامْلَئِي بَيْتَكِ حُبًّا وَتُقًى ... لاَ تُصِيخِي لِحَدِيثِ الْجَاهِلاَتْ

محمد الفائز القيروانى

6 - اغنيـــة الطفلـــة

لَيلَى أَلاَ احْمَرَّ الشَّفَقْ ... نَامِي فَلاَ عَاشَ الأَرَقْ
هَذِي أَنَامِلُك الصِّغَارُ ... تَحْتُثُّ عَيْنَكِ فِي نَزَقْ
وَحفِيفُ أَجْنِحَةِ الصَّبَا ... بَيْنَ الرَّوَائِحِ والْحَبَقْ
يَعلُو وَيَخْفُتُ شَادِيًا ... لَكِ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الغَسَقْ
غَابَ الضِيَاءُ عَلَى الرُّبى ... وَغَدًا يَعُودُ فَيَنْبَثِقْ
وَالرَّوضُ أَظْلَمَ نَوْرُهُ ... فَكَأَنَّ نَاظِرَهُ احْتَرَقْ
يَرْثِي لِحُرقَتِهِ النَّدَى ... فَوْقَ الأَزَاهِرِ يَأْتَلِقْ
ونَوَى الْقَطِيعُ فَلاَ ثُغَاءَ ... عَلَى الْخَمَائِلِ يَنطَلِقْ
فَاسْتَنْزِلِي الْحُلْمَ اللَّذِيذَ ... فَرُبَّ حلْمٍ قَدْ صَدَقْ
لَيْلَى وَمَا لَيْلَى سِوَى ... زَهْرٍ شَمِيمٍ بَلْ أَرَقْ
إِمَّا أَفَقْتِ فَأَنْتِ شُغْلِي ... أَوْ رَقَدْتِ فَفِي الْحَدَقْ
أَتُرَى عِنَاقَكِ يَا مَلاَكُ ... يُعِيدُ لِلْمُضْنَى الرَّمَقْ
إِنِّي عَصَرْتُكِ كَالسُّلاَفَةُ ... وَانْتَشَيْتُ مِنَ الْعَبَقْ
وَلَوْ أَنَّ صَلْدَ الصَّخْرِ قَدْ ... سَمِعَ النِّدَا « مَا مَا » لَرَقْ
وَعَلاَ الْخَزَامُ أَدِيمَهُ ... يُذْكِي بِرَبَّاهُ الأُفُقْ !

مارى عجمي

7 - عبث الطفولة

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذْبَةٍ فِي عَدْوَةِ الْوَادِي النَّضِيرْ...
أَيَّامَ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ حَلاَوَةُ الرَّوْضِ الْمَطِيرْ...
أَيَّامَ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى مَرَحِ السُّرُورْ...
وَتَتَبُّعِ النَّحْلِ الْأَنِيقِ وَقَطْفِ تِيجَانِ الزُّهُورْ
وَتَسَلُّقِ الْجَبَلِ الْمُكَلَّلِ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصُّخُورْ
وَبِنَاءِ أَكْوَاخِ الطُّفُولَةِ تَحْتَ أَعْشَاشِ الطُّيُورْ
مَسْقُوفَةً بِالْوَرْدِ وَالْأَعْشَابِ وَالْوَرَقِ الْغَضِيرْ
نَبْنِي فَتَهْدِمُهَا الرِّيَاحُ فَلاَ نَضِجُّ وَلاَ نَثُورْ..
وَنُخَاطِبُ الْأَصْدَاءَ وَهْيَ تَرِفُّ فِي الْوَادِي الْمُنِيرْ...
وَنَظَلُّ نَرْكُضُ خَلْفَ أَسْرَابِ الْفَرَاشِ الْمُسْتَطِيرْ...
وَنَسِيرُ نُنْشِدُ لَهْوَنَا الْمَعْبُودَ فِي كُلِّ الْأُمُورْ

فَنَظَلُّ نَعْبَثُ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْوُجُودِ وَبِالْحَقِيـــر
بِالسَّائِلِ الْأَعْمَى وَبِالْمَعْتُوهِ وَالشَّيْـــخ الكَبِيـــرْ
بِالْقِطَّةِ الْبَيْضَاءِ بِالشَّاةِ الْوَدِيعَـةِ بِـالْحَمِيـرْ
بِالْعُشْبِ بِالْفَنَـــنِ الْمُنَوَّرِ بِالسَّنَابِـــلِ بِـالسَّفِيـــرْ
بِالرَّمْلِ بِالصَّخْرِ الْمُحَطَّمِ بِالْجَدَاوِلِ بِـــالْغَدِيـرْ
وَاللَّهْوُ وَالْعَبَثُ الْبَـــرِيءُ الْحُلْوُ مَطْمَحُنَـــا الْأَخِيـرْ
وَنَظَـلُّ نَقْفِزُ أَوْنُغَنِّي أَوْ نُثَرْثِـــرُ أَوْ نَـدُورْ
لَا نَسْأَمُ اللَّهْوَ الْجَمِيلَ وَلَيْسَ يُدْرِكُنَا الفُتُورْ..
وَكَـأَنَّنَـــا نَمْشِي بِأَقْـــدَامٍ مُجَنَّحَةٍ تَـــطِيـــرْ

أبو القاسم الشابي

8 ـ العاب الصبيان

كُنْتُ صَغيرًا لَمْ أَدْخُلْ في حُدُود الشَّبَاب وَكَانَ الْوَقْتُ ضَيِّقًا وَأَكْثَرُ مَا أَقْضِي النَّهَارَ أَمَامَ الْبَيْت أَلاَعِبُ الصِّبْيَةَ مِنْ لِدَاتِي فَمَرَّةً نُكَوِّنُ قِطَارًا بُخَارِيًّا مُؤَلَّفًا مِنْ بِضْعِ عَشَرَةَ قَاطِرَة لَيْسَ بَيْنَهَا مَرْكَبَةٌ وَاحِدَةٌ تَنْفُخُ جَمِيعًا. وَأُخْرَى نُكَوِّنُ خَيْلاً تَصْهَلُ وَتَتَوَثَّبُ وَتَضْرِبُ الأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا وَتُزْعِجُ الْمَارَّةَ وَتَصْطَدِمُ بِهِمْ، وَطَوْرًا نَتَقَاذَفُ بِالْكُرَة وَنُحَطِّمُ بِهَا زُجَاجَ النَّوَافِذ فَيَثُورُ بِنَا السُّكَّانُ وَيَجْلِدُونَنَا عَنِ الْحَارَة، وَتَارَةً نَقْسِمُ أَنْفُسَنَا فَرِيقَيْنِ: عِصَابَةً مِنَ اللُّصُوص وَضُبَّاطًا. وَأَحْيَانًا نُعَصِّبُ لِوَاحِد مِنَّا عَيْنَيْه وَنَتَوَارَى عَنْهُ وَيَنْطَلِقُ هُوَ وَرَاءَنَا بَاحِثًا فَمَنْ لَقِيَ مِنَّا عَصَّبْنَا لَهُ عَيْنَيْه بَدَلاً مِنْهُ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ هَذِهِ الأَلْعَابِ إِنْ كَانَ لَهَا آخِرٌ يُعْرَفُ.

وَكُنْتُ أَنَا بِفَضْلِ اللهِ أَحْمَقَهُمْ جَمِيعًا وَأَشْرَسَهُمْ خُلُقًا وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى شِجَار. وَكُنْتُ إِذَا ضَرَبَنِي أَحَدٌ لاَ أُبَالِي أَيْنَ وَقَعَتْ يَدَي وَلاَ أَتَّقِي أَنْ أُصِيبَ عَيْنَيْه أَوْ أَنْفَهُ أَوْ أَسْنَانَهُ ـ وَقَدْ أَتَنَاوَلُ الْحَفْنَةَ مِنَ التُّرَابِ وَأُعَفِّرُ بِهَا وَجْهَهُ وَأُرْدُّهُ كَالأَعْمَى ثُمَّ أَنْهَالُ عَلَيْه لَطْمًا وَلَكْمًا وَرَكْلاً ـ فَقَدْ كُنْتُ وَاسِعَ الْحِيلَة كَمَا تَرَى فَعَوَّضَنِي ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِي وَصَارَتْ لِي بِفَضْلِهِ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الصِّبْيَان.

ابراهيم عبد القادر المازني

9 - شد الحبل

كُنَّا فِي أَيَّامِ التِّلْمَذَةِ نُحِبُّ أَنْ نَشْهَدَ مُبَارَاةً رِيَاضِيَّةً اسْمُهَا شَدُّ الْحَبْلِ) وَهِيَ لاَ تُعْتَبَرُ الآنَ مِنْ فُنُونِ الرِّيَاضَةِ لأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ غَيَّرَ مَلَكُلِّ وَقْتٍ أَزْيَاؤُهُ الْخَاصَّةُ بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَهْمَا قِيلَ فِي هَذِهِ الْمُبَارَاةِ مِنْ حَيْثُ صَلاَحُهَا لأَنْ تُعَدَّ نَوْعًا مِنَ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا بِغَيْرِ شَكٍّ - دَرْسٌ مُفِيدٌ جِدًّا لِلصِّغَارِ وَتَنْطَوِي عَلَى مَعْنًى عَمِيقٍ وَيَتَمَثَّلُ فِيهَا سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ.

كَانَ الْفَرِيقَانِ يُخْتَارَانِ اخْتِيَارًا دَقِيقًا وَكَانَ أَنْصَارُ كُلٍّ مِنْهُمَا يَقِفُونَ حَوْلَهُ وَيَهْتِفُونَ لَهُ وَيَصِيحُونَ لَهُ صِيَاحًا عَالِيًا لِكَيْ يُثَبِّتُوا أَقْدَامَهُ بِتَشْجِيعِهِمْ وَلَكِنَّ الْمُبَارَاةَ كَانَتْ لاَ تُقِيمُ وَزْنًا لِلصِّيَاحِ بَلْ تَنْتَهِي بِفَوْزِ الْفَرِيقِ الأَقْوَى الْمُتَضَامِنِ الَّذِي يَشُدُّ أَفْرَادُهُ مَعًا وَيُثَبِّتُونَ أَقْدَامَهُمْ وَيَصْبِرُونَ عَلَى بَذْلِ الْجُهْدِ وَيُطِيلُونَ أَنْفَاسَهُمْ حَتَّى لاَ يُصِيبَهُمُ التَّعَبُ وَالإِعْيَاءُ سَرِيعًا.

وَهَكَذَا الْحَيَاةُ دَائِمًا فَإِنَّ النَّاسَ فِيهَا يَعِيشُونَ دَائِمًا عَلَى مَبْدَإِ (شَدِّ الْحَبْلِ) فَإِنَّ الْمُكَابَرَةَ لاَ تُغْنِي فِيهَا شَيْئًا وَالَّذِي يَفُوزُ فِيهَا هُوَ الرَّجُلُ أَوِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تُحْسِنُ الشَّدَّ وَتَتَضَامَنُ فِيهِ وَتَصْبِرُ عَلَى بَذْلِ الْمَجْهُودِ.

محمد فريد أبو حديد

10 - التنكـــر

قُلْتُ مَرَّةً لنَفْسِي : لِمَاذَا لاَ أَخْرُجُ للنَّاسِ مُتَنَكِّرًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْوُلاَةُ وَالسَّلاَطِينُ وَالْخُلَفَاءُ ؟ فَاشْتَرَيْتُ لِحْيَةً كَثَّةً طَوِيلَةً تَبْلُغُ شِبْرًا وَبَعْضَ شِبْرٍ وَشَارِبَيْنِ وَحَاجِبَيْنِ وَمَسْحُوقًا أَبْيَضَ أَنْفُضُهُ عَلَى شَعَرِ رَأْسِي وَشَرَعْتُ أُجَرِّبُ وَكُنْتُ أُوصِدُ الْبَابَ عَلَيَّ وَأَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فَلَمَّا وَثِقْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ التَّنَكُّرَ وَأَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ وَأَقْعُدَ وَأَمْشِيَ وَأُحَرِّكَ رَأْسِي وَأَلْمِسَ لِحْيَتِي وَأَفْتَحَ فَمِي وَأَرْفَعَ حَاجِبَيَّ عَلَى هَيْئَةِ الْمُسْتَغْرِبِ وَأَضْحَكَ وَآكُلَ وَأَشْرَبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْقُطَ اللِّحْيَةُ أَوْ يَنْحَرِفَ أَحَدُ الحَاجِبَيْنِ أَوْ يَتَدَلَّى شَارِبٌ عَلَى حِينِ يَبْقَى الآخَرُ مَفْتُولاً خَرَجْتُ عَلَى أَهْلِي وَعَلَى وَجْهِي هَاتِهِ الأَشْيَاءُ وَفِي يَدِي عَصًا غَلِيظَةٌ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَقَدْ تَقَوَّسَتْ قَنَاتِي مِنَ الْهَرَمِ فَلَمْ تَكَدْ تَقَعُ عَلَيَّ الْعُيُونُ فِي مَدْخَلِ الْبَابِ حَتَّى صَرَخَتْ أُمِّي وَجَدَّتِي وَأَسْرَعَتَا فَسَتَرَتَا وَجْهَيْهِمَا عَنْ هَذَا الشَّيْخِ الْغَرِيبِ.

أَمَّا أَخِي الصَّغِيرُ فَقَدْ وَثَبَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَاحَ فِيَّ يَسْأَلُنِي مَنْ أَنَا وَيَأْمُرُنِي بِالْخُرُوجِ وَيَنْعَتُنِي بِقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَسُوءِ الأَدَبِ وَيُهَدِّدُنِي بِالشُّرْطَةِ وَأَنَا أَقُولُ لَهُ بِصَوْتٍ يَرْتَعِشُ مِنَ الْكِبَرِ : حِلْمَكَ يَابُنَيَّ وَلَكِنَّهُ لاَيَعْبَأُ بِشَيْخُوخَتِي وَيَدْفَعُنِي عَنِ الْبَابِ فَأَكَادُ أَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ...

ابراهيم عبد القادر المازني

11 - كرة القدم

قَصَدُوا الرِّيَاضَةَ لاَعِبِينَ وَبَيْنَهُمْ ... كَرَةٌ تُراضُ بِلَعْبِهَا الْأَجسَامُ
وَقَفُوا لَهَا مُتَشَمِّرِينَ فَأُلْقِيَتْ ... فَتَعَاوَرَتْهَا مِنْهُمُ الْأَقْدَامُ
يَتَرَاكَضُونَ وَرَاءَهَا فِي سَاحَةٍ ... لِلسُّوقِ مُعْتَرَكٌ بِهَا وَصِدَامُ
رَفْسًا بِأَرْجُلِهِمْ تُسَاقُ وَضَرْبُهَا ... بِالْكَفِّ عِنْدَ اللَّاعِبِينَ حَرَامُ
وَلَقَدْ تُحلِّقُ فِي الْهَوَاءِ وَإِنْ دَوَتْ ... شَرَعُوا الرُّؤُوسَ فَنَاطَحَتْهَا الْهَامُ
وَتَخَالُهَا حِيناً قَذِيفَةَ مِدْفَعٍ ... فَتَمُرُّ صَائِتَةً لَهَا إِرْزَامُ
وَلَرُبَّمَا سَقَطَتْ فَقَامَ حِيَالَهَا ... لِلضَّرْبِ عَبْلُ السَّاعِدَيْنِ هُمَامِ
فَتَخَالُهَا وَتَخَالُهُ كَفَرِيسَةٍ ... سَقَطَتْ فَزَمْجَرَ حَوْلَهَا الضِّرْغَامُ
لاَ تَسْتَقِرُّ بِحَالَةٍ فَكَأَنَّهَا ... أَمَلٌ بِهِ تَتَقَاذَفُ الْأَوْهَامُ
تَنْحُو الشِّمَالَ بِضَرْبَةٍ فَيَرُدُّهَا ... نَحْوَ الْجَنُوبِ مُلاَعِبٌ لَطَّامُ
رَاضُوا بِهَا الْأَبْدَانَ بَعْدَ طِلاَبِهِمْ ... عِلْمًا تُرَاضُ بِدَرْسِهِ الْأَفْهَامُ

الرصافي

12 - هديـة العيـد

لَمْ يَبْقَ لِلْعِيدِ إلاَّ يوْمَانِ هَكَذَا حَدَّثَ عَلِيٌّ الصَّغِيرُ نَفْسَهُ حِينَ خَرَجَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ حَامِلاً عَلَى كَتِفِهِ صُنْدوقَهُ الْخَشَبِيَّ لصَّغِيرَ الَّذِي بِهِ أَدَوَاتُ مَسْحِ الْأَحْذِيةِ وَعَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ فِي انْتِظَارِ عَمِيل.

كَانَ الصَّبِيُّ فِي تَمَامِ الثَّانِيَة عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِ وَمُنْذُ عَام مَضَى وَهْوَ يَمْتَهِنُ هَذِهِ الْحِرْفَةَ التِي تَدُرُّ عَلَيْهِ مَبْلَغًا يَسِيـرًا يَدْفَعُ عَنْهُ غَائِلَةَ الْجُوعِ . فَهوَ يَرْبَحُ مِنْ ثَلاَثِينَ إِلَى أَرْبَعِينَ قِرْشًا فِي الْيَوْمِ أَمَّا الْيَوْمَ فَيَجِبُ أَنْ يَرْبَحَ أَكْثَرَ قَلِيلاً لأَنَّـهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ سَيَحِلُّ الْعِيدُ وَمَتَى حَلَّ الْعِيدُ وَجَبَ عَلَى الصَّبِيِّ أَنْ يَحْمِلَ إِلَى أُمِّه الْمَرِيضَةِ هَدِيَةً يُفَرِّجُ بِهَا عَنْهَا وَيُنَفِّسُ بَعْضَ مَا بِهَا وَهْوَ يُفَكِّرُ

كَثِيرًا فِي أُمِّهِ الْمِسْكِينَةِ وَيَوَدُّ مُخْلِصًا لَوْ قَدَّمَ إِلَيْهَا شَيْئًا حَتَى وَلَوِاضْطُرَّ إِلَى عَدَمِ شِرَاءِ ثَوْبٍ جَدِيدٍ يَلْبَسُهُ وَهَلْ يَلْبَسُ مَاسِحُ الْأَحْذِيَةِ جَدِيدًا فِي الْعِيدِ ؟

بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْدَحَ وَيَكِدَّ لِكَيْ يَحْصُلَ عَلَى الْقُوتِ وَحَرَامٌ عَلَيْهِ رُكُوبُ الْأَرَاجِيحِ وَرُؤْيَةُ الْأَلْعَابِ وَدُخُولُ الْمَسَارِحِ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ أَدَوَاتِ اللَّهْوِ الْبَرِيءِ وَالتَّسْلِيَةِ الْمُبَاحَةِ .

وَالصِّغَارُ يَذْهَبُونَ إِلَى ذَوِي قُرْبَاهُمْ فَيُقَبِّلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَبِذَلِكَ يَحْصُلُونَ عَلَى مِنْدِيلٍ حَرِيرِيٍّ أَمَّا هُوَ فَلَيْسَ لَهُ قَرِيبٌ طَيِّبٌ !

نَعَمْ لَقَدْ بَقِيَ لِلْعِيدِ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَبِلاَ شَكٍّ سَيَزْدَادُ عَدَدُ الْمَاسِحِينَ لِأَحْذِيَتِهِمْ وَبِذَلِكَ سَيَرْتَفِعُ رِبْحُهُ وَبِذَلِكَ يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يَبْتَاعَ لِأُمِّهِ الْمِسْكِينَةِ الْمَرِيضَةِ هَدِيَةً طَيِّبَةً

ابراهيم احمد ادهم

13 - الطفل الشريد

وَجْهٌ كَمَا شَاتِ الْآلَامِ مُنْكَمِشٌ ... عَلَيْهِ مِنْ حُزْنِهِ سُحْبٌ تُبَرْقِعُهُ
لَمْ يَعْدُ مِنْ عُمْرِهِ عَشْرًا .فَيَا عَجَبًا ... كَأَنَّمَا أَرْضَعَتْهُ الْبُؤْسَ مُرْضِعُهُ
تَرَعْرَعَتْ مَعَهُ الْأَحْزَانُ ثُمَّ غَزَتْ ... فُؤَادَهُ بِمَوَاضِيهَا تُقَطِّعُهُ
حِضْنُ الْأُمُومَةِ لَمْ يَنْعَمْ بِضَمَّتِهِ ... يَوْمًا وَلَا كَانَ لِلْأَهْلِينَ مَفْزَعُهُ
إِنْ نَامَ لَمْ تَأْتِهِ أُمٌّ تُهَدْهِدُهُ ... أَوْ خَافَ لَمْ يَأْتِهِ خِلٌّ يُشَجِّعُهُ
أَوْ أَرْسَلَ الْأَنَّةَ الْحَيْرَى مُجَرَّحَةً ... أَوْدَى كَحَشْرَجَةِ الْمَوْتَى تَوَجُّعُهُ
يَأْوِي فَلَا يَجِدُ الْمَأْوَى وَيَطْلُبُ مَا ... يَقْتَاتُهُ . . .فَإِذَا الْأَبْوَابُ تَمْنَعُهُ
مُشَرَّدٌ . كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَنْكُرُهُ ... قَدْ غَارَ مَأْمَلُهُ فِيهِ وَمَطْمَعُهُ
كَمْ فِي شَوَارِعِنَا مِنْ شَارِدٍ شَرَدَتْ ... آمَالُهُ وَحَوَى الْأَشْوَاكَ مَهْيَعُهُ
يَجُرُّ رِجْلَيْهِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ وَهَنٍ ... عَلَى النُّفَيَاتِ بَيْنَ الْبَهْمِ مَرْتَعُهُ
فَرِيسَةً لِهَوَى الْإِجْرَامِ سَائِغَةً ... صَوْتُ الرَّذِيلَةِ لِلْآثَامِ يَدْفَعُهُ

إنْ جَاءَ ذَنْبًا فَلَمْ يُذْنِبْ بِمُفْرَدِهِ ... فَالشَّعْبُ شَارَكَهُ فِي الذَّنْبِ أَجْمَعُهُ

النَّشْءُ ذُخْرٌ فَمَا لِلشَّعْبِ ضَيَّعَهُ ... حُمْقًا؟ لَقَدْ فَقَأَتْ عَيْنَيْهِ إِصْبَعُهُ

مُدُّوا لِشُرَّدِكُمْ يَاقَوْمُ رَاحَتَكُمْ ... وَعَلِّمُوا الضِّفْلَ مَا يُجْدِي وَيَنْفَعُهُ

وَكَفْكِفُوا دَمْعَهُ يَهْدَأْ تَرَوُّعُهُ ! ... وَضَمِّدُوا جُرْحَهُ يَذْهَبْ تَوَجُّعُهُ !

رَبُّوهُ لِلْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ يَحْرُسُهُ ! ... فَالدَّوْحُ تَحْمِيهِ فِي الْإِعْصَارِ أَفْرُعُهُ

أحمد اللغماني

من مجلة الندوة (العدد الثالث السنة الاولى)

14 - وحيد في أسرته

نَشَأْتُ فِي بَيْتٍ لَمْ أَكُنْ أَجِدُ فِيهِ مَنْ يُكَلِّمُنِي لاَ لِقِلَّةٍ فِي أَهْلِهِ وَلاَ لِبُكْمٍ يَعْتَقِدُ أَلْسِنَتَهُمْ بَلْ لِأَنَّ مَشَاغِلَهُمْ كَانَتْ تَصْرِفُهُمْ عَنِّي.

فَهَذِهِ جَدَّتِي لِأَبِي كَانَتْ لاَ تُفَارِقُ السَّجَّادَةَ وَفِي يَدِهَا السُّبْحَةُ الَّتِي لاَأَذْكُرُ أَنَّ الْخَيْطَ الَّذِي يَنْظِمُ حَبَّاتِهَا انْقَطَعَ وَشَفَتَاهَا لاَتَكُفَّانِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّمْتَمَةِ بِمَا لاَ أَعْرِفُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَالصَّلَوَاتِ عَلَى النَّبِيءِ. وَمَا أَكْثَرَ وَأَطْوَلَ مَا كُنْتُ أَقْعُدُ أَمَامَهَا مُحَدِّقًا فِي هَاتَيْنِ الشَّفَتَيْنِ الدَّائِبَتَيْنِ دُؤُوبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَتْ رُبَّمَا الْتَفَتَتْ إِلَيَّ فَتَبْتَسِمُ وَتُدْنِينِي مِنْهَا وَتَمْسَحُ لِي رَأْسِي ثُمَّ تَبْسُطُ يَدَيْهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى اللهِ بِصَوْتٍ يَبْرِيهِ الضَّعْفُ وَتَبُحُّهُ الْحَسْرَةُ وَيُهَدِّجُهُ الْأَلَمُ وَالْأَسَفُ لِمَا صِرْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي. ثُمَّ تُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِي وَتَمِيلُ عَلَى وَجْهِي الصَّغِيرِ بِفَمِهَا الْأَدْرَدِ وَتُقَبِّلُنِي.

وَتِلْكَ أُمِّي لاَ تَزَالُ مَصْرُوفَةً عَنَّا بِشُؤُونِ الْمَنْزِلِ مِنْ طَبْخٍ وَغَسْلٍ وَكَنْسٍ وَنَفْضٍ وَمِنْ حَمَامٍ تَسْقِيهِ وَتُطْعِمُهُ وَدَجَاجَاتٍ لاَ تَنْفَكُّ تَجُسُّ حَوْصَلاَتِهَا أَوْتَصْبَعُهَا لِتَرَى فِيهَا أَمْ لَيْسَ فِيهَا بَيْضٌ أَوْ تُنَتِّفُ رِيشَهَا..... وَلاَ آخِرَ لِعَمَلِ السَّيِّدَةِ فِي الْبَيْتِ.

وَكَانَتْ عَمَّةُ أَبِي مَعَنَا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَجُوزًا نَاهَزَتِ الْمِائَةَ وَكَانَتْ تَجْلِسُ وَرِجْلاَهَا مَمْدُودَتَانِ أَمَامَهَا وَرَأْسُهَا مُسْتَنِدٌ إِلَى وِسَادَةٍ وَلِسَانُهَا لاَيَمَلُّ الدَّوَرَانَ ـ وَكَانَ كَلاَمُهَا هَذَيَانًا ـ فَكُنْتُ أَضْحَكُ مِنْهَا أَحْيَانًا ثُمَّ أَمَلُّ ذَلِكَ فَأَتْرُكُهَا إِلَى هَذَرِهَا الَّذِي لاَ يَنْقَطِعُ وَأَنْصَرِفُ..

ابراهيم عبد القادر المازني

15 - في دار الغربة

جِذْعَانِ قَامَا هَهُنَا فِي مَسْرَبِي
جِذْعَانِ .بَلْ رُوحَانِ مِنْ بَلَدِي هُنَا
رُوحَانِ فِي هَذَا الْعَرَاءِ تَغَرَّبَا
أَلْقَاهُمَا عِنْدَ الضُّحَى فَأَخَالُنِي
أَلْهُو مَعَ الْأَتْرَابِ تَحْتَ بَوَاسِقٍ
وَالْجَدْوَلُ الْمُنْسَابُ يَهْزَجُ تَحْتَهَا
نَتَسَلَّقُ النَّخْلَ الْبَدِيعَ تَسَابُقًا
وَنَظَلُّ بِالْبَلَحِ الْمُجَمَّعِ نَرْتَمِي
وَلَكَمْ رَجَعْتُ لِجَدَّتِي مِنْ مَرَّةٍ
فَيَضُمُّنِي حِضْنٌ أَنِسْتُ بِدِفْئِهِ
أَلْقَاكُمَا -يَاصَاحِبِيَّ- فَأَلْتَقِي
فَأَرَى الْأَحِبَّةَ فِي مَلَاعِبِ حَيِّنَا
أَلْقَاكُمَا - يَاصَاحِبَيَّ - بِمُهْجَةٍ
نَحْنُ الثَّلَاثَةَ هَهُنَا فِي غُرْبَةٍ
نَزَحَتْ بِنَا الْأَقْدَارُ عَنْ جَنَّاتِنَا

قَذَفَتْهُمَا الْوَاحَاتُ مُغْتَرِبَانِ
فِي هَذِهِ الْأَصْقَاعِ مُعْتَنِقَانِ
وَبِهَذِهِ الْأَهْوَالِ يَشْتَجِرَانِ
فِي وَاحَةِ « الزَّارَاتِ » ابْنَ ثَمَانِ
مَدَّتْ إِلَى كَبِدِ السَّمَا بِعِنَانِ
مُتَرَنِّحًا كَتَرَنُّحِ النَّشْوَانِ
وَنَعِيثُ فِي عُرْجُونِهِ الْمُزْدَانِ
حَرْبٌ نُؤَجِّجُهَا بِلَا أَضْغَانِ
دَامِي الشِّفَاهِ مُوَرَّمَ الْأَجْفَانِ
وَأُحِسُّ خَفْقَةَ قَلْبِهِ الْمُتَفَانِي
بِالذِّكْرَيَاتِ مُنِيرَةً أَدْجَانِي
وَالْأَهْلَ مِنْ نَسَبٍ وَمِنْ جِيرَانِ
مَيَّالَةً لَكُمَا، وَقَلْبٍ حَانِ
قَذَفَتْ بِنَا الْوَاحَاتُ لِلنِّسْيَانِ
مَهْدِ النَّخِيلِ وَمَسْرَحِ الْغِزْلَانِ

أحمد اللغماني
(عن مجلة الندوة)

16 - وداع

.... عِنْدَمَا هَمَمْتُ بِاخْتِرَاقِ الْبَابِ بَعْدَ أَنْ وَدَّعْتُ أَهْلَ الْمَنْزِلِ اسْتَوْقَفَتْنِي جَدَّتِي الْبَاكِيَةُ وَقَذَفَتْ فِي وَجْهِي بِبَعْضِ الْمِلْحِ أَلاَ رَحِمَهَا اللهُ ! لَقَدْ أَرَادَتْ بِذَلِكَ أَنْ تَضْمَنَ رُؤْيَتِي مَرَّةً أُخْرَى . وَلَكِنَّ الْمَوْتَ خَيَّبَ آمَالَهَا وَسَارَتِ الْقَافِلَةُ فِي الظَّلاَمِ حَوْلَ غُلاَمٍ عَلَى عَتَبَةِ الشَّبَابِ لِتُوَدِّعَهُ عِنْدَ مَحَطَّةِ الْقِطَارِ هَذِهِ الْمُعَتَّمَةِ الْمَعْزُولَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ .

.... وَكَانَتْ مِئَاتُ الْخَوَاطِرِ تَصْطَرِعُ فِي نَفْسِهِ وَكَانَ الْمُسْتَقْبَلُ يَتَرَاقَصُ أَمَامَ مُخَيَّلَتِهِ بِصُوَرٍ شَتَّى تَتَبَايَنُ تَمَامَ التَّبَايُنِ عَنِ الصُّوَرِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْهَا الأَيَّامُ بَعْدَ ذَلِكَ . كُلُّ هَذَا وَعَيْنَاهُ لاَتَكَادَانِ تُبَارِحَانِ وَجْهَ وَالِدِهِ الْقَلِقِ الْحَزِينِ الَّذِي كَانَ يَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ يَبْتَلِعُهُ الْبِعَادُ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ عَلَى وَجْهِ التَّدْقِيقِ الْمَصِيرَ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ .

.... وَفَجْأَةً تَرَدَّدَ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ صَفِيرٌ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ دُخَّانٌ أَبْيَضُ فِي سَحْمَةِ اللَّيْلِ تَتَخَلَّلُهُ شَرَارَاتٌ حَمْرَاءُ، فَتَرَدَّدَ فِي قَلْبِي صَفِيرٌ مِثْلَ صَفِيرِهِ وَتَطَايَرَتْ شَرَارَاتٌ مِثْلَ الشَّرَارَاتِ فَقَدْ تَبَيَّنْتُ فِي الظَّلاَمِ الْحَالِكِ شَبَحَ الْقَاطِرَةِ وَهِيَ تَزْفُرُ لِتَكْبَحَ مِنْ جِمَاحِهَا حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ الْمَحَطَّةِ، لَنْ أَنْسَى مَا حَيِيتُ الدَّمْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَرَقْرَقَتَا فِي عَيْنَيْ وَالِدِي وَهُوَ يُعَانِقُنِي الْعِنَاقَ الْأَخِيرَ فَلَقَدْ تَحَوَّلَتَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى جَوْهَرَتَيْنِ أُرَصِّعُ بِهِمَا ذِكْرَيَاتِي وَمَا كِدْتُ أَصْعَدُ أَنَا وَرَفِيقِي الْغُرْفَةَ حَتَّى عَادَتِ الْقَاطِرَةُ تَسْتَجْمِعُ أَنْفَاسَهَا وَتُسْمِعُ هَدِيرَهَا. ثُمَّ تَزَحْزَحَتْ ثُمَّ سَارَتْ ثُمَّ انْطَلَقَتْ فِي الظَّلاَمِ مُوَلْوِلَةً صَارِخَةً لاَ تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ.

عن عبد الحميد بن جلون

(رسالة المغرب بتصرف)

في انتظـار آمين

جلست على حشيتها امام الموقد تنكت النار بالملقط، مصوبة الى الجمرات الملتمعة بين يديها نظرات عميقـة. ثم تناولت الصنارتين وقميصا من الصوف الابيض كانت قد بدأت نسجه ووضعت كرة الخيطان في حضنها واستأنفت العمل.... واحست بالحنان يغمر قلبها لما نظرت الى هذا القميص ؛ ولدها ما يزال يذكرها، ما يزال يحبها بالرغم من زواجه وابتعاده عنها، الم يرسل اليها منذ يومين هذه الخيطان هدية كما يقول في عيد الميلاد ؟ يقول ايضا في رسالته : "جاء دوري اليوم يا أمي في تقديم الهدايا اليك" بعد ان كانت تقدمها اليه وهو صغير ويعتذر من تفاهة ما أهدى، ولكنه يرى الصوف ذا منفعة في رد البرد في تلك القرية العالية، عليها أن تسرع في النسيج وليتها تجيده مثل اختها ! ان يديها لم تتعودا الا صنع الاشياء الكبيرة الضخمة.

وأدغشت الدنيا فنهضت الام وأشعلت القنديل والقت نظرة على الطعام، كانت قد ذبحت، اكراما لزيارة أمين : ديك دجاجاتها. فلتبق الدجاجات بلا ديك، الليلة ليلة عيد، وأمين لا يأتي الى القرية كل يوم ؛ ان امينا لم يزرها منذ سنة يكتب اليها مرة كل شهرين وكل اربعة اشهر احيانا ويقول ان صحته جيدة. ولكن امه تعرفه وتعرف انه عصبي المزاج وانه كثير التدخين قليل الأكل مثل ابيه وهي تريد ان يأكل ويسمن...

تقدم الليل، يجب ان تكون الساعة متجاوزة السابعة ؛ وأمين وزوجته لم يصلا بعد ؛ كانت الام ترهف اذنيها لكل حركة في الحارج ويقفز قلبها بين أضلاعها وتقوم الى النافذة صوب الطريق تمسح بكفيها رشح المطر عليها وتنتظر.

ترى لماذا تأخر؟ بيروت لا تبعد أكثر من ساعة في السيارة التي تنهب الارض نهبا، والتي ركبتها الام اربع مرات في حياتها الى بيروت ومنها فما علمت هل اجتازت المسافة حقيقة او ان طيرا من حكايات الجن حملها على جناحيه ؛ هل انقلبت بهما السيارة : هذه الالة الجهنمية، فحصل له حادث لا سمح الله ! او تكون امرأته حملته على قضاء ليلة العيد في المدينة بين صواحبها ؟ تكون قد قالت له: "القرية ! الجبل ! هل تريد ان نضيع ليلتنا هذه اكراما لامك ؟" هل اصغى اليها واقتنع منها ولم يرحم امـه ؟

لا. لا. انه يؤكد في رسالته التي قرأتها لها بنت جارتها ثلاث مرات ؛ يؤكد انه سيجيء وانه مشتاق اليها وكانت الرسالة في صدرها ؛ فتناولتها وفتحتها وطفقت تجيل فيها نظراتها – وقد امسكتها مقلوبة – فتقف عيناها على السطور والكلمات والحروف وقفات معذبة بلهاء. وبعد ان لبثت الرسالة في كفها دقائق طوتها وخبأتها في مكانها وكأنها ذاقت تأكيده على جهلها القراءة، فانفجرت اسارير وجهها وعاد الى نفسها اطمئنان الانتظار.

غير ان الوقت طال فدب فيها اليأس من جديد. هذا شأن اولاد هذا الزمان ! هذا شأن المتزوجين في هذا العصر المتمدن : عبيد لنسائهم.

كانت الام تفكر في هذه الامور وهي متوجهة الى غرفتها لتنام ثم قعدت في فراشها وما كادت تلقي رأسها حتى سمعت هدير سيارة على الطريق حبست انفاسها ؛ فاذا الباب يدق دقات متوالية قوية. هذه دقته انها تعرف دقته. هكذا كان ابوه يأتي من قبله...

توفيق يوسف عواد

(قميص الصوف)

17 - حنين الى الوطن

جَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَأَرَّقَا ... سَنَى الْبَارِقِ الْغَرْبِيِّ وَهْنًا تَأَلَّقَا

أَقْصَتْكَ عَنْ رَبْعِ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ ... وَأَدْنَاكَ شَوْقٌ فِي الضَّمِيمِ تَدَفَّقَا

ضِجُّ بِكَ الذِّكْرَى فَتَهْفُو الى الحِمَى ... وَتُمْسِي بِآهَاتِ الصَّبَابَةِ مُرْهَقَا

كَمْ تَهْمِسُ الأطياف حولك في الدُّجى ... تُبَادِلُكَ الْوَجْدَ الشَّجِيَّ الْمُعَتَّقَا

نُنَاشِدُكَ الْعَهْدَ الذِي أَبْرَمَتْ لَهُ ... يَدُ الدَّهْرِ فِي الْأَحْشَاءِ حَبْلاً مُوثَقَا

وَلِلْحُرِّ مِنْ طَبْعِ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ ... لَهَا فِي سَمَاءِ الْعِزِّ وَالنُّبْلِ مُرْتَقَى

جَوَانِحُ ثَرَّتْ بِالْحَنِينِ وَأَضْلُعٌ ... غَدَتْ لِبَنَاتِ الشَّوْقِ مَثْوًى وَمُلْتَقَى

فَيَا بَلَدِي مَارَاقَ فِي الْعَيْنِ مَنْزِلٌ ... سِوَاكَ وَإِنْ أَسْدَى النَّعِيمَ وَأَغْدَقَا

وَيَا بَهْجَةَ الْأَنْظَارِ تُونِسَ كَمْ أَرَى ... بِمَنْآيِ عَنْ مَغْنَاكِ شِلْوًا مُمَزَّقَا

أَلاَ إِنَّمَا الْخَضْرَاءُ مَهْدُ حَضَارَةٍ ... تَسَامَتْ عَنِ الْأَنْدَادِ حُسْنًا وَرَوْنَقَا

تُنَازِعُ بَغْدَدَ الْعَتِيقَةَ مَجْدَهَا ... وَتَرْبُو عَلَى أَمْجَادِ مِصْرَ وَجِلِّقَا

ثَوَى فِي ثَرَاهَا كُلُّ فَخْرٍ مُؤَثَّلٍ ... وَيَمَّمَهَا النَّصْرُ الْفَتِيُّ مُحَلِّقَا

الصادق مَازِيغ

18 - يوم الجلاء

مَاذَا فِي الْمدِينَةِ ؟ فَفِي كُلِّ مَيْدَانٍ فِيهَا عُرْسٌ وَفِي كُلِّ حَيٍّ مَرَحٌ وَفِي كُلِّ شَارِعٍ مَهْرَجَانٌ مَا هَذِهِ الْوُفُودُ ؟ الطُّرُقَاتُ كُلُّهَا مُتْرَعَاتٌ بِالنَّاسِ مَا فِيهَا مَوْطِئُ قَدَمٍ حَيْثُمَا سِرْتَ تَرَ قِبَابًا مِنَ الزَّهْرِ وَسَتَائِرَ مِنَ الْحَرِيرِ. وَعَلَى الْمَدِينَةِ سَمَاءٌ مِنْ صِغَارِ الْأَعْلاَمِ وَمَصَابِيحِ الْكَهْرَبَاءِ قَدِ انْتَظَمَتْهَا حِبَالٌ فَدَارَتْ بِهَا ثُمَّ انْعَقَدَتْ عَلَى أَشْكَالِ الْعُقُودِ وَالتِّيجَانِ فَكَانَتْ مَنْظَرًا عَجَبًا إِذَا رَأَيْتَهَا فِي اللَّيْلِ حَسِبْتَ السَّمَاءَ قَدْ رَكِبَتْ فِيهَا.

فَسَطَعَتْ كَوَاكِبُهَا وَلأَلأَتْ نُجُومُهَا وَإِذَا أَبْصَرْتَهَا فِي النَّهَارِ ظَنَنْتَ الرَّبِيعَ قَدْ عَادَ مَرَّةً ثَانِيَةً فَكَأَنَّ كُلَّ شَارِعٍ رَوْضَةٌ فَتَّانَةٌ كُلَّ بِنَاءٍ عَرِيشَةُ وَرْدٍ وَفُلٍّ وَيَاسَمِينٍ. وَأَغْلَى الطَّنَافِسِ مَبْسُوطَاتٌ عَلَى الْجُدْرَانِ، وَأَحْلَى الصُّورِ مُعَلَّقَاتٌ عَلَى الطَّنَافِسِ وَالسُّيُوفُ الْمُذَهَّبَةُ وَالتُّحَفُ الْغَالِيَةُ.. مَا يَضِنُّ النَّاسُ بِقِيمٍ وَلاَ يَبْخَلُونَ بِثَمِينٍ..

أَيُّ يَوْمٍ هَذَا مِنْ أَيَّامِ الْمَدِينَةِ ؟ أَلاَ إِنَّهُ يَوْمُ الْفَرْحَةِ الْكُبْرَى إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي كَانَ يَتَمَنَّى كُلُّ مواطِنٍ أَنْ يَرَاهُ وَلاَ يُبَالِي إِذَا رَآهُ أَنْ يَمُوتَ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهَا الْغَايَةُ الَّتِي سِرْنَا إِلَيْهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ... نَطَأُ الْحَرْبَ وَنَخُوضُ اللَّهَبَ ... وَنَسْبَحُ فِي الدَّمِ وَنَتَخَطَّى الْجُثَثَ وَنَنْشَقُ الْبَارُودَ .

إِنَّهَا الْأُمْنِيَّةُ الكُبْرَى الَّتِي كُنَّا نَتَمَنَّاهَا . إِنَّهُ يَوْمُ الْجَلاَءِ

علي الطنطاوي

(بتصرف)

19 - فـــــــجر اوراس

خَابَ الطُّغَاةُ فَلَنْ نَكُونَ عَبِيدَا ... لنْ نَرْتَضِي لِلظَّالِمِينَ سُجُودَا
تَأْبَى شَمَائِلُنَا الرُّضُوخَ عَلَى الْأَذَى ... وَتَعَافُ أَنْ تَرْضَى الْحَيَاةَ قُيُودَا
ولَنَا الْجِبَاهُ السُّمْرُ تَنْضَحُ عِزَّةً ... شَمَّاءَ تَحْتَقِرُ الْهَوَانَ وُجُودَا
وَلِيَّ الظَّلاَمُ وَلاَحَ مِنْ أُورَاسِنَا ... فَجْرٌ أَطَلَّ عَلَى الْوُجُودِ جَدِيدَا
وَلِّي الظَّلاَمُ فَيَا خَفَافِيشَ الدُّجَى ... غِيبِي فَلَنْ نَبْقَى الزَّمَانَ رُقُودَا
هَذِي الْعُيُونُ تَفَتَّحَتْ أَجْفَانُهَا ... غَضْبَى تُهَدْهِدُ ثَوْرَةً وَوَعِيدَا
فَحَذَارِ مِنْ غَضَبِ الْحَلِيمِ وَسُخْطِه ... فَسَتُصْبِحُونَ لِثَوْرَتِيْهِ وَقُودَا
وَحَذَارِ مِنْ صَبْرِ النَّبِيلِ فَإِنَّهُ ... إِنْ ثَارَ ثَارَ صَوَاعِقًا وَرُعُودَا
طَوْقُ الْحَدِيدِ لِخَانِعٍ مُتَخَاذِلٍ ... يَلْقَى النَّوَائِبَ خَائِرًا رِعْدِيدَا
وَالسَّيْفُ عُدَّةُ ثَائِرٍ مُتَمَرِّدٍ ... يَرِدُ الْخُطُوبَ عَلَى الْعِدَى صِنْدِيدَا
الْقَرْيَةُ الْفَيْحَاءُ مَرْتَحُ أَمْسِهِ ... مَهْدُ الطُّفُولَةِ حَيْثُ دَبَّ وَلِيدَا

أَمْسَتْ يَبَابًا مُقْفِرًا لاَضحْكَـةٌ ... تَعْلُو وَلاَشَـدْوٌ يَرِنُّ سَعِيـدَا

الْيَوْمَ يُنْعَقُ فِي دُجَى أَطْلاَلِهَـا ... مُذْ صَيَّرَتْهَا الطَّائِرَاتُ لُحُودَا

لَمْ يَرْحَمُوا فِيهَا تَضَرُّعَ حَامِـلٍ ... فَقَضَى الْبَرِيءُ بِبَطْنِهَـا مَوْءُودَا

فَتَسَابَقَ الثُّوَّارُ كُـلُّ كَتِيبَةٍ ... نَذَرَتْ لِيَوْمِ الْمَكْرُمَاتِ كُبُودَا

مَا بِالْجَزَائِرِ يَا (فَرَنْسَا) وَاحَةٌ ... مَا أَذْبَلَتْ فِيهَا خُطَاكِ وُرُودَا

وَلَّى زَمَانُكِ فَالْجُفُونُ تَفَتَّحَتْ ... وَالْحُرُّ حَطَّمَ قَيْـدَهُ الْمَشْدُودَا

وَالسَّيْفُ أُشْهِرَ لِلنِّضَالِ فَلَنْ تَرَ ... ى سَيْفَ التَّحَرُّرِ هَامِدًا مَغْمُودَا

قَدَرٌ عَلَيْكِ مُحَتَّمٌ أَنْ تُهْزَمِـي ... فَبِكُلِّ مَعْمَعَةٍ خَفَضْـتِ بُنُودَا

وَغَدًا عَلَى أُورَاسِ شَعْبِي يَحْتَفِي ... بِالنَّصْرِ جَذْلاَنَ الْمُنَى غِـرِّيدَا

عبد السلام الجزائري

20 - قريتي وبيتي

هَا أَنَا أَمَامَ قَرْيَتِي وَأَمَامَ بَيْتِي فِيهَا. أَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي كُنْتُ أَمْشِي عَلَيْهَا وَأَنَا صَغِيرٌ فَتَطْلُعُ الذِّكْرَيَاتُ مِنْ كُلِّ حَجَرٍ فِيهَا وَمِنْ كُلِّ نَبْتَةٍ عَلَى جَوَانِبِهَا وَمِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ فِي تُرَابِهَا. وَأَقِفُ مَذْهُولاً سَاعَاتٍ أَلْمِسُ الْحَجَرَ وَأَنْحَنِي عَلَى النَّبَتَةِ وَأَحْتَضِنُ التُّرَابَ بِكَفِّي. فَأَعِيشُ مَرَّةً ثَانِيَةً عِيشَتِي الْأُولَى عِيشَةَ الطُّفُولَةِ، وَأَكَادُ أَرْكُضُ عَلَى الطَّرِيقِ ضَاحِكًا مُسَابِقًا رِفَاقِي، وَأَكَادُ أَقَعُ عَلَى الْحَصَى جَارِحًا رُكْبَتِي.. وَأَكَادُ أَبْكِي مِنْ أَلَمِ الْوَقْعَةِ !

وَأَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ. فِي الْبَيْتِ لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ هَذِهِ أُمِّي بِابْتِسَامَتِهَا الدَّائِمَةِ تَنْظُرُ إِلَيَّ طَوِيلاً. تَتَأَمَّلُنِي وَتَبْكِي لِطُولِ الْغِيَابِ وَلِقَسْوَةِ قَلْبِي عَلَيْهَا. لِمَاذَا لاَ أَزُورُهَا كُلَّ شَهْرٍ، كُلَّ أُسْبُوعٍ كُلَّ يَوْمٍ ؟ هَذَا أَبِي وَهَؤُلاَءِ إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي هَذِهِ مَكْتَبَتِي

الصَّغِيرَةُ هَا إِنَّنِي أَمُدُّ يَدِي وَأُقَلِّبُ مَا فِيهَا : ـ كُتُبٌ وَدَفَاتِرُ قَدِيمَةٌ مُصْفَرَّةٌ أَيُّ لَذَّةٍ فِي تَصَفُّحِهَا ! كُلُّ كِتَابٍ عَلَيْهِ اسْمِي مَكْتُوبًا بِخَطِّي الْمُعْوَجِّ الْكَبِيرِ مَعَ السَّنَةِ الَّتِي اشْتَرَيْتُهُ فِيهَا وَهَذَا وَالِدِي يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيُقَبِّلُنِي فَأُحِسُّ بِشَارِبَيْهِ الْأَشْقَرَيْنِ يُدَاعِبَانِ وَجْهِي، وَأُحِسُّ وَأَنَا فِي حُضْنِهِ كَأَنِّي عُصْفُورٌ يَلْجَأُ إِلَى وَكْرِهِ الدَّافِئِ فِي لَيْلَةٍ مُمْطِرَةٍ .

بَيْتِي فِي الْقَرْيَةِ . هَذَا هُوَ بَيْتِي وَهَذِهِ هِيَ قَرْيَتِي إِنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي سَكَنْتُهَا فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِي، إِنَّ نَفْسِي لَيْسَتْ مُلْتَصِقَةً بِجِدَارٍ فِيهَا وَلَا بِوِعَاءٍ وَلَا بِصُورَةٍ . إِنَّ نَفْسِي مَا تَزَالُ هُنَا وَأُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ هُنَا، وَتَرْقُدَ عِظَامِي بَيْنَ عِظَامِ أَهْلِي فِي مَقْبَرَةِ الْقَرْيَةِ يَا لَسَعَادَةِ الْمَوْتِ فِي قَرْيَتِـي !

توفيق يوسف عواد

21 - هند في غرفة نومها

قَبَّلَتْ هندُ أُمَّهَا وَصَعِدَتْ مَعَهَا إِلَى الطَّابِقِ الْعُلْوِيِّ وَأَمَرَتِ الْخَدَمَ فَأَعَدُّوا لَهَا الْفِرَاشَ ثُمَّ جَاءَتْهَا الْمَاشِطَةُ بِثِيَابِ النَّوْمِ فَنَزَعَتْ حُلِيَهَا وَأَلْبَسَتْهَا جِلْبَابًا وَاسِعًا مِنَ الْحَرِيرِ النَّاعِمِ الشَّفَّافِ ثُمَّ حَلَّتْ خِصَلَ شَعَرِهَا وَجَرَّدَتْ مَا فِي ضَفَائِرِهَا وَمَا عَلَى صَدْرِهَا وَمَا فِي أُذُنَيْهَا وَمِعْصَمَيْهَا وَقَدَمَيْهَا مِنَ الْحُلِيِّ.

وَكَانَ سَرِيرُهَا مِنْ خَشَبِ الْأَرْزِ مِنْ أَجْمَلِ مَا صَنَعَ الصَّانِعُونَ وَعَلَيْهِ الْوَسَائِدُ الْحَرِيرِيَّةُ الْمُلَوَّنَةُ، غِطَاؤُهَا مِنْ أَبْدَعِ أَنْوَاعِ النَّسْجِ وَكَانَ فِي الْغُرْفَةِ مِشْمَعَةٌ فِيهَا بِضْعُ عَشْرَةَ شَمْعَةً تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْعَنْبَرِ فَقَدْ كَانَ مِنْ ضُرُوبِ الْبَذَخِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَمْزُجُوا الشَّمْعَ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَطْيَابِ فَإِذَا أُنِيرَ تَصَاعَدَتْ عِنْدَ إِحْرَاقِهِ رَائِحَةُ الطِّيبِ.

وَكَانَ فِي جُدْرَانِ الْغُرْفَةِ صُوَرٌ جَمِيلَةٌ أَكْثَرُهَا مِنْ رُسُومِ الْقَدِّيسِينَ كُلُّهَا مُتْقَنَةُ التَّصْوِيرِ مُلَوَّنَةٌ بِأَلْوَانٍ طَبِيعِيَّةٍ وَفِي بَعْضِ جُدْرَانِ الْغُرْفَةِ مِرْآةٌ هِيَ صَفِيحَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ مَصْقُولَةٌ صَقْلاً جَعَلَهَا كَالزُّجَاجِ تَعْكِسُ النُّورَ وَالْأَشْبَاحَ كَمِرْآةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ

فَبَعْدَ أَنْ لَبِسَتْ هِنْدُ جِلْبَابَهَا وَقَفَتْ أَمَامَ الْمِرْآةِ فَأَصْلَحَتْ شَعْرَهَا وَثَوْبَهَا وَجَلَسَتْ أُمُّهَا عَلَى وِسَادَةٍ تُعْجَبُ بِجَمَالِ ابْنَتِهَا وَكَانَتْ مَمْشُوقَةَ الْقَوَامِ مُمْتَلِئَةَ الْجِسْمِ مُسْتَدِيرَةَ الْوَجْهِ قَمْحِيَّةَ اللَّوْنِ مُشْرَبَةً بِالْحُمْرَةِ سَوْدَاءَ الْعَيْنَيْنِ مَعَ كُحْلٍ لاَ يَكَادُ يُصَدِّقُ النَّاظِرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا غَيْرُ مُكَحَّلَةٍ بِالْإِثْمِدِ ثُمَّ جَلَسَتْ هِنْدُ عَلَى السَّرِيرِ لاَ تَنْسَى سِنْتَ شَفَةٍ وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي بِحَارِ الْأَفْكَارِ.

جـرجي زيدان

« فتاة غسان »

22 - في كوخ صائد السمك

كَانَ الْكُوخُ جَاثِمًا فِي مَجْثِمِهِ بَيْنَ الْأَكْوَاخِ الْمُحِيطَةِ بِهِ لاَيَرَى فِيهِ الدَّاخِلُ غَيْرَ مِصْبَاحٍ ضَئِيلٍ تُجَاهِدُ ذُبَالَتُهُ جِهَادًا شَدِيدًا فِي تَمْزِيقِ قِطَعِ الظَّلاَمِ الْمُتَكَاثِفَةِ حَوْلَهَا وَغَيْرَ مِجْمَرَةٍ هَامِدَةٍ قَدْ خَبَتْ نَارُهَا إِلاَّ بَقَايَا جَمَرَاتٍ شَاحِبَاتٍ قَدِ الْتَفَّتْ بِأَكْفَانِهَا الْبَيْضَاءِ وَأَخَذَتْ طَرِيقَهَا فِي مَدْرَجِ الْفَنَاءِ، وَقَدْ يَرَى النَّاظِرُ عَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ الْمِصْبَاحِ الضَّئِيلِ بِضْعَ شَبَكَاتٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْجُدْرَانِ كَأَنَّهَا الْأَشْبَاحُ الْمَاثِلَةُ. وَمِنْضَدَةً عَارِيَةً قَدْ نُشِرَتْ فَوْقَهَا بِضْعَةُ آنِيَةٍ نُحَاسِيَّةٍ تَلْمَعُ لَمَعَانًا ضَعِيفًا فِي ذَلِكَ الْحِنْدِسِ كَأَنَّهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ

فَإِنْ أَدَارَ الْوَاقِفُ بِنَظَرِهِ حَوْلَهُ رَأَى حَشِيَّةً مَبْسُوطَةً عَلَى

الْأَرْضِ قَدِ اضْطَجَعَ فَوْقَهَا ثَلاَثَةُ أَطْفَالٍ مُتَلاَصِقِينَ آخِذٍ بَعْضُهُمْ بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ كَمَا تَتَآخَذُ الْأَفْرَاخُ فِي أَعْشَاشِهَا وَكَمَا يَضُمُّ الْخَوْفُ الضُّلُوعَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ فِرَاشِهِمْ امْرَأَةٌ صَفْرَاءُ شَاحِبَةٌ جَاثِيَةٌ عَلَى رُكْبَتَيْهَا تُصَلِّي وَتَبْتَهِلُ وَتَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِصَوْتٍ خَافِتٍ مُتَهَافِتٍ أَنْ يَرُدَّ لَهَا زَوْجَهَا سَالِمًا وَكَانَ قَدْ خَرَجَ كَعَادَتِهِ لِصَيْدِ السَّمَكِ مِنَ الْبَحْرِ فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى السَّاعَةِ.

وَإِنَّهَا لَكَذَلِكَ إِذْ هَبَّتْ زَوْبَعَةٌ هُبُوبًا عَظِيمًا فَاهْتَزَّتْ لَهَا جَوَانِبُ الْكُوخِ اهْتِزَازًا شَدِيدًا، وَأَنَّ لِوَقْعِهَا الْأَطْفَالُ فِي لَفَائِفِهِمْ فَطَارَ قَلْبُهَا فَزَعًا وَرُعْبًا وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ هَدِيرَ الْأَمْوَاجِ وَدَمْدَمَةَ الرُّعُودِ وَزَفِيفَ الرِّيَاحِ وَقَعْقَعَةَ السُّقُوفِ وَالْجُدْرَانِ إِنَّمَا هِيَ نُذُرُ السُّوءِ تُنْذِرُهَا بِمَصِيرِ زَوْجِهَا الْمِسْكِينِ فِي أَعْمَاقِ ذَلِكَ الْأُقْيَانُوسِ الْعَظِيمِ.

المنفلوطي

« النظرات »

23 - حجرة الدسوقي

عَاشَ الدَّسُوقِيُّ فِي الأَزْهَرِ، مُجَاوِرًا فَقِيرًا يَأْتِيهِ الزَّادُ مِنْ بَلَدِهِ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ : خُبْزٌ جَافٌّ وَقَلِيلٌ مِنَ السَّمْنِ وَشَيْءٌ مِنَ الْفَرِيكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُرْسِلُهُ الأَهْلُ الْفُقَرَاءُ إِلَى أَبْنَائِهِمْ فِي الأَزْهَرِ، وَسَكَنَ مَعَ رِفْقَةٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ فِي حُجْرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الأَزْهَرِ إِذَا دَخَلْتَهَا رَأَيْتَ حَصِيرًا بَالِيًا وَمَسَامِيرَ كَبِيرَةً سُمِّرَتْ فِي الْحَائِطِ يُعَلِّقُ فِيهَا الطَّلَبَةُ مَلَابِسَهُمْ، وَفِي الرُّكْنِ صُنْدُوقٌ يَحْتَفِظُ فِيهِ الشَّيْخُ بِكُتُبِهِ وَمَلَابِسِهِ، وَفَرْشَةٌ يَفْرُشُهَا إِذَا نَامَ وَيَطْوِيهَا إِذَا قَامَ وَهَذَا كُلُّ مَا فِي الْغُرْفَةِ - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - فَفِي الْغُرْفَةِ أَيْضًا «حَلَّةٌ» وَصَحْنٌ قَدْ يَشْتَهِي هُوَ وَصَحْبُهُ اللَّحْمَ فَيَشْتَرِكُونَ فِي شِرَاءِ رَطْلٍ وَيَتَعَاوَنُونَ جَمِيعًا عَلَى شِرَائِهِ وَطَبْخِهِ وَتَقُومُ فِي الْغُرْفَةِ حَرَكَاتٌ عَنِيفَةٌ وَنِدَاءَاتٌ وَأَوَامِرُ وَنَوَاهٍ وَتَمْتَلِئُ الْغُرْفَةُ بِالدُّخَانِ وَقَدْ يُعْوِزُهُمُ الْخَشَبُ فَيُتَمِّمُونَ الطَّبْخَ بِالْوَرَقِ - ثُمَّ يَتَحَلَّقُونَ لأَكْلِهِ فِي لَذَّةٍ وَنَهَمٍ وَتَكُونُ هَذِهِ الأُكْلَةُ الْفَخْمَةُ حَدِيثَ الأُسْبُوعِ ! وَحَدِيثَ الشَّهْرِ.

أَحْمَدْ أَمِينْ

24 - قصر عبد الرحمان

هَذَا قَصْرُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ النَّاصِرِ بِقُرْطُبَةَ يَعْمَلُ فِي بِنَائِهِ آلافُ الْعُمَّالِ. وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحْسَنُ مَافِيهَا، فَالرُّخَامُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْمَرِيَّةِ، وَالرُّخَامُ الْمُجَزَّعُ مِنْ رِيَّةَ، وَالْوَرْدِيُّ وَالْأَخْضَرُ مِنْ تُونِسَ، وَالْحَوْضُ الْمَنْقُوشُ الْمُذَهَّبُ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَهَذِهِ نُقُوشٌ تُنْقَشُ وَتَمَاثِيلُ وَصُوَرٌ عَلَى صُوَرِ الْإِنْسَانِ تُنْصَبُ فِي أَمَاكِنِهَا، وَهَذِهِ هِيَ الْأَبْوَابُ تُصْنَعُ مِنَ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرَصَّعِ بِالذَّهَبِ ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَعْمِدَةُ تُقَامُ مِنَ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ وَالْبِلَّوْرِ الصَّافِي، وَهَذَا هُوَ مَجْلِسُ الْخَلِيفَةِ يُحَلَّى بِقَرَامِيدِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مُلَوَّنَةً أَلْوَانًا بَدِيعَةً، وَيُنْشَأُ فِي وَسَطِهِ حَوْضٌ عَظِيمٌ يُمْلَأُ بِالزِّئْبَقِ فَإِذَا دَخَلَتِ الشَّمْسُ سَطَعَتْ عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ وَهَذَا الْحَوْضِ وَهَذِهِ الْأَعْمِدَةِ فَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ أَشِعَّةٌ تَخْطَفُ الْأَبْصَارَ وَتَأْخُذُ الْقُلُوبَ، وَهَذِهِ الْحَدَائِقُ تُنَوَّرُ وَيُؤْتَى لَهَا بِأَغْرَبِ الْأَشْجَارِ

وَأَجْمَلِ الْأَزْهَارِ، وَهَذِهِ الْقَنَاةُ الْغَرِيبَةُ الصَّنْعَةِ يُجْرَى فِيهَا الْمَاءُ مِنْ جَبَلِ قُرْطُبَةَ إِلَى الْقَصْرِ فَيَلْعَبُ فِيهِ لُعَبَهُ الْبَدِيعَةَ، فَهَذِهِ بِرْكَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهَا أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرَّوْعَةِ مَطْلِيٌّ بِالذَّهَبِ وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ بَرَّاقَتَانِ يَجُوزُ الْمَاءُ فِي مُؤَخَّرَتِهِ فَيَمُجُّهُ فِي الْبِرْكَةِ مِنْ فِيهِ ثُمَّ تُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ جِنَانُ هَذَا الْقَصْرِ وَمَا فَضُلَ عَنْهُ صُبَّ فِي النَّهْرِ.

وَامْتَلَأَ الْقَصْرُ بِالطُّيُورِ تُغَرِّدُ، وَالْأَزْهَارِ تَتَفَتَّحُ، وَالْفَتَيَاتِ تَمْرَحُ وَصِبْيَانِ الصَّقَالِبَةِ يَرُوحُونَ وَيَجِيئُونَ، وَثَمَّ فِيهِ كُلُّ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.... وَيَأْتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ فَيَزُورُ الْقَصْرَ وَيُعْجَبُ مِنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ عَلَى إِبْدَاعِهَا وَاخْتِرَاعِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ الْمُنْحَلَّةِ وَمَادَّتِهَا الْمُهَلْهَلَةِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَجَبًا مِنْ صُنْعِ اللهِ لِلْمَادَّةِ وَصُنْعِ اللهِ لِلْإِنْسَانِ.

أحمد أمين

25 - ايوان كسرى

هُوَ قَصْرٌ بَاذِخٌ يُسَمُّونَهُ (الطَّاقَ) جَرَى اسْمُهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ وَأَقْلاَمِهِمْ مَجْرَى الْأَمْثَالِ بِالْعَظَمَةِ وَالْفَخَامَةِ حَتَّى عَدُّوهُ مِنَ الْمَبَانِي الْعَجِيبَةِ، بَنَاهُ سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ فِي وَسَطِ الْمَدَائِنِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ دِجْلَةَ بِحَيْثُ لاَيَحُولُ بَيْنَ الْإِيوَانِ وَالنَّهْرِ إِلاَّ الْحَدَائِقُ وَالْبَسَاتِينُ وَيُحِيطُ بِالإِيوَانِ حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ فِيهَا الْأَغْرَاسُ وَالْأَزْهَارُ، وَبَيْنَ أَبْوَابِ الْحَدِيقَةِ وَالْإِيوَانِ طُرُقَاتٌ مَرْصُوفَةٌ. بِالْحَصَى أَلْوَانًا عَلَى شَكْلِ الْفُسَيْفِسَاءِ، يَتَأَلَّفُ مِنْ تَرْتِيبِهَا بَعْضِهَا بِإِزَاءِ بَعْضٍ رُسُومٌ تُمَثِّلُ أُسُودًا وَآدَمِيِّينَ وَفُرْسَانًا وَمَرْكَبَاتٍ عَلَيْهَا الْمُلُوكُ وَالْقُوَّادُ يَجِدُّونَ فِي صَيْدِ الْأُسُودِ... وَأَمَّا الْإِيوَانُ فَقَاعَةٌ كَبِيرَةٌ طُولُهَا مِائَةُ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهَا خَمْسُونَ مَبْنِيَّةٌ بِالآجُرِّ وَالْجَصِّ سَقْفُهَا عَقْدٌ وَاحِدٌ قَائِمَةٌ عَلَى عُمُدٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَنْقُوشِ وَيُصْعَدُ إِلَى أَرْضِ الْإِيوَانِ بِدَرَجَاتٍ

عِنْدَ بَابِهِ، وَفِي صَدْرِهِ عَرْشٌ مُرَصَّعٌ بِالذَّهَبِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ يَجْلِسُ عَلَيْهِ كِسْرَى تَعْلُوهُ قُبَّةٌ مُرَصَّعَةٌ وَفِي دَاخِلِهَا مِرْوَحَةٌ مِنْ رِيشِ النَّعَامِ وَإِلَى جَانِبَيِ الْعَرْشِ مَجَالِسُ أَعْوَانِهِ وَمَوَازِيَتِهِ وَجُدْرَانُ الْإِيوَانِ وَسَقْفُهُ مُزَيَّنَةٌ بِرُسُومِ بَدِيعَةٍ لِكِسْرَى أَنُو شَرْوَانْ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَكَاسِرَةِ، وَفِي سَقْفِ الطَّاقِ رُسُومُ الْأَفْلَاكِ وَالْأَبْرَاجِ وَالنُّجُومِ مُنَزَّلَةٌ فِي قُبَّةٍ زَرْقَاءَ. وَكَانَ لِلْإِيوَانِ شُرَفَاتٌ مُزَخْرَفَةٌ بِالنُّقُوشِ تُشْرِفُ عَلَى الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ، قَائِمَةٌ عَلَى أَعْمِدَةٍ يَتَأَلَّفُ مِنْ صُفُوفِهَا رِوَاقٌ يُحِيطُ (بِالطَّاقِ) مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَبَابُ (الطَّاقِ) كَبِيرٌ نُقِشَ عَلَى عَتَبَتِهِ الْعُلْيَا رَسْمُ الشَّمْسِ مُذَهَّبَةً وَإِلَى كُلٍّ مِنْ جَانِبَيِ الْبَابِ تِمْثَالُ أَسَدٍ كَأَنَّهُ يَمْشِي وَعَيْنَاهُ تَتَلَأْلَآنِ وَالْأَسَدَانِ مَصْنُوعَانِ مِنَ الرُّخَامِ مُحَلَّيَانِ بِالذَّهَبِ وَفِي مَوْضِعِ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُمَا زُمُرُّدَاتٌ بَدِيعَةُ الشَّكْلِ.

جرجي زيدان

26 - اللباس في عهد العباسيين

كَانَتْ مَلاَبِسُ الْمَرْأَةِ تَتَكَوَّنُ مِنْ مُلاَءَة فَضْفَاضَةٍ وَقَمِيصٍ مَشْقُوقٍ عِنْدَ الرَّقَبَةِ عَلَيْهِ رِدَاءٌ قَصِيرٌ ضَيِّقٌ يُلْبَسُ عَادَةً فِي الْبَرْدِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُالْعَرَبِيَّةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا تَرْتَدِي مُلاَءَةً طَوِيلَةً تُغَطِّي جِسْمَهَا وَتَقِي مَلاَبِسَهَا مِنَ التُّرَابِ، وَتَلُفُّ رَأْسَهَا بِمِنْدِيلٍ يُرْبَطُ فَوْقَ الرَّقَبَةِ.

وَقَدْ تَطَوَّرَتْ مَلاَبِسُ النِّسَاءِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ تَطَوُّرًا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْعَصْرِ الأَمَوِيِّ، إِذِ اتَّخَذَتْ سَيِّدَاتُ الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ غِطَاءً لِلرَّأْسِ (الْبُرْنُسَ) مُرَصَّعًا بِالْجَوَاهِرِ مُحَلًّى بِسِلْسِلَةٍ ذَهَبِيَّةٍ مُطَعَّمَةٍ بِالأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَيُعْزَى ابْتِكَارُ هَذا الْغِطَاءِ إِلَى« عُلَيَّةَ » بِنْتِ الْمَهْدِيِّ أُخْتِ الرَّشِيدِ، وَكَانَتْ نِسَاءُ تِلْكَ الطَّبَقَةِ يُعَلِّقْنَ الْحُجُبَ بِزُنَّارِ الْبُرْنُسِ لِلزِّينَةِ ؛ أَمَّا نِسَاءُ الطَّبَقَةِ الْوُسْطَى فَكُنَّ

يُزَيِّنَّ رُؤُوسَهُنَّ بِحِلْيَةٍ مُسَطَّحَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَيَلْفُفْنَ حَوْلَهَا عِصَابَةً مُنَضَّدَةً بِاللُّؤْلُؤِ وَالزُّمُرُّدِ، وَيَلْبَسْنَ الْخَلاَخِلَ فِي أَرْجُلِهِنَّ، وَالأَسَاوِرَ فِي مَعَاصِمِهِنَّ. وَأَزْنَادِهِنَّ وَلَمْ يَجْهَلْنَ فَنَّ التَّجْمِيلِ الَّذِي أَخَذْنَهُ عَنِ الْفَارِسِيَّاتِ، وَكَانَ طَابَعُ الْحُسْنِ الصِّنَاعِيِّ مِمَّا يَتَحَلَّى بِهِ الأَعْرَبِيَّاتُ وَكَانَ لِلسَّيِّدَةِ زُبَيْدَةَ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَطَوُّرِ الزِّيِّ وَإِدْخَالِ تَغْيِيرَاتٍ عَلَى مَلاَبِسِ السَّيِّدَاتِ فِي عَصْرِهَا. فَيُعْزَى إِلَيْهَا اتِّخَاذُ الْمَنَاطِقِ وَالنِّعَالِ الْمُرَصَّعَةِ بِالْجَوَاهِرِ، وَكَانَتْ فَوْقَ ذَلِكَ تُسْرِفُ فِي شِرَاءِ مَلاَبِسِهَا وَتَزْيِينِهَا حَتَّى إِنَّهَا اتَّخَذَتْ ثَوْبًا مِنَ الْوَشْيِ الرَّفِيعِ يَزِيدُ ثَمَنُهُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

حسن ابراهيم حسن

27 - اعرابي في الحمام

حَدَّثَ أَعْرَابِيٌّ قَـالَ :

أَخَذَنِي صَاحِبِي وَأَدْخَلَنِي دَارًا قُورًا فِي وَسَطِهَا بِرْكَةٌ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا الْمَاءُ فَيَذْهَبُ صُعُدًا كَأَنَّهُ عَمُودٌ مِنَ الْبِلَّوْرِ، ثُمَّ يَنْثَنِي وَيَتَكَسَّرُ وَيَهْبِطُ، وَلَهُ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ. صَنْعَةٌ مَا حَسِبْتُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا إِلاَّ فِي الْجِنَانِ، وَعَلَى أَطْرَافِ الدَّارِ دِكَكٌ كَثِيرَةٌ مَفْرُوشَةٌ بِالزَّرَابِي وَالْأَرَائِكِ وَالْمُتَّكَآتِ، كَأَنَّمَا هِيَ فِنَاءُ الْأَمِيرِ.

فَلَمْ نَكَدْ نَتَوَسَّطُهَا حَتَّى وَثَبَ إِلَيْنَا أَهْلُوهَا وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ يَصِيحُونَ عَلَيْنَا صِيَاحًا غَرِيبًا وَيَصْرَخُونَ صُرَاخَ مَنْ بِهِ مَسٌّ وَيَدُورُونَ حَوْلَنَا بِقَبَاقِبِهِمُ الْعَالِيَةِ، وَيَجِيئُونَ وَيَذْهَبُونَ وَأَنَا لاَ أَدْرِي مَا هُمْ صَانِعُونَ، حَتَّى قَادُونَا إِلَى دَكَّةٍ مِنْ هَذِهِ الدِّكَكِ وَجَاؤُوا يَنْزِعُونَ عَنَّا ثِيَابَنَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلاَّ الْإِزَارُ

أَرَادُوا نَزْعَهُ عَنِّي، فَقُلْتُ : أَمَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي هَذَا الْبَلَدِ ؟ أَتُكْشَفُ الْعَوْرَاتُ فَلاَ يَغَارُ أَحَدٌ وَلاَ يَغْضَبُ إِنْسَانٌ ؟ فَهَدَّأَنِي صَاحِبِي، ثُمَّ دَعَا غُلاَمًا مِنْ أَغْلِمَةِ الْحَمَّامِ، فَقَامَ دُونِي فَسَتَرَنِي – سَتَرَهُ اللهُ – حَتَّى خَلَعْتُ إِزَارِي. وَاتَّزَرْتُ بِإِزَارٍ أَبْيَضَ أَعْطَوْنِيهِ.

وَكَانَ صَاحِبِي قَدْ تَعَرَّى كَمَا تَعَرَّيْتُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي إِلَى بَاطِنِ الْحَمَّامِ، فَإِذَا غُرَفٌ وَسَطَهَا غُرَفٌ وَسَاحَاتٌ تُفْضِي إِلَى سَاحَاتٍ، وَمَدَاخِلُ وَمَخَارِجُ مُلْتَوِيَةٌ مُعْوَجَّةٌ يَضِلُّ فِيهَا الْغَرِيبُ وَهِيَ مُظْلِمَةٌ كَالْقَبْرِ قَدِ انْعَقَدَتْ فَوْقَهَا قِبَابٌ فِيهَا قَوَارِيرُ مِنْ زُجَاجٍ تُضِيءُ كَأَنَّهَا النُّجُومُ فِي اللَّيْلَةِ الدَّاجِيَةِ، وَفِي بَاطِنِ الْحَمَّامِ أُنَاسٌ جَالِسُونَ إِلَى أَجْرَانٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الصَّخْرِ. فَتَقَدَّمَ أَحَدُ الأَغْلِمَةِ يَعْدُو إِلَيَّ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِعَ عَنِّي هَذَا الإِزَارَ الذِي كَسَانِيهِ. قُلْتُ : وَيْحَكَ ! وَهَلْ أَبْقَى عُرْيَانَ ؟ قَالَ : لاَ سَنُعْطِيكَ غَيْرَهُ إِنَّ هَذَا جَدِيدٌ يُفْسِدُهُ الْمَاءُ. فَاسْتَحْذَيْتُ وَأَطَعْتُ وَدَخَلْتُ إِلَى مَقْصُورَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَاصِيرِ، فَجَلَسْتُ إِلَى الْجُرْنِ حَزِينًا كَئِيبًا لاَ أَعْلَمُ مَا يَجْرِي عَلَيَّ.

فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِجِنِّيٍّ عَارٍ كَأَنَّهُ قَفَصُ عِظَامٍ لَهُ لِحْيَةٌ كَشَوْكِ السَّعْدَانِ، وَدِدْتُ أَنَّهَا عَشَاءٌ لِجَمَلِي، وَقَدْ تَأَبَّطَ لِيفًا

غَلِيظًا ـ يَا شَرَّ مَا تَأَبَّطَ ـ وَحَمَلَ مَاعُونًا كَبِيرًا يَفُورُ فَوَرَانًا فَتَشَهَّدْتُ وَاسْتَغْفَرْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ السُّمُّ وَأَنَّهُ سَيَتَنَاثَرُ مِنْهُ لَحْمِي وَقَصَدَ الْجِنِّيُّ إِلَيَّ، فَجَعَلْتُ أَفِرُّ مِنْهُ وَأَتَوَثَّبُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ كَأَنِّي دَجَاجَةٌ تَفِرُّ مِنْ سِكِّينِ الْجَزَّارِ، وَهُوَ يَلْحَقُ بِي ضَاحِكًا وَيُعْجَبُ مِنْ فِعْلِي ، وَيَظُنُّ أَنِّي أُلاَعِبُهُ وَصَاحِبِي يُقْسِمُ لِي أَنَّهُ الصَّابُونُ لاَ يُنَظِّفُ شَيْءٌ مِثْلُهُ .

قُلْتُ : أَلاَ شَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ ؟ أَلاَ قَلِيلٌ مِنْ أَشْنَانٍ ؟

قَالَ : وَاللهِ مَا أَغُشُّكَ، فَجَرِّبْ .

فَاطْمَأْنَنْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَأَقْبَلَ عَلَيَّ يَدْلُكُنِي دَلْكًا شَدِيدًا وَأَنَا أَنْظُرُ هَلْ تَسَاقَطَ لَحْمِي ؟ هَلْ تَنَاثَرَ جِلْدِي ؟ فَلاَ أَجِدُ إِلاَّ خَيْرًا حَتَّى انْتَهَى وَصَبَّ عَلَيَّ الْمَاءَ سَخِنًا فَشَعُرْتُ ـ وَاللهِ ـ كَأَنَّمَا نَشِطْتُ مِنْ عِقَالٍ وَأَحْسَسْتُ الزَّهْوَ وَالْخِفَّةَ . . .

عَلِي الطنطاوي

« عن الرسالة بتصرف »

28 - في الشارع

مَضَى الصَّبِيُّ فِي ذَلِكَ الشَّارِعِ الطَّوِيلِ الضَّيِّقِ الْمُزْدَحِمِ بِالْمَارَّةِ مِنَ الطُّلَّابِ وَالتُّجَّارِ وَالْبَاعَةِ وَالْعُمَّالِ وَعَجَلَاتِ الْحَمْلِ تَجُرُّهَا الْحُمُرُ أَوْ تَجُرُّهَا الْخَيْلُ أَوْ تَجُرُّهَا الْبِغَالُ وَيَصِيحُ بِهَا الْحُوذِيَّةُ زَاجِرِينَ حِينًا وَمُتَلَاحِينَ حِينًا آخَرَ وَمُخَاصِمِينَ لِمَنْ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَةِ.

وَعَنْ يَمِينِ هَذَا الشَّارِعِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَوَانِيتُ مُخْتَلِفَةٌ مِنْهَا مَا يُهَيَّأُ فِيهِ طَعَامُ الْفُقَرَاءِ وَالْبَائِسِينَ فَيَحْمِلُ الْهَوَاءُ رَوَائِحَ كَرِيهَةً وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ كَانَتْ مُحَبَّبَةً إِلَى كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَارَّةِ بَيْنَ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْعَامِلِينَ بِأَيْدِيهِمْ وَالْحَامِلِينَ عَلَى ظُهُورِهِمْ وَكَوَاهِلِهِمْ.

مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْطِفُ عَلَى هَذِهِ الْحَوَانِيتِ، فَيَشْتَرِي مِنْهَا الْقَلِيلَ يَلْتَهِمُهُ فِي مَكَانِهِ الْتِهَامًا، أَوْ يَحْمِلُهُ إِلَى بَيْتِهِ لِيَسْتَأْثِرَ بِهِ. أَوْ يُشَارِكَ فِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَبْلُغُهُ هَذِهِ الرَّوَائِحُ، فَتُثِيرُهُ وَلَكِنَّهُ لَا يَثُورُ وَتَدْعُوهُ وَلَكِنَّهُ لَا يُجِيبُ. قَدْ رَأَتْ عَيْنُهُ وَشَمَّ أَنْفُهُ وَتَحَرَّكَتْ شَهْوَتُهُ وَلَكِنْ قَصُرَتْ يَدُهُ وَخَانَهُ جَيْبُهُ. فَمَضَى وَفِي نَفْسِهِ حَاجَةٌ وَفِي قَلْبِهِ مَوْجِدَةٌ وَحَفِيظَةٌ وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ رِضًى بِالْقَضَاءِ وَإِذْعَانٌ لِلْقَدَرِ.

طه حسين

29 - مهرجان

أَلَمْ يَكُونُوا جَمِيعًا يَتَحَدَّثُونَ بِعَوْدَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ بِشَهْرٍ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ فَرِحِينَ مُبْتَهِجِينَ مُتَلَطِّفِينَ أَلَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ يَشْرَبُ كَلاَمَهُ شَرْبًا، وَيُعِيدُهُ عَلَى النَّاسِ فِي إِعْجَابٍ وَفَخَارٍ. ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ، مَاذَا لَقِيَ الْأَزْهَرِيُّ مِنْ إِكْرَامٍ وَحَفَاوَةٍ وَمِنْ تَجِلَّةٍ وَإِكْبَارٍ. كَانُوا قَدِ اشْتَرَوْا لَهُ قُفْطَانًا جَدِيدًا وَجُبَّةً جَدِيدَةً وَطُرْبُوشًا جَدِيدًا وَمَرْكُوبًا جَدِيدًا. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِهَذَا الْيَوْمِ، وَمَا سَيَكُونُ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يُظِلَّهُمْ بِأَيَّامٍ. حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ هَذَا الْيَوْمُ، وَانْتَصَفَ أَسْرَعَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى طَعَامِهَا فَلَمْ تُصِبْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً، وَلَبِسَ الْفَتَى الْأَزْهَرِيُّ ثِيَابَهُ الْجَدِيدَةَ، وَاتَّخَذَ فِي هَذَا الْيَوْمِ عِمَامَةً خَضْرَاءَ، وَأَلْقَى عَلَى كَتِفَيْهِ شَالاً مِنَ الْكِشْمِيرِ ؛ وَأُمُّهُ تَدْعُو وَتَتْلُو التَّعَاوِيذَ، وَأَبُوهُ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ

جَذْلاَنَ مُضْطَرِبًا. حَتَّى إِذَا تَمَّ لِلْفَتَى مِنْ زِيِّهِ وَهَيْئَتِهِ مَا كَانَ يُرِيدُ خَرَجَ فَإِذَا فَرَسٌ يَنْتَظِرُهُ بِالْبَابِ، وإِذَا رِجَالٌ يَحْمِلُونَهُ فَيَضَعُونَهُ عَلَى السَّرْجِ، وَإِذَا قَوْمٌ يَكْتَنِفُونَهُ مِنْ يَمِينٍ، وَمِنْ شِمَالٍ، وآخَرُونَ يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ،وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مِنْ خَلْفِهِ، وَإِذَا الْبَنَادِقُ تُطْلَقُ فِي الْفَضَاءِ، وَإِذَاالنِّسَاءُ يُزَغْرِدْنَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَإِذَا الْجَوُّ يَتَأَرَّجُ بِعَرْفِ الْبُخُورِ،وَإِذَا الْأَصْوَاتُ تَرْتَفِعُ مُتَغَنِّيَةً بِمَدْحِ النَّبِيِّ، وَإِذَا هَذَا الْحَفْلُ كُلُّهُ يَتَحَرَّكُ فِي بُطْءٍ، وَكَأَنَّمَا تَتَحَرَّكُ مَعَهُ الْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ دُورٍ. كُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْفَتَى الْأَزْهَرِيَّ قَدِ اتُّخِذَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَلِيفَةً، فَهُوَ يُطَافُ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى فِي هَذَا الْمَهْرَجَانِ الْبَاهِرِ.

طه حسين

« كتاب الايام »

30 - مجلس انس

أَمَّا تَخْتُ الآلاَت فَهُوَ مُشْرِقٌ قَد احْتَلَّهُ بِضْعَةُ رِجَال فِي أَكْسِيَة احْتِفَال،وَتَبَوَّأَ الْمُغَنِّي إِبْرَاهِيمُ الْمِنَصَّةَ، وَالْبِشْرُ بَادٍ عَلَى الْوُجُوهِ ثُمَّ اسْتَوَى ؛ وَمَكَانُهُ مَكَانُ الْفَرِيدَةِ مِنَ الْعِقْدِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِذَاكَ الْمُحَيَّا الطَّلِقِ، وَالْيَدِ الْمُرْتَفِعَةِ إِلَى أَعْلَى الرَّأْسِ يُحَيِّي مَنْ عَرَفَ، أَوْ يَرُدُّ تَحِيَّاتِ الأَوِدَّاءِ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَى مَنْ بِجِوَارِهِ : مَايَسْتَحْسِنُ الْبَدْأَ بِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى التَّخْتِ بِالاسْتِعْدَادِ، فَطَفِقَتِ النَّغَمَاتُ تَهُبُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ شَارِدَةً وَوَارِدَةً فِي خِلَبِ التَّوَافُقِ بَيْنَهَا، حَتَّى إِذَا تَمَّ التَّنَاسُقُ وَالانْتِظَامُ، وَهُيِّئَتِ الْمَسَامِعُ لِلَّحْنِ الْمَرُومِ ، انْدَفَعَ كُلُّ مَنْ فِي التَّخْتِ يَضْرِبُ وَيَعْزِفُ وَيَتَغَنَّى، وَفِي خِلاَلِ الإِيقَاعِ يَعْلُو صَوْتُ الْمُغَنِّي الأَوَّلِ، فَيُعْطِي خُلاَصَةَ الطَّرَبِ بَيْنَ الْجَوَابِ وَالْقَرَارِ وَلاَ تَسَلْ عَنْ سُكُونِ الأَشْهَادِ وَحُسْنِ إِنْصَاتِهِمْ ثُمَّ لاَ تَسَلْ عَنِ انْفِجَارِ الصَّيْحَاتِ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَقَدْ أُثْخِنَتْ بِالْجِرَاحِ اللَّذِيذَةِ تَسْتَزِيدُ فِيهَا وَتَسْتَعِيدُ.

خليل مطران

31 - ضيف المساء

بِتُّ عِنْدَ « إِسْمَاعِيلَ بْنِ غَزْوَانَ » وَإِنَّمَا بَيَّتَنِي عِنْدَهُ حِينَ عَلِمَ أَنِّي تَعَشَّيْتُ وَحَمَلْتُ مَعِي قِرْبَةَ نَبِيذٍ .

فَلَمَّا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ أَكْثَرُهُ وَرَكِبَنِي النَّوْمُ جَعَلْتُ فِرَاشِي الْبِسَاطَ وَمِرْفَقَتِي يَدِي وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ مُصَلًّى وَمِخَدَّةٌ فَأَخَذَ الْمِخَدَّةَ فَرَمَى بِهَا إِلَيَّ فَأَبَيْتُهَا وَرَدَدْتُهَا عَلَيْهِ وَأَبَى فَأَبَيْتُ فَقَالَ :

ـ سُبْحَانَ اللهِ أَيَكُونُ أَنْ تَتَوَسَّدَ مِرْفَقَكَ وَعِنْدِي فَضْلُ مِخَدَّةٍ ! فَأَخَذْتُهَا فَوَضَعْتُهَا تَحْتَ خَدِّي فَمَنَعَنِي مِنَ النَّوْمِ إِنْكَارِي لِلْمَوْضِعِ وَيُبْسُ فِرَاشِي . وَظَنَّ أَنِّي قَدْ نِمْتُ فَجَاءَ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى سَلَّ الْمِخَدَّةَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ مَضَى بِهَا ضَحِكْتُ وَقُلْتُ :

ـ قَدْ كُنْتَ عَنْ هَذَا غَنِيًّا ! قَالَ :

ـ إِنَّمَا جِئْتُ لأُسَوِّيَ رَأْسَكَ . قُلْتُ :

ـ إِنِّي لَمْ أُكَلِّمْكَ حَتَّى وَلَّيْتَ بِهَا ! قَالَ :

ـ كُنْتُ لِهَذَا جِئْتُ فَلَمَّا صَارَتِ الْمِخَدَّةُ فِي يَدِي نَسِيتُ مَا جِئْتُ لَه . وَالنَّبِيذُ ـ مَاعَلِمْتُ وَاللهِ ـ يَذْهَبُ بِالْحِفْظِ أَجْمَعَ !

الجاحظ

« كتاب البخلاء »

32 ـ حول الطعام

... وَأَقْبَلَ مَنْ فِي الدَّارِ مِنَ النِّسَاءِ وَمَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِنَّ مِنْ نِسَاءِ الْقَرْيَةِ الْبَائِسَاتِ عَلَى الطَّعَامِ مُسْرِعَاتٍ يَتَزَاحَمْنَ بِالْمَنَاكِبِ وَيَتَدَافَعْنَ بِالأَيْدِي، وَيَتَزَاجَرْنَ بِاللَّفْظِ وَاللَّحْظِ، وَيَرْتَفِعُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مِنْهُنَّ دُعَاءٌ لِصَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يُوَثِّقَ اللهُ حِزَامَهُ، وَيُعَلِّيَ مَقَامَهُ وَيُصْرِفَ عَنْهُ الدَّاءَ، وَيَنْصُرَهُ عَلَى الأَعْدَاءِ. وَنَحْنُ نَسْعَى وَجِلَاتٍ خَجِلَاتٍ يَدْفَعُنَا الْجُوعُ وَالأَدَبُ، وَيُمْسِكُنَا الْحَيَاءُ وَالاحْتِشَامُ حَتَّى إِذَا اسْتَدَارَتِ الْجَمَاعَةُ حَوْلَ الْجِفَانِ قَلَّ الْكَلَامُ، وَقَرَّتِ الأَجْسَامُ وَاضْطَرَبَتِ الأَيْدِي، وَعَمِلَتِ الأَفْوَاهُ. وَأَنَا أَرَى هَذَا كُلَّهُ فَيُؤْذِينِي مَنْظَرُهُ وَيَقَعُ مِنْ نَفْسِي مَوْقِعًا أَلِيمًا.

مَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ هَذِهِ الأَيْدِي الْغَلِيظَةِ الْخَشِنَةِ قَدْ تَقَلَّصَ جِلْدُهَا وَتَقَبَّضَ وَهْيَ تَغُوصُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْخُبْزِ غَوْصًا فِي الْقِصَاعِ

فَتُصِيبُ مِنْهَا مَا تَسْتَطِيعُ، وَمَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَيْدِي الرَّقِيقَةِ الرَّفِيقَةِ النَّاعِمَةِ الْمُتْرَفَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَمْتَدُّ إِلَى الْأَطْبَاقِ إِلاَّ هُنَيْهَةً وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ تَمَسُّ مَا فِي الْأَطْبَاقِ إِلاَّ بِهَذِهِ الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْمُدُنِ خَاصَّةً بَلْ يَعْرِفُهَا الْمُتْرَفُونَ مِنْ أَهْلِ الْمُدُنِ خَاصَّةً !

مَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْأَفْوَاهِ الْفَاغِرَةِ الَّتِي يُلْقَى فِيهَا الطَّعَامُ إِلْقَاءً عَلَى عَجَلٍ فَلَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا حَتَّى تَزْدَرِدَهُ الْحُلُوقُ ! وَكَأَنَّ الطَّبِيعَةَ لَمْ تُودِعْ هَذِهِ الْأَفْوَاهَ حِسًّا تَجِدُ بِهِ لَذَّةَ مَا تَأْكُلُ وَمَا تَشْرَبُ. وَإِنَّمَا اتَّخَذَتْهَا طَرِيقًا إِلَى الْحُلُوقِ. ثُمَّ إِلَى الْأَجْوَافِ، وَمَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَفْوَاهِ الصَّغِيرَةِ الضَّعِيفَةِ . . . .

. . . . أَيْنَ أَجِدُ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ أَدْفَعَ يَدِي مَعَ هَذِهِ الْأَيْدِي وَأُحَرِّكَ فَمِي مَعَ هَذِهِ الْأَفْوَاهِ ! إِنَّمَا أَنَا جَالِسَةٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ أَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ضَيِّقَةً بِهِنَّ وَأَتَلَهَّى عَنِ الْجُوعِ بِهَذَا الْخُبْزِ الرَّقِيقِ الْمُسْتَدِيرِ الْوَاسِعِ أُحَطِّمُهُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأُصِيبُ مِنْهُ قَلِيلاً بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ.

طه حسين

« دعاء الكروان »

33 - الضرير على المائدة

كَانَ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ طُلَعَةً لاَ يَحْفِلُ بِمَا يَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ فِي سَبِيلِ أَنْ يَكْتَشِفَ مَا لاَ يَعْلَمُ، وَكَانَ ذَلِكَ يُكَلِّفُهُ كَثِيرًا مِنَ الْأَلَمِ وَالْعَنَاءِ وَلَكِنَّ حَادِثَةً وَاحِدَةً حَدَّتْ مَيْلَهُ إِلَى الْاسْتِطْلاَعِ، وَمَلأَتْ قَلْبَهُ حَيَاءً لَمْ يُفَارِقْهُ حَتَّى الآنَ.

كَانَ جَالِسًا إِلَى الْعَشَاءِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ وَأَبِيهِ. وَكَانَتْ أُمُّهُ تُشْرِفُ عَلَى حَفْلَةِ الطَّعَامِ... وَكَانَ يَأْكُلُ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَلَكِنْ لِأَمْرٍ مَّا خَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ غَرِيبٌ! مَا الَّذِي يَقَعُ لَوْ أَنَّهُ أَخَذَ اللُّقْمَةَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ بَدَلَ أَنْ يَأْخُذَهَا كَعَادَتِهِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ؟ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ؟ لاَ شَيْءَ.

.... أَخَذَ اللُّقْمَةَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَغَمَسَهَا مِنَ الطَّبَقِ الْمُشْتَرَكِ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى فَمِهِ فَأَمَّا إِخْوَتُهُ فَأَغْرَقُوا فِي الضَّحِكِ وَأَمَّا أُمُّهُ

فَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ وَأَمَّا أَبُوهُ فَقَالَ فِي صَوْتٍ هَادِىءٍ حَزِينٍ : مَا هَكَذَا تُؤْخَذُ اللُّقْمَةُ يَا بُنَيَّ ... وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَهُ .

مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ تَقَيَّدَتْ حَرَكَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الرَّزَانَةِ وَالْإِشْفَاقِ وَالْحَيَاءِ لَا حَدَّ لَهُ . وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ عَرَفَ لِنَفْسِهِ إِرَادَةً قَوِيَّةً وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَلْوَانًا مِنَ الطَّعَامِ تُؤْكَلُ بِالْمَلَاعِقِ وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَضْحَكَ إِخْوَتُهُ أَوْ تَبْكِيَ أُمُّهُ أَوْ يُعَلِّمَهُ أَبُوهُ وَهُوَ حَزِينٌ .

وَكَانَ يَسْتَحِي أَنْ يَشْرَبَ عَلَى الْمَائِدَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَضْطَرِبَ الْقَدَحُ مِنْ يَدِهِ .. فَكَانَ طَعَامُهُ جَافًّا مَا جَلَسَ عَلَى الْمَائِدَةِ : حَتَّى إِذَا نَهَضَ عَنْهَا لِيَغْسِلَ يَدَيْهِ مِنْ حَنَفِيَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ شَرِبَ مِنْ مَائِهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَشْرَبَ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَاءُ نَقِيًّا دَائِمًا وَلَا هَذَا النَّوْعُ مِنْ رِيِّ الظَّمْإِ مُلَائِمًا لِلصِّحَّةِ فَانْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ مَمْعُودًا وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ لِذَلِكَ سَبَبًا .

عن طه حسين

« بتصرف »

34 - اي الثلمتين تقدم سدها ؟

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِبَغْدَادَ عَامَ مَجَاعَةٍ فَمِلْتُ إِلَى جَمَاعَةٍ أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا وَفِيهِمْ فَتًى فَقَالَ : مَا خَطْبُكَ ؟ قُلْتُ : حَالاَنِ لاَ يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا، فَقِيرٌ كَدَّهُ الْجُوعُ وَغَرِيبٌ لاَيُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ . فَقَالَ الْغُلاَمُ : أَيَّ الثُّلْمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا ؟ قُلْتُ : الْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ عَلَى خِوَانٍ نَظِيفٍ، وَبَقْلٍ قَطِيفٍ، إِلَى خَلٍّ ثَقِيفٍ، وَلَوْنٍ لَطِيفٍ وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ، إِلَى مِلْحٍ خَفِيفٍ، يُقَدِّمُهُ إِلَيْكَ الآنَ مَنْ لاَ يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ، وَلاَ يُعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ، أَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَوْسَاطٌ مَحْشُوَّةٌ، وَأَكْوَابٌ مَمْلُوءَةٌ، وَأَنْقَالٌ مُعَدَّدَةٌ وَأَنْوَارٌ مُجَوَّدَةٌ، فَإِنْ لَمْ تُرِدْ هَذَا وَلاَ ذَاكَ فَمَا قَوْلُكَ فِي لَحْمٍ طَرِيٍّ، وَسَمَكٍ نَهْرِيٍّ، وَبَاذِنْجَانٍ مَمْلِيٍّ، وَتُفَّاحٍ جَنِيٍّ . حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ، وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ وَجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهَارٍ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ الثَّلاَثَةِ . فَقَالَ الْغُلاَمُ : وَأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ فَقُلْتُ : لاَحَيَّاكَ اللهُ أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ الْيَأْسُ أَمَاتَهَا .

بديع الزمان الهمذاني

35 - خـــــــادمتي

خَادِمَتِي مُخْلِصَةٌ أَمِينَةٌ، وَلَـكِنَّهَا بَلْهَاءُ لاَ تَفْهَمُ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا أَغْلَطُ أَحْيَانًا وَأُنَادِيهَا أَنْ تَجِيئَنِي بِشَيْءٍ فَتَجِيئُنِي بِخِلاَفِه وَلاَ تَنْلَطُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَتَجِيئُنِي بِمَا أُرِيدُ. أَقُولُ : هَاتِي « الْكِبْرِيتَ » وَلَيْسَ فِي لَفْظ « الْكِبْرِيت » وَلَا فِي حُرُوفه مَا يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَبِسَ بِالْجُبْنِ، وَهِيَ لَيْسَتْ صَمَّاءَ فَإِنَّ سَمْعَهَا كَسَمْعِ الْقِطَّة، وَصَوْتِي خَفِيضٌ وَلَكِنِّي أَتَوَخَّى مَعَهَا أَنْ أَزْعَقَ وَأَصِيحَ، وَمَعَ ذَلِك لاَتَكَادُ تَسْمَعُنِي أَطْلُبُ الْكِبْرِيتَ حَتَّى تَقُول : « حَاضِر » وَتَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ وَتَشْتَرِي لِي جُبْنًا قَدْ يَكُونُ جَيِّدًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ لِي عَلَى بَالٍ وَلاَ كَانَتْ لِي رَغْبَةٌ فِيه.

وَأَرَاهَا مُقْبِلَةً عَلَيَّ تَحْمِلُ عَلَى كَفَّيْهَا صِينِيَّةً عَلَيْهَا طَبَقٌ فِيه الْجُبْنُ وَشَوْكَةٌ وَسِكِّينٌ وَفُرْضَةٌ. وَلُقْمَةٌ. فَإِنَّهَا تُدْرِكُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا وَبِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَلْقِينٍ أَنَّ الجُبْنَ لاَ يُؤْكَلُ وَحْدَهُ فَلاَ بُدَّ مِنْ خُبْزٍ مَعَهُ وَمَا دَامَ سَيِّدُهَا سَيَأْكُلُ وَقَدْ اشْتَهَتْ نَفْسُهُ الْجُبْنَ فَهَلْ تَتْرُكُهُ يُوسِخُ يَدَهُ ؟ مَعَاذَ اللهِ ! وَهَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الشَّوْكَةِ وَالسِّكِّينِ وَأَنْظُرُ إِلَى هَذَا الَّذِي عَلَى يَدَيْهَا فَأَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ وَأَكَادُ أَنْفَلِقُ وَلَكِنِّي أُلْمُّ نَفْسِي بِجُهْدٍ، وَأَهُزُّ رَأْسِي وَأَرُوحُ أَتَعَجَّبُ لِقُدْرَةِ رَبِّي عَلَى خَلْقِ كُلِّ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِنَ النَّاسِ.

عن المازني « بتصرف »

36 - حياة فلاح

ظَلَّ طُولَ حَيَاتِهِ فَلاَّحًا قَلْبًا وَقَالِبًا، حَسْبُكَ أَنْ تُجَالِسَهُ بُرْهَةً وَتُصْغِيَ إِلَى رَنِينِ صَوْتِهِ الْمُمْتَلِيءِ، وَتَنْظُرَ إِلَى عَيْنَيْهِ الْبَرَّاقَتَيْنِ لِيَتَرَاءَى لَكَ الرِّيفُ العَظِيمُ بِشَمْسِهِ الْوَهَّاجَةِ، وَظِلاَلِهِ الْوَارِفَةِ بِهَوَائِهِ اللَّافِحِ، وَنَسِيمِهِ الْوَدِيعِ، بِغُدْرَانِهِ الْهَادِئَةِ وَسَوَاقِيهِ الْفَوَّاحَةِ بِخُوَارِ بَهَائِمِهِ وَأَغَانِي فَلاَّحِيهِ.

وَكَانَتْ لَهُ دَارٌ مُتَوَاضِعَةٌ لَيْسَتْ أَكْثَرَ اتِّسَاعًا وَلَا أَرْفَعَ شَأْنًا مِنْ دُورِ الْفَلاَّحِينَ سَكَنَهَا أَبُوهُ مِنْ قَبْلُ وَنَشَأَ هُوَ فِيهَا وَتَرَعْرَعَ، وَشَبَّ فِيهَا أَوْلاَدُهُ فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُغَيِّرَ، وَعَاشَ مِنْهَا كَأَنَّهُ فِي قَصْرٍ رَحْبٍ.

كَانَ يُمْضِي الْيَوْمَ كُلَّهُ مُتَنَقِّلاً فِي الْحَقْلِ يرَاقِبُ الْفَلاَّحِينَ وَهُمْ يَحْرُثُونَ وَيَزْرَعُونَ وَرُبَّمَا تَنَاوَلَ الْمِحْرَاثَ مِنْ أَحَدِهِمْ وجَعَلَ

يَحْرُثُ فِي اهْتِمَامٍ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ وَصَدْرُهُ يَعْلُو وَيَهْبِطُ، أَوْ يُمْسِكُ بِالْفَأْسِ يَضْرِبُ بِهَا الْأَرْضَ فِي قُوَّةٍ وَعَزْمٍ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَقُولُ : « مَاذَا رَأَيْتُمْ يَا أَوْلَادُ ؟ لَقَدْ كَانَتْ أَرْضًا صَلْبَةً وَلَكِنَّهَا وَجَدَتْ مَنْ هُوَ أَصْلَبُ مِنْهَا ! »

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ يَعُودُ إِلَى الضَّيْعَةِ وَوَجْهُهُ يَفِيضُ بِشْرًا وَرِضًى وَيَذْهَبُ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى حَظِيرَةِ الْمَوَاشِي. هُنَاكَ يَجِدُ الْبَهَائِمَ مُتَرَاصَّةً أَمَامَ مَعَالِفِهَا وَرُؤُوسُهَا مُنْحَنِيَةٌ تَأْكُلُ فِي شَرَهٍ لَا تَسْمَعُ مِنْهَا غَيْرَ جَرْشٍ وَقَضْمٍ وَأَنْفَاسٍ تُرَدِّدُهَا بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ. يَدْخُلُ الرَّجُلُ فَإِذَا بِرُؤُوسِ الْمَوَاشِي قَدِ ارْتَفَعَتْ عَنْ مَعَالِفِهَا وَهِيَ مَا زَالَتْ تَلُوكُ فِي فَمِهَا مَا بَقِيَ فِيهِ مِنَ الْعَلَفِ وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعُيُونٍ مُشْرِقَةٍ مُرْهِبَةٍ .

أحمد تيمور

37 - معاز الضيعة

رَأْسُهُ كَالْبَطِّيخَةِ، وَحَوْلَ أَنْفِهِ الْأَفْطَسِ بُثُورٌ زَرْقَاءُ كَأَنَّهَا طَلَائِعُ الزِّنْجَارِ، فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ النُّحَاسِيِّ الْمُفَلْطَحِ عَيْنَانِ ثَعْلَبِيَّتَانِ فَوْقَ شَارِبَيْنِ كَثِيبَيْنِ. مُفَرْكَحٌ أَفْرَمُ، يَلْبَسُ عَبَاءَةً بَرَّاقَةً ذَاتَ كُمَّيْنِ دُونَ الْكُوعِ. لَيْسَ يَتَخَلَّى عَنْ عَصَاهُ، أَحْيَانًا يَعْرُضُهَا كَالرُّمْحِ وَطَوْرًا يَمُدُّهَا فَوْقَ كَتِفَيْهِ وَيَحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعَ. مَا رَأَيْتُهُ يَتَعَكَّزُ عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ وَقْعَةِ الذِّئَابِ.

يَصُفُّ قَطِيعَهُ كَالْعَسْكَرِ الْمُدَرَّبِ إِذَا شَرَدَتْ عَنْزَةٌ يُنَادِيهَا بِاسْمِهَا فَتَعُودُ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا. رَامٍ مَاهِرٌ إِنْ شَاءَ أَصَابَ الْقَرْنَ، وَإِنْ أَرَادَ أَصَابَ الْفَخِذَ، وَيُصِيبُ الْمَقْتَلَ إِنْ كَانَ قَرِمًا إِلَى اللَّحْمِ، فَالْوَيْلُ لِلْعَاصِيَةِ مِنْ حَجَرِ « جُلْيَاتَ » وَإِذَا عَصَى الْكَرَّازُ فَهُنَاكَ الْمَسْؤُولِيَّةُ الْعُظْمَى وَالْحِسَابُ الْعَسِيرُ. عَصَا زُعْرُورٍ تَهْتَزُّ فِي الْهَوَاءِ، وَرَاعٍ كَأَنَّهُ مِتْرٌ مُكَعَّبٌ يُهَرْوِلُ لِيُلْقِيَ عَلَى التَّيْسِ دُرُوسًا مَسْلَكِيَّةً يَسْتَفِيدُ مِنْهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الرَّعِيَّةِ وَالتُّيُوسُ تَقْبَلُ الْآدَابَ.

مارون عبود

« اقزام جبابرة »

38 - أبـو بـطـة

وَأَنْتَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا بَطَّةَ لَمَا رَأَيْتَ غَيْرَ عَتَّال كَسَائِرِ الْعَتَّالِينَ، بَلْ قَدْ تَسْتَخِفُّ بِهِ لأَوَّلِ نَظْرَةٍ تُلْقِيهَا عَلَيْهِ فَهُوَ دُونَ الرَّبَعِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنَّاظِرُ إِلَى وَجْهِهِ الشَّاحِبِ وَعَيْنَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ الْغَائِرَتَيْنِ وَإِلَى لِحْيَتِهِ الكَثَّةِ الَّتِي لاَ تَدْنُو مِنْهَا الْمُوسَى أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي الشَّهْرِ أَوْمَرَّتَيْنِ وَإِلَى رِجْلَيْهِ الْقَصِيرَتَيْنِ الْحَافِيَتَيْنِ لاَ يَكَادُ يَحْسَبُهُ يَقْوَى عَلَى رَفْعِ حَقِيبَةٍ أَثْقَلُ مَافِيهَا ثِيَابٌ حَرِيرِيَّةٌ وَأَدَوَاتُ زِينَةٍ لِسَيِّدَةٍ مِنَ السَّيِّدَاتِ الأَنِيقَاتِ، إِلاَّ إِذَا أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي رَقَبَتِهِ الْغَلِيظَةِ اللاَّصِقَةِ بِكَتِفَيْهِ،وَإِلَى يَدَيْهِ السَّمِينَتَيْنِ بِأَصَابِعِهِمَا الْقَصِيرَةِ الثَّخِنَةِ وَإِلَى صَدْرِهِ الرَّحْبِ وَمَنْكِبَيْهِ الْعَرِيضَيْنِ فَقَدْ تَلُوحُ لَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ أَمَارَاتُ الْقُوَّةِ وَلاَ عَجَبَ فَلَكَمْ خَدَعَتْنَا الظَّوَاهِرُ عَنِ الْبَوَاطِنِ.

ميخائيل نعيمة

39 - أبـو نـعـوم

أَبُـو نَعُّومٍ فَاتَ التِّسْعِينَ بِضْعَ خَطَوَاتٍ، وَظَلَّ يَرُوحُ وَيَجِيءُ. لَمْ تُهَرْهِرِ التِّسْعُونَ جُدْرَانَ بُنْيَتِهِ الشَّامِخَةَ. هَيْكَلٌ ضَخْمٌ أَحْكَمَ بُنْيَانَهُ مَنَاخُ قَرْيَتِهِ الْجَبَلِيَّةِ. فَكَأَنَّمَا اسْتُعِيرَتْ مَوَادُّهُ مِنْ صُخُورِ ضَيْعَتِهِ السَّمْرَاءِ. حَاجِبَانِ ثَقِيلاَنِ، وَرَأْسٌ مُدَوَّرٌ أَسْمَرُ نُحَاسِيٌّ خَرْبَشَ الزَّمَنُ حَوْلَ أَنْفِهِ الأَفْطَسِ خُطُوطًا مُزْرَقَّةً كَأَنَّهَا الزِّنْجَارُ.

مَا شَأْنُ ذَلِكَ الْوَجْهِ الصَّلْبِ فِي شَيْخُوخَةِ أَبِي نَعُّومٍ الْمُبَارَكَةِ إِلاَّ رَمَدٌ رَبِيعِيٌّ اجْتَمَعَ أَشُدَّهُ فِي السَّبْعِينَ فَصَارَتْ حَدَقَتَاهُ كَعَيْنَيِ الْوِرْوَارِ وَفِي الثَّمَانِينَ ارْتَخَى جَفْنَاهُ فَانْقَلَبَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ. أَمَّا عَقْلُهُ وَجَمِيعُ حَوَاسِّهِ فَمَا أَخَذَتْ مِنْهَا الأَيَّامُ شَيْئًا - عَقْلُ ابْنِ ثَلاَثِينَ لَوْلاَ أَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَوْتٍ عَالٍ.

يَقْعُدُ عَلَى صُفَّةِ قُرْبَ حَائِطِ الْكَنِيسَةِ يُشَمِّسُ. إِنْ شَرَّقَتِ الشَّمْسُ شَرَّقَ مَعَهَا، وَإِنْ غَرَّبَتْ غَرَّبَ مَعَهَا. وَمَتَى غَابَتْ يَغِيبُ فِي فِرَاشِهِ. وَفِي هَذِهِ الْجَلَسَاتِ قَلَّمَا يَسْكُتُ. يَهْرِفُ مُرَاجِعًا ذِكْرَيَاتِهِ. لَمْ يَتَعَلَّمْ لِيَكْتُبَهَا... وَلِذَلِكَ كَانَ يُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهُ إِلْقَاءً

وَإِيمَاءً كَأَنَّهُ يُكَرِّرُ دَوْرًا تَمْثِيلِيًّا لِيُجِيدَ إِخْرَاجَهُ عَلَى الْمَسْرَحِ. وَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ تَمْثِيلِ الرِّوَايَةِ.

يَقَعُ رَفُّ دَوْرِيٍّ عَلَى السَّنْدَيَانَةِ فَيَتَهَلَّلُ أَبُو نَعُّومٍ لِلَغْطِ تِلْكَ الْعَصَافِيرِ وَثَرْثَرَتِهَا. قَدْ تَزْرُقُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ فَيَمْسَحُ صُدَيْرِيَتَهُ بَاسِمًا وَلاَ يَتَقَزَّزُ مِنْهَا.... وَإِذَا غَرَّدَ الْحَسُّونُ رَجَّعَ رَأْسَهُ لِتِلْكَ الْمُوسِيقَى الَّتِي أَلِفَهَا. وَإِذَا رَأَى السُّنُونُو تُبَاشِرُ لَوَى كَتِفَهُ كَأَنَّهُ يَرْمِي عَنْهَا شِبَاطَ الثَّقِيلِ وَعَلَّلَ نَفْسَهُ بِالْعَيْشِ إِلَى الْعَامِ الْمُقْبِلِ ثُمَّ يَلِجُّ فِي تَحْدِيثِ نَفْسِهِ بِنَبَرَاتٍ عَنِيفَةٍ تَارَةً وَخُفُوتٍ طَوْرًا.

مارون عبـــود
(اقزام جبابرة)

40 - أديب

كَانَ قَبِيحَ الشَّكْلِ، نَاتِىءَ الصُّورَةِ، تَقْتَحِمُهُ الْعَيْنُ وَلاَ تَكَادَ تَثْبُتُ فِيهِ، وَكَانَ إِلَى الْقِصَرِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى الطُّولِ، وَكَانَ عَلَى قِصَرِهِ عَرِيضًا ضَخْمَ الْأَطْرَافِ مُرْتَبِكَهَا كَأَنَّمَا سُوِّيَ عَلَى عَجَلٍ فَزَادَتْ بَعْضُ أَطْرَافِهِ حَيْثُ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَنْقُصَ، وَنَقَصَتْ حَيْثُ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ تَزِيدَ، وَكَانَ وَجْهُهُ جَهْمًا غَلِيظًا يُخَيَّلُ إِلَى مَنْ رَآهُ أَنَّ فِي خَدَّيْهِ وَرَمًا فَاحِشًا، وَكَانَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْفٌ دَقِيقٌ مُسْرِفٌ فِي الدِّقَّةِ مُنْبَطِحٌ غَالٍ فِي الْإِنْبِطَاحِ قَدِ اتَّصَلَ بِجِبْهَةٍ دَقِيقَةٍ ضَيِّقَةٍ لاَ يَكَادُ يَبِينُ عَنْهَا شَعَرُهُ الْغَزِيرُ الْجَعْدُ الْفَاحِمُ.

لَمْ تَكُنْ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ، بَلْ لَمْ يَكُنْ جَاوَزَ الثَّلاَثِينَ وَلَكِنَّ عَلاَمَاتِ الْكِبَرِ كَانَتْ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِهِ وَقَدِّهِ لاَ يُخْدَعُ عَنْهَا أَحَدٌ. وَكَانَ عَلَى قِصَرِهِ مُقَوَّسَ الظَّهْرِ إِذَا قَامَ، مُنْحَنِيًا إِذَا جَلَسَ ،وَلَعَلَّ إِدْمَانَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَإِسْرَافَهُ فِي الْإِنْحِنَاءِ عَلَى الْكِتَابِ أَوِ الْقِرْطَاسِ هُمَا اللَّذَانِ شَوَّهَا قَدَّهُ هَذَا التَّشْوِيهَ، وَقَلَّمَا كَانَ وَجْهُهُ يَسْتَقِيمُ أَمَامَهُ إِنَّمَا كَانَ مُنْحَرِفَ الْعُنُقِ دَائِمًا إِلَى الْيَمِينِ أَوْ إِلَى الشِّمَالِ وَقَلَّمَا كَانَتْ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ تَسْتَقِرَّانِ بَيْنَ

جُفُونِه الضَّيِّقَةِ إِنَّمَا كَانَتَا مُضْطَرِبَتَيْنِ دَائِمًا لاَ تَكَادَانِ تَسْتَقِرَّانِ عَلَى شَيءٍ حَتَّى تَدَعَاهُ مُصَعِّدَتَيْنِ فِي السَّمَاءِ، أَوْ تَنْحَرِفَا عَنْهُ إِلَى مَا يَلِيه منْ إِحْدَى نَوَاحِيه .

وَلَمْ يَكُنْ صَوْتُهُ عَذْبًا وَلاَ مَقْبُولاً وَإِنَّمَا كَانَ غَلِيظًا فَجًّا وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَخْلُو مِنْ نَبَرَات حِلْوَةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ إِذَا قَرَأَ شَيْئًا فِيهِ تَأَثُّرٌ وَانْفِعَالٌ، وَكَانَ لَهُ ضَحِكٌ غَلِيظٌ مُخِيفٌ يُسْمَعُ مِنْ بَعِيد بَلْ كَانَ كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْ صَوْتِهِ غَلِيظًا مُخِيفًا يُسْمَعُ مِنْ بَعِيد وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّجْوَى مَعَهُ مِنْ سَبِيل .

طـــه حسين

41 - مصعب بن عمير

كَانَ غَضَّ الشَّبَابِ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، نَاضِرَ الْوَجْهِ، مُشْرِقَ الْجَبِينِ وَكَانَ عَذْبَ الصَّوْتِ، حِلْوَ الْحَدِيثِ لاَ تَكَادُ تَقَعُ عَلَيْهِ الْعَيْنُ حَتَّى تَهْوَاهُ النَّفْسُ ، وَلاَ يَكَادُ صَوْتُهُ يَقَعُ فِي الْأُذْنِ حَتَّى يَصْبُو إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَكَانَ حَسَنَ الزِّيِّ مَعْنِيًّا بِثِيَابِهِ وَشَكْلِهِ عِنَايَةً ظَاهِرَةً لاَ يَكَادُ يَرَاهُ الرَّائِي حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ لَهُ حَظًّا مِنْ نِعْمَةٍ وَفَضْلاً مِنْ يَسَارٍ وَكَانَ طَيِّبَ النَّشْرِ لاَ يَمُرُّ بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِهِ إِلاَّ قَالُوا هَذَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مُقْبِلاً ! يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِمَا يَتَقَدَّمُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ عَرْفٍ يَتَأَرَّجُ بِهِ الْهَوَاءُ. كَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ وَيُؤْثِرَانِهِ وَكَانَتْ أُمُّهُ خَاصَّةً تَقِفُ عَلَيْهِ حُبَّهَا وَحَنَانَهَا وَتَخُصُّهُ بِعِنَايَتِهَا وَتُحَكِّمُهُ فِي ثَرْوَتِهَا الْوَاسِعَةِ وَمَالِهَا الْكَثِيرِ.

وَكَانَ لِهَذَا كُلِّهِ أُحْدُوثَةَ قُرَيْشٍ وَمَوْضِعَ أَسْمَارِهَا تُعْجَبُ بِجَمَالِهِ الْبَارِعِ، وَشَبَابِهِ الرَّائِعِ وَحُسْنِ بِزَّتِهِ، وَكَثْرَةِ مَالِهِ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَيُعْجَبُ

مِنْهُ بِمَا يُعْجَبُ مِنْهُ النَّاسُ وَكَانَ سَمْحَ الْخُلُقِ رَخِيَّ النَّفْسِ صَافِيَ الطَّبْعِ مُهَذَّبَ الْمِزَاجِ فَلَمْ يَكُنْ يَكْلَفُ بِمَا يَكْلَفُ بِهِ فِتْيَانُ قُرَيْشٍ مِنَ الصَّيْدِ وَالْقَنَصِ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْلَفُ مَا كَانَ يَأْلَفُهُ كُهُولُ قُرَيْشٍ وَشُيُوخُهَا مِنْ حَدِيثِ الْمَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قُصَارَاهُ حَيَاةً هَادِئَةً وَادِعَةً قِوَامُهَا حُسْنُ الْعِشْرَةِ وَصَفْوُ الْحَدِيثِ.

طـــه حسين

(على هامش السيرة)

42 - ثبات المؤمن

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : « .. أَلَمْ تَرَ إِلَى « سُمَيَّةَ » كَيْفَ كَانَ جِسْمُهَا يَتَلَوَّى حِينَ كَانَتِ السِّيَاطُ تُلْهِبُهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ دُونَ أَنْ يَفْتَرَّ فَمُهَا عَنْ صَيْحَةٍ أَوْ أَنَّةٍ أَوْ شَهِيقٍ وَهِيَ الَّتِي كُنَّا نُثِيرُهَا إِلَى الْخَوْفِ أَوْ نُثِيرَ الْخَوْفَ إِلَيْهَا بِأَيْسَرَ مَا كُنَّا نَأْتِي مِنَ الحَرَكَاتِ نَعْبَثُ بِهَا وَنَسْخَرُ مِنْهَا حِينَ نَرَاهَا تَثُورُ كَأَنَّمَا دُفِعَتْ مِنَ الْأَرْضِ بِلَوْلَبٍ خَفِيٍّ ؟ ! »

قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ :

« .. أَمَّا أَنَا فَقَدْ رَأَيْتُ مِن « صُهَيْب » عَجَبًا : رَأَيْتُ الْقَوْمَ يُعَذِّبُونَهُ بِالنَّارِ وَيَنُوشُونَهُ بِالرِّمَاحِ وَيُلْهِبُونَ جِسْمَهُ بِالسِّيَاطِ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ حَدِيثَ مَنْ لاَ يَحْفِلُ بِمَا كَانُوا يَنَالونَهُ بِهِ مِنَ الْأَذَى وَرُبَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَأْسُ فَعَقَدَ لِسَانَهُ عَنِ الْقَوْلِ بُرْهَةً وَأَجْرَى عَلَى جَبِينِهِ شَيْئًا مِنَ الْعَرَقِ ثُمَّ لاَ يَلْبِثُ أَنْ تَثُوبَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَيَعُودَ إِلَى التَّحَدُّثِ إِلَى مُعَذِّبِيهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنَالوهُ بِمَكْرُوهٍ.

وَمَا يَزَالُونَ بِهِ يُعَذِّبُونَهُ بِالحَدِيد والنَّارِ وَالسِّيَاط، وَمَا يَزَالُ بِهِمْ يُعَذِّبُهُمْ بِهُدُوئِهِ وَثَبَاتِهِ وَتَحَدُّثِهِ إِلَيْهِمْ فِي أَيْسَرِ أُمُورِهِمْ حَتَّى إِذَا أَمَلَّهُمْ ضَاعَفُوا لَهُ الْعَذَابَ وَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ عَنْ أَطْوَارِهِمْ فَيَسْعَى إِلَى « صُهَيْب » شَيءٌ مِنْ ذُهُول ثُمَّ يَأْخُذُهُ شَيْءٌ يُشْبِهُ السُّكْرَ فَيَمْضِي فِي حَدِيثِهِ. وَلَكِنَّهُ يَقُولُ لِلْقَوْمِ غَيْرَ الصَّوَابِ وَيَعْرِفُ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ بَلَغُوا مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانُوا يُرِيدُونَ فَيَكُفُّونَ عَنْهُ مَكَاوِيَهُمْ وَرِمَاحَهُمْ وَسِيَاطَهُمْ. وَأَشْهَدُ لَقَدْ انْصَرَفْتُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَإِنِّي لِبَعْضِ أَمْرِهِمْ لَكَارِهٌ.. »

عن طه حسين
« بتصرف »

43 ـ الـــــــــــداء

أَلَمْ تَسْأَمْ وَعَيْشُكَ بَاتَ مُـرًّا ... تَوَسَّدُ مِنْ لَظَى الْآلَامِ جَمْرَا
تَقَلَّبُ فِي فِرَاشِ السُّقْمِ جَنْبًـا ... لِجَنْبٍ مُوقَدًا بَطْنًا وَظَهْـرَا
وَجَفْنُكَ لاَيَذُوقُ الْغُمْضَ سُهْدًا ... وَإِنْ هَجَعَتْ عُيُونُ النَّاسِ طُرًّا
وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ جَرَعَاتِ مَـاءٍ ... وَلاَ مَا صُبَّ فِي الْعَيْنَيْنِ قَطْرَا
وَلاَ الْإِبَرَ النَّوَاخِسَ نَافِثَـاتٍ ... مُخَدِّرَ أَزْمَةٍ لَزْبَاءَ تَـطْـرَا
وَلَكِنْ عَنْ مَرَارَةِ كُلِّ يَـوْمٍ ... أُحَدِّثُ لِلْمَلَا عِبَـرًا وَذِكْـرَا
وَإِنْ أَزِفَ الْمَسَاءُ وَخُرْتُ عَزْمًا ... أَتَى الْمَسَادُ مِهْرَاعًا مِـكَـرًّا
فَيَدْلُكُ بِالْمَرَاهِمِ جِسْمَ حَيٍّ ... كَمَيْتٍ يُصْعِدُ الْأَنْفَاسَ زَفْـرَا
وَأُعْطَى الْقُوتَ مَا أُعْطِيتُ قَبْـلاً ... فَأَقْبَلُهُ بِكُرْهِ النَّفْسِ جَبْـرَا
وَيَرْجِعُ بَعْدَ ذَا الْمَسَّـادُ لَيْـلاً ... فَيُلْفِينِي ضَئِيـلاً مُقْشَعِـرًّا
وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي ... وَكِدْتُ أَرَى حَيَاةَ الْمَرْءِ نُكْرَا
فَذَا دَائِي وَذَاكَ عِلاَجُ دَائِي ... وَلَسْتُ بِعَالِـمٍ أَيًّا أَمَـرًّا

سليمان البستاني

44 - المســـــــــلول

تَرَكَ الْمَدِينَةَ نَاقِلاً خَطَوَاتِـــهِ ... مُتَقَاوِيًا وَالضُّعْفُ فِي حَرَكَاتِهِ
مُتَثَاقِلاً مُتَمَهِّلاً وَالْيَأْسُ فِـــي ... بَسَمَاتِهِ وَالْحُزْنُ فِي نَظَرَاتِهِ
مُتَوَقِّفًا مُتَنَفِّسًا مُـتَقَـدِّمًـــا ... مُتَنَهِّدًا وَالْجَمْرُ مِنْ زَفَـرَاتِهِ
لاَ شَيْءَ مِنْ أَثَـرِ الصِّبَا فِي لَوْنِه ... لاَ شَيءَ فِي خَدَّيْهِ مِنْ زَهَرَاتِهِ
أَبْقَى الضَّنَا رَمَقًا يَجُولُ بِصَدْرِهِ ... مُتَرَدِّدًا فِي حَلْقِهِ ولَهَاتِـــهِ
وَاصْفَرَّ حَتَّى أَنْكَرَتْهُ رِفَاقُـــهُ ... بَلْ حَالَ هَيْكَلُهُ فَشَكَّ بِذَاتِهِ
نَأَى عَنِ الْأَحْبَابِ مُعْتَزِلاً فَلاَ ... يَلْقَى سِوَى الْأَشْبَاحِ فِي خَلَوَاتِهِ
نَظَرَ الْخُطُوطَ الشَّاحِبَاتِ بِوَجْهِهِ ... فَرَأَى خَيَالَ الْمَوْتِ فِي مِرْآتِهِ
يَطْفُو عَلَيْهِ الرُّعْبُ فِي يَقَظَاتِهِ ... وَتَرُوعُهُ الْأَحْلاَمُ فِي غَفَوَاتِـــهِ
مَوْصُولَـــةٌ آلاَمُـــهُ بِسُـــعَالِـــهِ ... مَسْكُوبَـةٌ رِئَتَاهُ فِي نَفَثَـــاتِـــهِ
لاَ الطِّبُّ أَسْلَمَهُ وَلاَ أَمَلٌ بِـــهِ ... حَتَّى يُعَلِّلَ صَاحِبٌ بِحَيَاتِهِ

عن شبلي ملاط

45 - الواهـــــــم

كَانَ يَتَّقِي الْمَرَضَ وَيَتَحَامَى أَسْبَابَهُ. لَقَدْ جَاءَ بِطَبِيب وَالْتَزَمَهُ بَيَاضَ يَوْمِهِ وَسَوَادَ لَيْلِهِ فَلاَ يَهُبُّ مِنْ فِرَاشِهِ إِلاَّ إِذَا أَمَرَهُ بِالْهُبُوبِ. وَلاَ يَطْمَئِنُّ إِلَى مَضْجَعِهِ إِلاَّ إِذَا أَذِنَهُ بِالإِطْمِئْنَانِ. وَلاَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ لِطِلْبَةٍ أَوْ فُرْجَةٍ إِلاَّ إِذَا أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ. وَلاَ يُبَدِّلُ ثَوْبَهُ أَوْ يَحُفُّ لِحْيَتَهُ أَوْ يَتَرَوَّى بِجَرْعَةِ الْمَاءِ إِلاَّ إِذَا أَوْحَى إِلَيْهِ الطَّبِيبُ. فَإِذَا اسْتَوَى إِلَى الْمَائِدَةِ تَحَرَّمَ أَوْ يَقُولَ إِلَيْهِ الطَّبِيبُ : أَصِبْ مِنْ هَذَا اللَّوْنِ وَأَقْلِلْ... وَنَلْ مِنْ هَذَا وَأَكْثِرْ... وَبَقِيَ عَلَيْكَ لِتُزْلِقَ هَذِهِ الْمُزْعَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ !

وَجَاءَ بِكُتُبِ الْحِكْمَةِ وَأَكَبَّ عَلَيْهَا لِيَتَفَهَّمَ مَبَاحِثَهَا وَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ فِي اتِّقَاءِ الأَمْرَاضِ وَعِلاَجِهَا.

وَلَكِنَّهُ قَدْ يُصَافِحُ إِنْسَانًا وَيَمَسُّ آنِيَةً أَوْ يَلْمُسُ ثَوْبًا فَسُرْعَانَ مَا يَفْزَعُ إِلَى الْمُطَهِّرَاتِ : هَذَا يَغْسِلُ بِهِ يَدَيْهِ وَهَذَا يُضَمِّخُ بِهِ ثَوْبَهُ وَهَذَا لِلْمَضْمَضَةِ وَهَذَا لِلاسْتِنْشَاقِ !

وَلَكِنَّهُ يَتَنَفَّسُ وَلاَ غَنَاءَ لَهُ عَنْ أَنْ يَتَنَفَّسَ وَقَدْ يَجُرُّ نَفَسُهُ نَسْمَةً مُؤْذِيَةً بِمَا تَحْمِلُ مِنَ « الميكْرُوبَاتِ » فَهُوَ دَائِبٌ عَلَى

تَجَرُّعِ الْأَدْوِيَةِ : هَذَا لِتَطْهِيرِ الْحَلْقِ وَهَذَا لِتَنْقِيَةِ الرِّئَتَيْنِ وَهَذَا لِتَنْظِيفِ الْمُصْرَانِ الدِّقَاقِ وَهَذَا لِتَرْوِيقِ الْكَبِدِ وَالْكِلْيَتَيْنِ.

وَلَكِنْ قَلْبَهُ يَضْرِبُ. وَمِنْ آيَاتِ الْحَيَاةِ أَنْ يَضْرِبَ الْقَلْبُ. أَفَأَمِنَ بَيْنَ سَاعَةٍ وَأُخْتِهَا أَنْ تَخْتَلَّ ضَرَبَاتُ قَلْبِهِ فَتَكُونَ نَفْسُهُ فِي إِحْدَى جَمَحَاتِهِ ! فَتَرَاهُ طِوَالَ يَوْمِهِ مُكِبًّا عَلَى كُرْسُوعِ يُسْرَاهُ بِبَنَانِ يُمْنَاهُ وَسَاعَتُهُ فِي حِجْرِهِ لِيَعُدَّ مَا تَدُورُ عَلَيْهِ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ ضَرَبَاتِ قَلْبِهِ... لَقَدْ اسْتَوَتْ سَبْعِينَ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ... لَقَدْ زَادَتْ إِلَى تِسْعِينَ فَوَا حَرَّ قَلْبَاهُ !... لَقَدْ تَدَلَّتْ إِلَى السِّتِّينَ وَذَلِكَ فُتُورٌ وَانْخِذَالٌ... لَقَدْ هَبَطَتْ إِلَى سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَذَلِكَ مِنْ نُذُرِ التَّلَاشِي وَالْانْحِلَالِ !... الْأَطِبَّاءُ... الْأَطِبَّاءُ.. عَلَيَّ « بِكُنْصِلْتُو » يَنْتَظِمُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ مِنْ كِبَارِ الْأَطِبَّاءِ !

وَكَذَا قَضَى الْعُمُرَ إِلَى غَايَتِهِ مَشْغُولاً عَنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ وَمَطَالِبِ الْحَيَاةِ بِشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى الْحَيَاةِ... »

عن عبد العزيز البشري

« بتصرف »

46 - شبح الموت

عَرَفَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ أَنَّ شَبَحًا مُنْكَرًا مُخِيفًا يُحَلِّقُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَمْ يَكُنْ الْمَوْتُ قَدْ دَخَلَ هَذِهِ الدَّارَ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأُمُّ الْحَنُونُ قَدْ ذَاقَتْ لَذْعَ الْأَلَمِ الصَّحِيحِ . نَعَمْ ! كَانَتْ فِي عَمَلِهَا وَإِذَا الطِّفْلَةُ تَصِيحُ صِيَاحًا مُنْكَرًا فَتَدَعُ أُمُّهَا كُلَّ شَيْءٍ وَتُسْرِعُ إِلَيْهَا وَالصِّيَاحُ يَتَّصِلُ وَيَشْتَدُّ وَالطِّفْلَةُ تَتَلَوَّى وَتَضْطَرِبُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ أُمِّهَا فَيَدَعُ الشَّيْخُ أَصْحَابَهُ وَيُسْرِعُ إِلَيْهَا وَالصِّيَاحُ يَتَّصِلُ وَيَشْتَدُّ وَالطِّفْلَةُ تَرْتَعِدُ ارْتِعَادًا مُنْكَرًا وَيَتَقَبَّضُ وَجْهُهَا وَيَتَصَبَّبُ الْعَرَقُ عَلَيْهِ . مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِي الْأَطْفَالِ - وَلَمَّا يَتَجَاوَزُوا الرَّابِعَةَ - قُوَّةً تَعْدِلُ هَذِهِ الْقُوَّةَ . وَتَأْتِي سَاعَةُ الْعَشَاءِ وَقَدْ مُدَّتِ الْمَائِدَةُ مَدَّتْهَا كُبْرَى أَخَوَاتِ الصَّبِيِّ وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ وَبَنُوهُ فَجَلَسُوا إِلَيْهَا وَلَكِنَّ صِيَاحَ الطِّفْلَةِ مُتَّصِلٌ فَلَا تُمَدُّ يَدٌ إِلَى طَعَامٍ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّقُونَ جَمِيعًا وَتُرْفَعُ الْمَائِدَةُ كَمَا مُدَّتْ وَالطِّفْلَةُ تَصِيحُ وَتَضْطَرِبُ وَأُمُّهَا تُحَدِّقُ إِلَيْهَا حِينًا وَتَبْسُطُ يَدَهَا إِلَى السَّمَاءِ حِينًا آخَرَ وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ رَأْسِهَا وَمَا كَانَ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَفْعَلَ ! وَلَكِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ كَانَتْ قَدْ أُغْلِقَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَدْ سَبَقَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ

فَيَسْتَطِيعُ الشَّيْخُ أَنْ يَتْلُوَ الْقُرْآنَ وَتَسْتَطِيعُ هَذِهِ الْأُمُّ أَنْ تَتَضَرَّعَ وَمِنْ غَرِيبِ الْأَمْرِ أَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ جَمِيعا لَمْ يُفَكِّرْ فِي الطَّبِيبِ وَتَقَدَّمَ اللَّيْلُ وَأَخَذَ صِيَاحُ الفَتَاةِ يَهْدَأُ وَأَخَذَ صَوْتُهَا يَخْفُتُ وَأَخَذَ اضْطِرَابُهَا يَخِفُّ وَخُيِّلَ إِلَى هَذِهِ الْأُمِّ التَّعِسَةِ أَنْ قَدْ سَمِعَ اللهُ لَهَا وَلِزَوْجِهَا وَأَنْ قَدْ أَخَذَتِ الْأَزْمَةُ تَنْحَلُّ وَفِي الحَقِّ أَنَّ الْأَزْمَةَ كَانَتْ أَخَذَتْ تَنْحَلُّ وَأَنَّ اللهَ كَانَ قَدْ رَأَفَ بِهَذِهِ الطِّفْلَةِ. تَنْظُرُ الْأُمُّ إِلَى ابْنَتِهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهَا أَنَّهَا سَتَنَامُ ثُمَّ تَنْظُرُ فَإِذَا هُدُوءٌ مُتَّصِلٌ لَا صَوْتَ وَلَا حَرَكَةَ وَإِنَّمَا هُوَ نَفَسٌ خَفِيفٌ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ شَفَتَيْنِ مُفَتَّحَتَيْنِ قَلِيلاً ثُمَّ يَنْقَطِعُ هَذَا النَّفَسُ وَإِذَا الطِّفْلَةُ فَارَقَتِ الْحَيَاةَ.

طه حسين

(الأيام)

47 - موت عبد المطلب

أَصْبَحَ الشَّيْخُ ذَاتَ يَوْمٍ مُثْقَلاً مَكْدُوداً يَحسُّ كَأَنَّ الْحَيَاةَ تُفَارِقُهُ، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ يَسْعَى إِلَيْهِ. وَكَأَنَّ الشَّيْخَ يُفَكِّرُ فِي هَذَا وَيَحسُّ أَنَّهُ يَزْدَادُ ثِقَلاً عَلَى ثِقَلٍ وَيَشْعُرُ كَأَنَّهُ يُفَارِقُ مَا حَوْلَهُ وَمَنْ حَوْلَهُ قَلِيلاً قَلِيلاً. لاَ يَتَقَدَّمُ فِي الزَّمَانِ لَحْظَةً حَتَّى يَخْطُوَ إِلَيْهِ الْمَوْتُ خُطُوَاتٍ. وَكَانَ الشَّيْخُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَصْوَاتِ النَّاسِ أَكْثَرَ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَ قَبْلَ أَنْ يَغْمُرَهُ الْمَوْتُ فَلاَ تَصِلُ إِلَيْهِ الأَصْوَاتُ. وَكَانَ أَحَبُّ الأَحَادِيثِ إِلَى الشَّيْخِ فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الْقَلِيلَةِ الْبَاقِيَةِ حَدِيثَ نَفْسِهِ. فَيَدْعُو بَنَاتِهِ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِنَّ أَنْ يَبْكِينَهُ كَمَا تَبْكِي النِّسَاءُ الْمَوْتَى وَيُلِحُّ عَلَيْهِنَّ فِي ذَلِكَ لأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَهُنَّ أَوْ لأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ رِثَاءَ نَفْسِهِ. وَهَؤُلاَءِ بَنَاتُهُ مِنْ حَوْلِهِ لِيَرْفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ نَادِبَاتٍ نَائِحَاتٍ مُعَدِّدَاتٍ مَآثِرَهُ وَمَفَاخِرَهُ مُصَوِّرَاتٍ هَذَا الْحُزْنَ الْعَمِيقَ الَّذِي كَانَ يَسْعَى حَثِيثًا إِلَى قُلُوبِهِنَّ كَمَا كَانَ الْمَوْتُ يَسْعَى حَثِيثًا إِلَى الشَّيْخِ

وَلَكِنْ يَسْمَعُ بَنَاتِهِ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِنَّ أَوْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِنَّ فَيَكْتَفِي بِمَا لاَ بُدَّ لَهُ مِنَ الإِيمَاءِ. ثُمَّ يُسْرِعُ إِلَى الْمَوْتِ وَيُسْرِعُ الْمَوْتُ إِلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَا فَلاَ إِيمَاءَ وَلاَ حَرَاكَ. قَدْ سَكَتَ الشَّيْخُ وَسَكَتَ بَنَاتُهُ لَحْظَةً ثُمَّ تَمْضِي حَيَاةُ النَّاسِ فِي طَرِيقِهَا.

طه حسين

48 - موت الشيخ « مبارك »

.... وَاسْتَيْقَظَ الْجِيرَانُ بُكْرَةَ يَوْمٍ وَقَدْ أَفْزَعَتْهُمْ صَرَخَاتٌ لاَهِفَةٌ تَنْبَعِثُ مِنْ بَيْتِ الشَّيْخِ « مُبَارَكٍ » فَفَطَنُوا لِمَا حَدَثَ وَتَأَهَّبُوا لِلْقُدُومِ يَسْتَجْلُونَ الْخَبَرَ وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ بَرَزَ « حَسَنٌ » (ابْنُ أَخِيهِ) مِنْ حُجْرَتِهِ فِي ذُهُولٍ فَاسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجُ عَمِّهِ مُعْوِلَةً تَنْدُبُ وَأَمْسَكَتْ بِهِ تَرْوِي لَهُ فَاجِعَةَ الصَّبَاحِ فَأَلْفَى الْفَتَى نَفْسَهُ يَنْتَحِبُ .وَمَا تَمَالَكَ أَنِ انْدَفَعَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ. وَلَمَّا هَادَنَتْهُ نَوْبَةُ النَّحِيبِ اسْتَبَانَتْ لَهُ زَوْجُ عَمِّهِ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ قَدْ أَدْرَكَهَا إِغْمَاءٌ فَأَسْرَعَ إِلَى الْمَاءِ يَنْضَحُ بِهِ وَجْهَهَا حَتَّى أَفَاقَتْ مَخْنُوقَةَ الصَّوْتِ مَهْزُومَةَ الْأَوْصَالِ.

وَتَقَاطَرَ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ عَلَى الْبَيْتِ يُؤَدُّونَ وَاجِبَ الْمُؤَاسَاةِ وَيَعْرِضُونَ صُنُوفَ الْعَوْنِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ...

وَاتُّخِذَتِ الْأُهْبَةُ لِسَيْرِ الْجَنَازَةِ فَأَسْفَرَ النَّعْشُ تَتَقَدَّمُهُ عُصْبَةٌ مِنَ الْمُنْشِدِينَ يُوَحِّدُونَ الْحَيَّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ. وَيَتْلُو النَّعْشَ

جَمَاعَةُ الْمُشَيِّعِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَرَاءَهُمْ صُفُوفٌ مِنَ النِّسَاءِ خَرَجْنَ يُجَامِلْنَ صَاحِبَتَهُنَّ « أَمَّ خَلِيلٍ » فِي الْمَشْهَدِ الْعَصِيبِ.

وَبَلَغَ النَّعْشُ غَايَةَ الْمَطَافِ وَوَقَفَ « حَسَنٌ » عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ مُخَشَّبَ الْجَسَدِ لاَ يَنْبِسُ وَهْوَ يَرْقُبُ جُثْمَانَ عَمِّهِ إِذْ يُدْلُونَهُ فِي تُؤَدَةٍ وَحَذَرٍ... وَبَغْتَةً ثَارَتْ عَلَيْهِ مَشَاعِرُهُ فَرَاحَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ وَيَجْذِبُ شَعَرَهُ وَيُرْسِلُ مِنْ حَلْقِهِ صَيْحَاتٍ مَخْبُولٍ..

محمود تيمور

49 - الشهيـــــــــــد

قَامَ يَخْتَالُ كَالْمَسِيحِ وَئِيدَا يَتَهَادَى نَشْوَانَ يَتْلُو النَّشِيدَا
بَاسِمَ الثَّغْرِ كَالْمَلاَئِكِ أَوْ كَالطِّفْلِ يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الْجَدِيدَا
شَامِخًا أَنْفُهُ جَلاَلاً وَتِيهًا رَافِعًا رَأْسَهُ يُنَاجِي الْخُلُودَا
رَافِلاً فِي خَلاَخِلَ زَغْرَدَتْ تَمْلأُ مِنْ لَحْنِهَا الْفَضَاءَ الْبَعِيدَا
حَالِمًا كَالْكَلِيمِ كَلَّمَهُ الْمَجْدُ فَشَدَّ الْحِبَالَ يَبْغِي الصُّعُودَا
وَتَسَامَى كَالرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ سَلاَمًا يَشِعُّ فِي الْكَوْنِ عِيدَا
وَامْتَطَى مِقْصَلَ الْبُطُولَةِ مِعْرَاجًا وَوَافَى السَّمَا يَرْجُو الْمَزِيدَا
وَتَعَالَى مِثْلَ الْمُؤَذِّنِ يُلْقِي كَلِمَاتِ الْهُدَى وَيَدْعُو الرُّقُودَا

صَرْخَةٌ تَرْجُفُ الْعَوَالِمُ مِنْهَا وَنِدَاءٌ مَضَى يَهُزُّ الْوُجُودَا
اشْنُقُونِي فَلَسْتُ أَخْشَى حِبَالاً وَأَعْدِمُونِي فَلَسْتُ أَخْشَى الْحَدِيدَا
وَامْتَثِلْ سَافِرًا مُحَيَّاكَ جَلاَّ دِي وَلاَ تَلْتَثِمْ فَلَسْتُ حَقُودَا

وَاقْضِ يَامَوْتُ فِيمَا أَنْتَ قَاضٍ أَنَا رَاضٍ إِنْ عَاشَ شَعْبِي سَعِيدَا
أَنَا إِنْ مُتُّ فَالْجَزَائِرُ تَحْيَا حُرَّةً مُسْتَقِلَّةً لَنْ تَبِيدَا

قَوْلَةٌ رَدَّدَ الزَّمَانُ صَدَاهَا قُدُسِيًّا فَأَحْسَنَ التَّرْدِيدَا
احْفَظُوهَا زَكِيَّةً كَالْمَثَانِي وَانْقُلُوهَا لِلْجِيلِ ذِكْرًا مَجِيدَا
وَأَقِيمُوا مِنْ شَرْعِهَا صَلَوَات طَيِّبَات وَلَقِّنُوهَا الْوَلِيدَا

شاعر جزائري
(جريدة المقاومة الجزائرية)

المحور الثانى

الانسان بين الحيوانات والنبات

1 - من أغاني الرعاة

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغَنِّي لِلْحَيَاةِ النَّاعِسَهْ
وَالرُّبَى تَحْلُمُ فِي ظِلِّ الْغُصُونِ الْمَائِسَهْ
وَالصَّبَا تُرْقِصُ أَوْرَاقَ الزُّهُورِ الْيَابِسَهْ
وَتَهَادَى النُّورُ فِي تِلْكَ الْفِجَاجِ الدَّامِسَهْ

أَقْبَلَ الصُّبْحُ جَمِيلاً يَمْلَأُ الْأُفْقَ بَهَاهْ
فَتَمَطَّى الزَّهْرُ وَالطَّيْرُ وَأَمْوَاجُ الْمِيَاهْ
قَدْ أَفَاقَ الْعَالَمُ الْحَيُّ وَغَنَّى لِلْحَيَاهْ
فَأَفِيقِي يَا خِرَافِي وَاهْرَعِي لِي يَا شِيَاهْ

وَاتْبَعِينِي يَا شِيَاهِي بَيْنَ أَسْرَابِ الطُّيُورْ
وَامْلَئِي الْوَادِي ثُغَاءً وَمِرَاغًا وَخُبُورْ
وَاسْمَعِي هَمْسَ السَّوَاقِي وَانْشُقِي عِطْرَ الزُّهُورْ
وَانْظُرِي الْوَادِي يُغَشِّيهِ الضَّبَابُ الْمُسْتَنِيرْ

وَاقْطِفِـي مِنْ كَلَإِ الْأَرْضِ وَمَرْعَاهَا الْجَدِيـــدْ
واسْمَعِي شَبَّابَتِي تَشْدُو بِمَعْسُولِ النَّشِـــــدْ
نَغَمٌ يَصْعَدُ مِـنْ قَلْبِـي كَـأَنْفَاسِ الْـوُرُودْ
ثُمَّ يَسْمُوا طَائِـرًا كَالْبُلْبُلِ الشَّادِي السَّعِيدْ

أبو القاسم الشـــابـي

(الـديوان)

2 ـ عودة القطيع

1 ـ مَا أَلَذَّ وَقْعَ حَوَافِرِ الْقَطِيعِ عَائِداً عِنْدَ الْغُرُوبِ فَهُوَ كَحَفِيفِ أَوْرَاقِ الْخَرِيفِ الصَّفْرَاءِ، وَكَتَسَاقُطِ الْمَطَرِ عَلَى السُّطُوحِ فِي اللَّيْلَةِ الْخَرْسَاءِ ..... مَوْكِبٌ صَامِتٌ. الْقَطِيعُ بَيْنَ مَدَبِّرَيْنِ : الْكَرَّازُ أَمَامَهُ وَالرَّاعِي خَلْفَهُ، وَالْكَلْبُ يَرُوحُ وَيَجِيءُ بَيْنَهُمَا. فِي كَتِفِ الرَّاعِي سَطْلُهُ وَهُوَ مُزَنَّرٌ بِالْجِرَابِ يَشُكُّ فِي وَسَطِهِ النَّايَ

2 ـ الْمَوْكِبُ يَمْشِي الْهُوَيْنَا وَالزَّعِيمَانِ لاَ يَتَكَلَّمَانِ. لاَ صَوْتَ يُسْمَعُ إِلاَّ رَنِينُ الْجَرَسِ الْمُعَلَّقِ فِي عُنُقِ الْكَرَّازِ وَعَلَى الكَرَّازِ الْمَهَابَةُ تَفِيضُ عَلَى جَنَبَاتِ الدَّرْبِ فَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ الْتَفَتَةً كَأَنَّهُ يَحُسُّ طَعْمَ الزَّعَامَةِ تَحْتَ أَضْرَاسِهِ.

مَنْ رَأَى الْكَرَّازَ يَمْشِي بِأُبَّهَةٍ وَجَلاَلٍ خَالَهُ يُفَكِّرُ بِمشَاكِلَ خَطِيرَةٍ. كَانَ صَوْتُ جَرَسِهِ يُعْلِنُ قُدُومَهُ فَأُسْرِعُ إِلَى اسْتِقْبَالِهِ وَمَتَى غَابَ عَنِّي شَغَلَنِي الْمَعَّازُ الظَّرِيفُ يُدَاعِبُ سَائِلِيهِ عَنِ الْحَلِيبِ وَاللَّبَنِ وَعَيْنُهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ.

3 ـ عَجِبْتُ لِمَعْرِفَتِهِ قَطِيعَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا فَقَالَ : « لاَتَتَعَجَّبْ

أَعْرِفُهُمْ مِثْلَمَا تَعْرِفُ تَلاَمِيذَكَ وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ اسْمٌ وَفِي عَنَزَاتِي الْمُطِيعَةُ وَالْعَاصِيَةُ وَالْهَادِئَةُ وَالْوَرِشَةُ. عِنْدِي شَقْرَاءُ تَتَلَصَّصُ مِثْلَ الْبَشَرِ تُغَافِلُنِي وَتَغْزُو. السَّكَّاءُ آدَمِيَّةٌ جِدًّا بِنْتُ حَلاَلٍ لاَ تُتْعِبُنِي أَبَـــدًا.

وَقَالَ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ : « اللهُ يَرْضَى عَلَيْهَا وَلَكِنَّ الْمَلْحَاءَ شَيْطَانَةٌ بِنْتُ حَرَامٍ لَهَا حَرَكَاتٌ تُشِيبُ الرَّأْسَ إِذَا غَفَلَتْ عَيْنِي عَنْهَا تَهْجُمُ وَتَنْتِشُ هِيَ وَحْدَهَا سَوَّدَتْ وَجْهِي عِنْدَ أَهْلِ الضَّيْعَةِ..»

مارون عبـــود

3 - بين خروفين

اجْتَمَعَ لَيْلَةَ الْإِضْحَى خَرُوفَانِ فِي دَارِنَا، أَمَّا الْأَوَّلُ فَكَبْشٌ أَصُوفُ أَقْرَنُ انْتَهَى سِمَنُهُ حَتَّى ضَاقَ جِلْدُهُ بِلَحْمِهِ وَسَحَّ بَدَنُهُ بِالشَّحْمِ سَحًّا فَإِذَا تَحَرَّكَ خِلْتَهُ سَحَابَةً يَضْطَرِبُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَيَهْتَزُّ شَيْءٌ مِنْهَا فِي شَيْءٍ، وَلَهُ وَافِرَةٌ يَجُرُّهَا خَلْفَهُ جَرًّا فَإِذَا رَأَيْتَهَا مِنْ بَعِيدٍ حَسِبْتَهَا حَمَلاً يَتْبَعُ أَبَاهُ وَهُوَ مِنِ اجْتِمَاعِ قُوَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ أَشْبَهُ بِالْقَلْعَةِ يَعْلُوهَا مِنْ هَامَتِهِ كَالْبُرْجِ الْحَرْبِيِّ فِيهِ مِدْفَعَانِ بَارِزَانِ وَتَرَاهُ أَبَدًا مُصَعِّرًا خَدَّهُ كَأَنَّهُ أَمِيرٌ مِنَ الْأَبْطَالِ.

وَأَمَّا الآخَرُ فَهُوَ جَذَعٌ فِي رَأْسِ الْحَوْلِ مِنْ مَوْلِدِهِ وَكَانَ يَثْغُو لاَ يَنْقَطِعُ ثُغَاؤُهُ فَقَدْ أُخِذَ مِنْ قَطِيعِهِ انْتِزَاعًا فَأَحَسَّ الْوِحْشَةَ وَتَنَبَّهَتْ فِيهِ غَرِيزَةُ الْخَوْفِ مِنَ الذِّئْبِ فَزَادَتْهُ إِلَى الْوِحْشَةِ قَلَقًا وَاضْطِرَابًا.

فَلَمَّا أَدْبَرَ النَّهَارُ وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ جِيءَ لِلْخَرُوفَيْنِ بِالْكَلإِ يَعْتَلِفَانِهِ فَأَحَسَّ الْكَبْشُ أَنَّ فِي الْكَلإِ شَيْئًا لَمْ يَدْرِ مَا هُوَ وَانْقَبَضَتْ نَفْسُهُ كَأَنَّمَا أَدْرَكَتْ أَنَّهُ آخِرُ رِزْقِهِ عَلَى الْأَرْضِ

فَعَافَ أَنْ يَطْعَمَ، وَرَجَعَ كَأَوَّلِ فِطَامِهِ عَنْ أُمِّهِ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَأْكُلُ، وَكَانَ الصَّغِيرُ قَدْ أَنِسَ إِلَى الْمَكَانِ وَالظُّلْمَةِ، وَأَقْبَلَ يَعْتَلِفُ وَيَخْضِمُ الْكَلأَ. فَقَالَ لَهُ الْكَبْشُ : « أَرَاكَ فَارِهًا يَا ابْنَ أَخِي كَأَنَّكَ لاَ تَجِدُ مَا أَجِدُ ، إِنِّي لأُحِسُّ أَنَّ الْقَدَرَ مُصْبِحُنَا مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ. قَالَ الصَّغِيرُ : « أَتَعْنِي الذِّئْبَ ؟ » قَالَ الْكَبْشُ : « اسْمَعْ أَيُّهَا الأَبْلَهُ لَقَدْ رَأَيْتُ أَخِي مُنْذُ كُنْتُ جَذَعًا مِثْلَكَ وَرَأَيْتُ صَاحِبَنَا الذِي كَانَ يَعْلِفُهُ وَيُسَمِّنُهُ قَدْ أَخَذَهُ فَأَضْجَعَهُ فَجَثَمَ عَلَى صَدْرِهِ شَرًّا مِنَ الذِّئْبِ وَجَاءَ بِشَفْرَةٍ بَيْضَاءَ لاَمِعَةٍ فَجَرَّهَا عَلَى حَلْقِهِ فَإِذَا دَمُهُ يَشْخَبُ وَيَتَفَجَّرُ وَجَعَلَ الْمِسْكِينُ يَنْتَفِضُ وَيَدْحَصُ بِرِجْلَيْهِ ثُمَّ سَكَنَ وَبَرَدَ. فَقَامَ الرَّجُلُ فَفَصَلَ عُنُقَهُ . »

عن مصطفى صادق الرَّافِعِي

(وحي القلم الجزء الاول)

4 - حمـــــــــاري

لَقَدْ عَرَفْتُهُ مُنْذُ صِغَرِي فِي صُورَةِ جَحْشٍ جَمِيلٍ اشْتَرَاهُ لِي أَهْلِي بِثَلاَثِينَ قِرْشًا وَجَعَلُوهُ لِنُزْهَتِي فِي الرِّيفِ وَكَانَتْ لَهُ بِرْذَعَةٌ صَغِيرَةٌ حَمْرَاءُ لاَ أَنْسَاهَا وَكُنَّا خَيْرَ رَفِيقَيْنِ لاَ نَفْتَرِقُ إِلاَّ لِلنَّوْمِ فَقَدْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّي أَيْ فِي طَوْرِ الطُّفُولَةِ مِنْ فَصِيلَتِهِ كَمَا كُنْتُ أَنَا فِي طَوْرِ الطُّفُولَةِ فِي جِنْسِي.

عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْمَوَدَّةِ عِشْنَا حَتَّى فَرَّقَتْ بَيْنَنَا الأَيَّامُ فَذَهَبْتُ أَنَا إِلَى مَدَارِسِ الْحَضَرِ وَبَقِيَ هُوَ فِي رِيفِهِ، وَعُدْتُ فِي الصَّيْفِ بَعْدَ أَعْوَامٍ فَوَجَدْتُ الْحَيَاةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ فَالْبِرْذَعَةُ الْحَمْرَاءُ قَدْ نُزِعَتْ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ وَأُلْقِيَ بِهَا فِي مَكَانٍ مَهْجُورٍ وَوُضِعَ مَكَانَهَا زِنْبِيلٌ يُحْمَلُ فِيهِ التُّرَابُ وَالطِّينُ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَمَسَحْتُ رَأْسَهُ بِكَفِّي فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةً حَزِينَةً وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِي: « أَرَأَيْتَ ؟ لَقَدْ ذَهَبَتِ الطُّفُولَةُ وَوَلَّتْ أَيَّامُ الْهَنَاءِ » وَحَزَّتْ تِلْكَ النَّظْرَةُ فِي قَلْبِي وَنَظَرْتُ إِلَى مَنْ حَوْلِي قَائِلاً: « أَمَا كُنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُجَنِّبُوهُ هَذَا الْعَمَلَ الشَّاقَّ الْمُهِينَ وَتَجْعَلُوهُ عَلَى الأَقَلِّ لِلرُّكُوبِ ! »

وَكَأَنَّهُ فَهِمَ عَنِّي فَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوِي وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لاَ فَائِدَةَ ! لاَ تُجْهِدْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ. مَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرُكَ يَعْرِفُ لِي قَدْرًا !

توفيق الحكيم

5 ـ جهـاز البغلـة

وَجَاءَ مَحْبُوبٌ فِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي يَقُودُ بَغْلَتَهُ الْمَحْبُوبَةَ وَقَدْ أَثْقَلَ عُنُقَهَا بِالْقَلاَئِدِ وَالأَطْوَاقِ، وَفِيهَا الشَّرَارِيبُ وَالأَجْرَاسُ وَفِيهَا الْوَدَعُ وَالْخَرَزُ، وَفِي إِحْدَاهَا بَيْنَ الشَّرَّابَتَيْنِ خَرْزَةُ الْعَيْنِ. أَطْوَاقٌ مِنَ الصُّوفِ: زَرْقَاءُ حَمْرَاءُ خَضْرَاءُ مَجْدُولَةٌ مَفْتُولَةٌ، وَبَيْنَهَا طَوْقٌ مُرَصَّعٌ بِالْوَدَعِ وَمُزْدَانٌ بِصَفٍّ مِنَ الْجَلاَجِلِ الصَّفْرَاءِ الْمُدَوَّرَةِ فَكَانَتْ الْبَغْلَةُ نَوْبَةً مَاشِيَةً، وَكَانَتْ إِذَا هَزَّتْ رَقَبَتَهَا أَوْ ضَرَبَتْ بِرَأْسِهَا ذُبَابَةً هُنَاكَ تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الأَجْرَاسِ فَرْقَعَاتٌ وَأَصْوَاتٌ تُجْفِلُ الْمَوَاشِيَ وَتُفْزِعُ الطُّيُورَ.

قلْتُ لِمَحْبُوب :

ـ لاَ بَأْسَ بِهَذِهِ الْقِلاَدَةِ الَّتِي فِيهَا التَّعَاوِيذُ وَبِهَذِهِ الْحَمْرَاءِ الْخَضْرَاءِ ذَاتِ الشَّرَارِيبِ، وَبِهَذِهِ الْمُرَصَّعَةِ بِالْخَرَزِ وَالْوَدَعِ. أَمَّا الْجَلاَجِلُ يَا مَحْبُوبُ فَهِيَ لُعَبُ الصِّغَارِ وَبَغْلَتُكَ كَبِيرَةٌ جَلِيلَةٌ مُوَقَّرَةٌ لاَ يَلِيقُ بِهَا مَا يَلِيقُ بِجِحَاشِ الْبِغَالِ ! فَهَزَّ مَحْبُوبٌ رَأْسَهُ

أُفُقِيًّا وَهُوَ يَنْتَزِعُ الْقِلاَدَةَ الْمُوسِيقِيَّةَ مِنْ رَقَبَةِ بَغْلَتِهِ وَيَقُولُ مُخَاطِبًا الْهَوَاءَ : هِيَ تَسْتَأْنِسُ بِالْأَجْرَاسِ .

وَكَأَنِّي بِالْبَغْلَةِ تُكَذِّبُهُ فِي الْحَالِ فَقَدْ رَمَقَتْنِي بِنَظْرَةٍ مِنْ عَيْنَيْهَا النَّاعِسَتَيْنِ وَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَمُودِيًّا لِتُخْبِرَنِي شَاكِرَةً أَنَّهَا مُرْتَاحَةٌ إِلَى هَذَا التَّشْذِيبِ فِي زِينَتِهَا

بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ الْخَادِمُ بِالسَّجَّادَةِ وَبِمِخَدَّتَيْنِ فَفَرَشَ مَحْبُوبٌ السَّجَّادَةَ عَلَى ظَهْرِ الْبَغْلَةِ وَوَضَعَ تَحْتَهَا إِلَى الْأَمَامِ وَإِلَى الْوَرَاءِ الْمِخَدَّتَيْنِ وَأَوْثَقَهُمَا بِالْحِبَالِ فَغَدَا الْجِلاَلُ سَرْجًا مُحْكَمًا نَاعِمًا .

وَجَاءَتِ الْخَادِمَةُ بِالْخُرْجِ الثَّقِيلِ وَفِي أَحَدِ عِدْلَيْهِ الزَّادُ وَفِي الْآخَرِ حَاجِيَاتُ السَّفَرِ الْأُخْرَى فَشُدَّ إِلَى مُؤَخَّرِ السَّرْجِ ....

وَمَشَى مَحْبُوبٌ يَقُودُ الْبَغْلَةَ

أمين الريحاني
(قلب لبنان)
(بتصرف)

الفروسيـــــــــــة

1 ــ دعينا مرة أنا وطائفة من الاخوان الى قضاء يومين في ضيعة أحدهم وكانت قريبة من احدى الضواحي فركبنا القطار إليها وهناك وجدنا طائفة شتى من الخيل والبغال والحمير فتوهمت في أول الأمر أن هناك سوقا للدواب أو معرضا لها ثم علمت أنها لركوبنا فاخترت من بينها حمارا صغيرا وهممت بامتطائه ولكن صاحب الضيعة وداعينا، عز عليه أن يركب المازني حمارا وجاءني بجواد أصيل وأقسم علي لأركبنه فاستحييت أن أقول له إني أخاف ركوبه وأنه لاعهد لي بالخيل ودنوت من بعض الخدم وهمست في أذنيه هذا السؤال : قل لي كيف تركب هذا الحصان ؟

2 ــ فتأملني مليا ثم قال وعلى فمه ابتسامة : على ذيله، قلت : على ماذا ؟ قال ذيله واشاح عني بوجهه فذهبت الى الجواد وأدرت عيني في ذيله ثم هززت رأسي وعدت الى الخادم أسأله ·

ألا تظن ياصاحبي أن الأحزم أن امتطيته قريبا من العنق لأستطيع عند الحاجة أن أطوقه بذراعي ؟ فلم يزد الرجل على أن قال: ربما ، وانصرف عني الى سواي، وكنا جميعا في هرج ومرج نصيح ونضحك وكان لا بد أن أفعل شيئا فناديت مضيفنا وقلت له : أريد سلما قال في دهشة : سلما ؟ ما حاجتك إليه ؟ قلت : حاجتي إليه أني أريد أن أصعد الى ظهر هذا المجلى يا صاحبي فضحك وقال : أنا أساعدك

ودفعني على ظهر الجواد دفعة خيل إلي أنها ستقلبني على الارض من الناحية الأخرى

3 ــ وسرنا مسافة على مهل ثم وخز أحدنا دابته فمضت تعدو واستحث آخر مطيته وانطلق بها وراءه، واقترب مني ثالث وأهوى على جوادي بعصا معه فوثب الجواد وراح يسابق الريح أو هكذا خيل إلي، وأنا أعلو وأهبط فوقه حتى أحسست أن أمعائي سيتقطع، وألتمس بيدي شيئا أمسكه وأتعلق به فتفلت قبضتي كل ما تصل إليه، فارتميت على عنقه وطوقتها وجعلت أنادي من حولي وأناشدهم الذمة والضمير والمروءة أن يقفوا هذا الشيطان وأدرك أحد إخواني العطف علي فصاح بي : ولكن كيف نقفه ونحن راكبون ؟ فغاضني منه هذا البله، ولم يفتني ما في الموقف من فكاهة، على الرغم من الألم الذي أعانيه ومما أتوقعه إذا ظل الجواد يركض بي، فقلت له : يا أبله، انزل واقبض على ذيل حصاني وشده.

4 ــ وكان أحد الخدم قد أدركني وأمسك باللجام ورد الجواد، فما أسرع ما انحدرت عنه وكأنما أعجبتني جلستي على الأرض، فأخرجت سيجارة وأشعلتها وذهبت أدخن وجائني مضيفنا على أثانه فسألني : أتنوي أن تقعد هنا الى الأبد، فأغضيت عن سؤاله وقلت إن بي حاجة الى الشعور بثبات الأرض بعد كل هذا التقلقل وتلك الزعزعة قال : ولكنك لا تستطيع أن تظل جالسا هكذا، إن أمامنا مسير ساعة قلت سألحق بكم إذن أو أرجع إذا كان لابد من ركوب هذا الزلزال قال : لاتمزح قم اركب حماري هذا ، قلت : اذا كان الحمار عاليا فما الفرق بينه وبين الجواد. قال بلهجة اليائس أو المنتقم : إذن خذ هذا. وأشار الى جَحْش قمىء مهين يركبه خادم لاسرج عليه ولا لجام، فقمت إليه وامتطيته بوثبة واحدة وبلا معين.

5 ــ واعترضتنا قناة عريضة عليها ألواح مثبتة تقوم مقام الجسر وبين الألواح والماء تحتها متر على الأقل، فلما توسطها الجحش بدا له أن يقف ؛ وراقه منظر الماء

فأجاب فيه سبيه بزعة ثم حطا الى حافة الجسر ولم يكن له حاجز ومد عنقه الى الماء فصنت انه قصير النظر وأنه يفعل ذلك ليكون أقدر على رؤية خياله في الماء واجتلاء طلعته البهية في صفائه. ولكنهم قالوا لي إنه كان يريد أن يشرب فنزلت عنه وقلت له يا عزيزي إن من دواعي أسفي أني مضطر أن أتركك الى الماء وحدك. فإن ثيابي يفسدها الماء وهي غالية اذا كانت حياتي رخيصة.

6 — ويطول بنا الكلام اذا أردت أن أصف كل ما امتعني به من الفكاهات العمليةفقد كان فيه عناد وصلف وكان يأبى أن يتوسط الطريق ولا يرضيه الا أن يحك جنبه في كل ما يلقاه من حجر أو عربة أو حائط وكان ربما وقف وغرس رجليه في الارض كأنه نام، ثم تعودت منه ذلك وفطنت الى أنه ذو مزاج مستقل فكنت أتركه واقفا حتى ينتبه من هذه الاغفاءات أو يعود إلي من سبحات عقله الساقط. فنستأنف المسير وبحسبي وحسب القراء أن أقول لهم أني أسفت على فراقه لما انتهت الرحلة وتمنيت لو أن صحبتنا كانت أطول.

ابراهيم عبد القادر المازني

6 - وفاء كلب

إِنَّ رَجُلاً خَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ يَنْتَظِرُ ابْنَهُ فَاتَّبَعَهُ كَلْبٌ لَهُ فَكَرِهَ أَنْ يَتْبَعَهُ فَضَرَبَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ وَرَمَاهُ بِحَجَرٍ، فَأَبَى الْكَلْبُ إِلاَّ أَنْ يَتْبَعَهُ. فَلَمَّا صَارَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُرِيدُ فِيهِ الْانْتِظَارَ رَبَضَ الْكَلْبُ قَرِيبًا. وَبَيْنَمَا الرَّجُلُ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُ أَعْدَاءٌ يَطْلُبُونَهُ بِثَأْرٍ لَهُمْ عِنْدَهُ وَكَانَ مَعَهُ جَارٌ لَهُ وَأَخُوهُ فَأَسْلَمَاهُ وَهَرَبَا عَنْهُ. فَجُرِحَ جِرَاحَاتٍ وَرُمِيَ بِهِ فِي بِئْرٍ غَيْرِ عَمِيقَةٍ. ثُمَّ صَبُّوا عَلَيْهِ التُّرَابَ حَتَّى غُطِّيَ رَأْسُهُ وَالكَلْبُ فِي ذَلِكَ يَعْوِي وَيَهِرُّ. فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَتَى الْكَلْبُ رَأْسَ الْبِئْرِ فَمَا زَالَ يَعْوِي وَيَنْبِشُ عَنْهُ وَيَحْثُو التُّرَابَ بِيَدِهِ وَيَكْشِفُهُ عَنْ رَأْسِهِ حَتَّى أَظْهَرَ رَأْسَهُ فَتَنَفَّسَ الرَّجُلُ وَرُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ وَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ إِلاَّ حُشَاشَةٌ.

وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ أُنَاسٌ فَاسْتَغْرَبُوا مَكَانَ الْكَلْبِ وَرَأَوْهُ يَحْفِرُ عَنْ قَبْرٍ فَنَظَرُوا. فَإِذَا هُمْ بِالرَّجُلِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَاسْتَشَالُوهُ فَأَخْرَجُوهُ حَيًّا وَحَمَلُوهُ حَتَّى أَدَّوْهُ إِلَى أَهْلِهِ.

الجاحظ
(كتاب الحيوان)
(بتصرف)

7 ـ مشهد صيد

تَشَمَّمَ كَلْبُ الصَّيْدِ طَيْرًا فَأَبْرَزَتْ ... نَوَاجِذُهُ نَصْلاً وَمِخْلَبُهُ مُدَى

وَسَافَ خَبَايَا الْعُشْبِ شَمًّا بِمِخْطَمٍ ... تَنَسَّمَ خَلْفَ الْعُشْبِ رِيحًا بِهَا اهْتَدَى

كَأَنَّ لَهُ عَيْنًا عَلَى أَنْفِهِ تَرَى ... خِلاَلَ مَهَبِّ الرِّيحِ صَيْدًا تَلَبَّدَا

نَضَا ذَنَبًا صُلْبَ الْقَنَاةِ مُصَوِّبًا ... وَشَالَ بِرِجْلٍ عَاقِفًا بَعدهَا يَدَا

وَحَمْلَقَ لَمْ يَطْرِفْ بِعَيْنَيْهِ طَارِفٌ ... يَلُوكُ شَجًى فِي حَلْقِهِ مُتَرَدِّدَا

وَمَالَ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ يَهِيبُ بِي ... كَعَبْدٍ يُمَنِّي بِالْغَنِيمَةِ سَيِّدَا

فَلاَذَتْ لِخَطْوِي الطَّيْرُ بِالْجَوِّ وَارْتَمَتْ
تُغَلِّفُهَا بِالنَّارِ قَاذِفَةُ الرَّدَى

فَأَقْبَلَ نَحْوِي يَمْلَأُ الرِّيشُ شَدْقَهُ ... وَأَلْقَى بِبِشْرٍ فِي يَدَيَّ مَا تَصَيَّدَا

وَمَرَّغَ بِالْعُشْبِ الظُّلُوعَ كَأَنَّهُ ... يُلَبِّدُ لِي مِنْ لَيِّنِ الْعُشْبِ مَقْعَدَا

شفيق معلوف

8 ـ القـــــــطط

اتَّفَقَ يَوْمًا أَنْ دَخَلَ عَلَيْنَا قِطٌّ ضَخْمٌ بِلاَ اسْتِئْذَانٍ فَهَمَمْتُ بِطَرْدِهِ إِذْ حَسِبْنَا مَا يُصِيبُنَا مِنَ الْقِطَطِ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنِّي لَمَحْتُ قِطًّا آخَرَ وَاقِفًا بِالْبَابِ يُشَاوِرُ نَفْسَهُ، وَلَمْ أَكَدْ أَرَاهُ حَتَّى كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ نَاشِبَةً بَيْنَ الْقِطَّيْنِ، وَكَانَا يَدورَانِ وَذَيْلاَهُمَا مَرْفُوعَانِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَةَ لِلْوُقُوعِ فِي خَصْمِهِ، وَكَانَتْ أَصْوَاتُهُمَا الْمُنْكَرَةُ كَأَنَّهَا الْمَسَامِيرُ فِي آذَانِنَا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَهُمَا كَمُوسِيقَى الْحَرْبِ عَلَى مَا يَظْهَرُ، ثُمَّ اشْتَبَكَا بَعْدَ أَنْ وَزَنَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَأَخَذَتِ الْمَخَالِبُ تَطُولُ وَتَنْغَرِزُ فِي أَجْسَامِهِمَا وَالْأَسْنَانُ تُسَاعِدُهَا وَكَانَا يَتَقَلَّبَانِ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُمَا يَتَصَايَحَانِ بِصَيْحَاتِ الْحَرْبِ، وَأَنَا وَاقِفٌ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ أُشَجِّعُهُمَا وَأَسْتَحِثُّهُمَا وَأَقُولُ لِلَّذِي يَفْتُرُ مِنْهُمَا عَلَيْكَ بِهِ ! اغْرِزْ مِخْلَبَكَ فِي عَيْنَيْهِ، افْقَأْهُمَا لَهُ لِيَعْمَى وَلاَ يَعُودُ يَرَى النَّافِذَةَ، مَزِّقْ جِلْدَهُ، اسْلَخْهُ، تَذَكَّرِ الدَّجَاجَةَ الَّتِي خَطَفَهَا وَحَرَمَنِي وَحَرَمَكَ لَذَّتَهَا تَذَكَّرْ ـ إِذَا كُنْتَ لاَ تَعْبَأُ

بِالدَّجَاجِ - الْفِيرَانَ الطَّرِيَّةَ السَّمِينَةَ اللَّتِي يَصِيدُهَا كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَأْكُلُ لَحْمَهَا الْغَرِيضَ وَيَشْرَبُ دَمَهَا الْقَانِي.

وَهَكَذَا صِرْتُ أُهَيِّجُهُمَا حَتَّى أَوْسَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَضًّا وَنَهْشًا وَلاَذَا أَحَدُهُمَا بِالْفِرَارِ، وَوَقَفَ الآخَرُ بُرْهَةً يَلْحَسُ جِرَاحَهُ وَلَكِنِ الْغَرِيبُ أَنِّي لَمْ أَرَ دَمًا يَسِيلُ، أَوْ يَقْطُرُ وَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنِي تَمْزِيقًا فِي جِلْدِ أَحَدِ الْقِطَّيْنِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عُنْفِ الْقِتَالِ وَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْقِطَطِ الْمُتَلَصِّصَةِ بَعْدَ هَاتِهِ الْمَعْرَكَةِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ !

المازنـــى

9 - مصرع هرة

كَانَتْ لَنَا هِرَّةٌ لَطِيفَةٌ ظَرِيفَةٌ خَفِيفَةُ الْجِسْمِ، مُرْهَفَةُ الْحِسِّ طَوَّافَةٌ بِاللَّيْلِ جَوَّالَةٌ بِالنَّهَارِ، وَكَانَ أَوْلَادِي يُحِبُّونَهَا هِيَ وَصِغَارَهَا الثَّلَاثَ، وَيَحْبُونَهَا بِالْفَضْلِ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَالْكَثِيرِ مِنْ عَبَثِهِمْ، وَعَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ نَشَأَتْ بَيْنَ صِغَارِ الْإِنْسِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ إِلْفَةٌ جَعَلَتْ كُلًّا يَحْتَمِلُ عَبَثَ كُلٍّ، وَيَجِدُ فِي ذَلِكَ لَذَّةً وَمَتَاعًا وَشَاءَ حَرُّ الْمَدِينَةِ (الْقَاهِرَةِ) الَّذِي اتَّقَدَتْ جَذْوَتُهُ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ أُوتَ أَنْ يَنْتَجِعَ أَوْلَادِي بَعْضَ السَّوَاحِلِ فِرَارًا مِنْ وَقْدَةِ الْجَرِّ وَابْتِرَادًا بِهَوَاءِ الْبَحْرِ وَمَائِهِ، وَشَاءَتْ ظُرُوفِي الْخَاصَّةُ أَنْ أَبْقَى فِي « الْقَاهِرَةِ » الْمَدِينَةِ وَحِيدًا.. فَفَقَدَتِ الْهِرَّةُ وَصِغَارُهَا بِتَبَدُّلِ الْحَالِ مَا اعْتَدْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا يُمْسِكُ الرَّمَقَ وَيَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ

وَكَأَنَّ الْهِرَّةَ اسْتَشْعَرَتْ شَيْئًا مِنَ الْأَنَفَةِ وَالْإِبَاءِ فَلَمْ تَرْضَ بِالدُّونِ وَلَمْ تَصْبِرْ عَلَى الْهُونِ، وَانْطَلَقَتْ تَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي سَعَةَ الرِّزْقِ لِنَفْسِهَا وَلِصِغَارِهَا فَكَانَتْ تَعُودُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ مُطْبِقَةً فَمَهَا عَلَى مِسْلَاخِ أَرْنَبٍ أَوْ مُشَاشِ عَظْمٍ أَوْ عُصْفُورٍ اقْتَنَصَتْهُ فِي

بَعْضِ الْحَدَائِقِ فَتَجْمَعُ صِغَارَهَا عَلَى مَا وُفِّقَتْ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ فَيَكُونُ لَهُنَّ مِنْهُ عِوَضَ مَا فَقَدْنَ مِنَ الزَّادِ

وَأَحَبَّتِ الْهِرَّةُ أَنْ تُعَوِّدَ صِغَارَهَا السَّعْيَ مَعَهَا فِي كَسْبِ الْقُوتِ فَكَانَتْ تَبْرُزُ خَارِجَ الدَّارِ وَتُنَادِيهِنَّ فَيَتَسَارَعْنَ إِلَيْهَا مُتَوَثِّبَاتٍ شَائِلَاتِ الْأَذْنَابِ مُؤَلِّلَاتِ الْآذَانِ مُحَدِّقَاتِ الْعُيُونِ فَيَجُسْنَ خِلَالَ الْحَدِيقَةِ فَلَا يَعْدِمْنَ صَرْصَرًا أَوْ جَرَادَةً يَتَبَلَّغْنَ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَلْعَبْنَ بِهَا طَوِيلاً.

وَدَرَجَتِ الْأَيَّامُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَكَأَنَّ الْقِطَطَ اسْتَطَبْنَ حَيَاةَ السَّعْيِ وَذُقْنَ حَلَاوَةَ الرِّزْقِ الْمَجْلُوبِ بِالْجِدِّ فَعُدْنَ لَا يَأْبَهْنَ لِمَا كُنْتُ أَرْفِدُهُنَّ بِهِ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ مِنْ كِسْرَةِ خُبْزٍ أَوْ نَغْبَةِ لَبَنٍ أَوْ عَرْقِ لَحْمٍ يَنْهَشْنَهُ أَوْ عَظْمَةٍ يَتَعَرَّفْنَهَا.

وَذَاتَ يَوْمٍ فِيمَا كُنْتُ جَالِسًا فِي مَنْزِلِي وَقْتَ الظَّهِيرَةِ وَكُنْتُ ضَيِّقَ الصَّدْرِ لَقِسَ النَّفْسِ كَأَنَّمَا أَتَوَقَّعُ حَدَثًا يَحْدُثُ أَوْ خَطْبًا يَلُمُّ وَإِذَا بِي أَبْصُرُ الْهِرَّةَ تَلِجُ مِنْ بَابِ الدَّارِ بِهَيْئَةٍ أَنْكَرْتُهَا: أَبْصَرْتُهَا تَمْشِي مُتَحَلِّجَةً مُتَخَلِّفَةً تُخَالِفُ بَيْنَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا وَتَقُومُ وَتَقَعُ وَتَصْطَدِمُ بِمَا يَلْقَاهَا فِي طَرِيقِهَا فَأُثْبِتُهَا النَّظَرَ فَرَأَيْتُ وَمَا أَفْظَعَ مَا رَأَيْتُ! رَأَيْتُهَا مَشْجُوجَةً شَجًّا قَبِيحًا

فَأَدْرَكْتُ مِنْ فَوْرِي أَنَّ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ مُحْمَقًا مِنْ طَبَّاخِي الْحَيِّ قَدِاعْتَنَتْهُ الْهِرَّةُ فِي طِلَابِ الْعَيْشِ فَأَهْوَى إِلَى رَأْسِهَا بِسِكِّينَةٍ فَشَتَرَ إِحْدَى عَيْنَيْهَا وَكَادَ يَشْطُرُ الرَّأْسَ شَطْرًا!

وَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْمِسْكِينَةَ تُحَاوِلُ الْوُصُولَ عَلَى مَابِهَا إِلَى صِغَارِهَا فَطَفِقْتُ أَجْمَعُهُنَّ لَهَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ أَحَسَّتْهُنَّ حَتَّى تَحَوَّتْ عَلَيْهِنَّ تُرْضِعُهُنَّ وَتَمْسَحُهُنَّ بِلِسَانِهَا عَلَى عَادَتِهَا فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ جَعَلْتُ أُرِيدُ الْهِرَّةَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ لَعَلَّ بَرْدَ هَوَاءِ الْعَشِيِّ وَنَسِيمَ السَّحَرِ يَنْفَعُهَا وَلَكِنَّهَا رَفَعَتْ إِلَيَّ رَأْسَهَا وَكَأَنَّهَا تَسْتَعْفِينِي مِنَ الْخُرُوجِ لَيْلَتَهَا تِلْكَ فَنَزَلْتُ عَلَى وَحْيِ حَالِهَا وَدَلَالَةِ مَنْظَرِهَا وَانْصَرَفْتُ إِلَى مَضْجَعِي.

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ إِذَا بِي أَصْحُو عَلَى مُوَاءٍ مُوجِعٍ صَادِرٍ مِنَ الْهِرَّةِ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهَا فَوَجَدْتُهَا تُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَمَا هِيَ إِلاَّ لَحْظَةٌ حَتَّى غَدَتْ جُثَّةً هَامِدَةً لاَ حَرَاكَ بِهَا. كُلُّ ذَلِكَ وَالْقُطَيْطَاتُ حِيَالَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْنَهُ بَعْدُ مَبْهُوتَاتٍ صَامِتَاتٍ مَأْخُوذَاتٍ.

عبد الحميد العبادي

« عن الرسالة »

10 - الاوز في بحيرة ليمان

..... وَلَيْسَتْ فِتْنَةُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ بِمَقْصُورَةٍ عَلَى مَا يَحْبُوهَا بِهِ الْجَوُّ وَمَا تَنْفَحُهَا بِهِ السَّمَاءُ، وَإِنَّمَا هِيَ فَاتِنَةٌ بِسُكَّانِهَا السَّادَةِ وَأَهْلِيهَا الْكِرَامِ .... وَمَا أَعْنِي بِهَؤُلَاءِ السُّكَّانِ إِخْوَانَنَا بَنِي آدَمَ الْمُقِيمِينَ فِي تِلْكَ الْمَنْطَقَةِ وَإِنَّمَا عَنِيتُ جَمَاعَةَ الْإِوَزِّ ! إِنَّهَا صَاحِبَةُ السُّلْطَانِ الْمُطْلَقِ فِي تِلْكَ الْبُحَيْرَةِ... وَقَدْ عُرِفَتْ الْبُحَيْرَةُ بِذَلِكَ الْإِوَزِّ مُنْذُ الْغَابِرِ الْبَعِيدِ فَأَصْبَحَ لَهَا طَابَعًا أَصِيلاً لَا يَتِمُّ رَسْمُهَا إِلَّا بِهِ فَهُوَ دَائِمًا يُوَشِّيهَا وَيُتَوِّجُهَا وَيَجْذِبُ إِلَيْهَا أَنْظَارَ الْمُعْجَبِينَ.

يَسْبَحُ ذَلِكَ الْإِوَزُّ زُرَفَاتٍ وَفُرَادَى عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ أَوْ يَدْرُجُ عَلَى الشَّاطِئِ مُتَهَادِيَ الْمَشْيَةِ فِي رِقَّةٍ وَوَدَاعَةٍ وَإِنَّهُ - إِذْ يَلْمَحُكَ - لَيُسَارِعُ إِلَى أَنْ يُحَيِّيَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ تَحِيَّةَ فُضُولِيٍّ مُتَظَرِّفٍ يَتَطَلَّعُ إِلَى مَا تَجُودُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ نُقَيْمَاتٍ وَهُوَ يَتَفَطَّنُ إِلَى مَوَاقِيتِ النُّزْهَةِ وَمَوَاعِيدِ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى الْبُحَيْرَةِ فَيُوَزِّعُ أَسْرَابَهُ فِئَاتٍ تَتَقَاسَمُ جَوَانِبَ الشَّاطِئِ وَتَسْتَقْبِلُ الزُّوَّارَ بِأَنَاشِيدِ الْحَفَاوَةِ وَالتَّرْحَابِ.

وَأَنْتَ تَرَى هَذِهِ الْأَسْرَابَ تَشْرَئِبُّ بِمَنَاقِيرِهَا وَتَدِفُّ بِأَجْنِحَتِهَا تُحَاوِلُ أَنْ تُثِيرَ بَهْجَتَكَ وَإِينَاسَكَ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ أَلَاعِيبَ وَمُعَابَثَاتٍ . ثُمَّ إِذَا بِهَا تُقْبِلُ عَلَيْكَ بَعْدَ قَلِيلٍ تَتَقَاضَاكَ الْأَجْرَ وَالْجَزَاءَ - فَتُلْقِي إِلَيْهَا لُقَيْمَاتِكَ فَلَا تَفْتَأُ تَلْتَقِمُهَا فِي مَهَارَةٍ وَنَشَاطٍ كَذَلِكَ لَا يُخْطِئُ الْإِوَزُّ مَعْرِفَةَ الْمَوَاعِيدِ الَّتِي تَتَنَقَّلُ فِيهَا الْبَوَاخِرُ فَتَرَاهُ يَتَأَهَّبُ لِتَوْدِيعِهَا فِي مُنْصَرَفِهَا - فَإِذَا تَحَرَّكَتْ بَاخِرَةٌ أَلْفَيْتَ سِرْبًا مِنَ الْإِوَزِّ قَدْ أَحَاطَ بِهَا إِحَاطَةَ كَوْكَبَةِ الْفُرْسَانِ بِالْمَوَاكِبِ الْفِخَامِ وَلَا يَزَالُ مُتَابِعًا لِلْبَاخِرَةِ وَقْتًا حَتَّى يَنَالَ مُكَافَأَةَ الْحَفَاوَةِ وَمُقَابَلَةَ الْجَمِيلِ بِالْجَمِيلِ - فَيَرْتَدُّ إِلَى قَوَاعِدِهِ تَشِيعُ فِيهِ الْغِبْطَةُ وَالْمِرَاحُ .

محمود تيمور

(عن مجلة الكتاب - مايو 1947)

صديق العصافير

كان النهار صافيا دافئا، وهواؤه في منتهى النعومة عندما كان "صبحي" جالسا في سريره، فأبصر عصفورا على غصن من أغصان الشجرة التي بقرب شباكه وكان العصفور من النوع الذي يدعونه "بو الحن" اختصارا لاسمه الكامل "أبو الحناء" وللحال انفجرت أسارير الولد والتمعت عيناه وارتكض قلبه في صدره وراح يحدق الى العصفور مأخوذا بكل حركة من حركاته فكأنه في حضرة ساحر، أو في حضرة روح هبط من الأعالي القدسية.

وكان العصفور يقفز من غصن الى غصن أو الى الارض فينقر نقرتين أو ثلاثا ثم يعود الى الشجرة حيث يأخذ يهز ذنبه الرمادي أو ينكث صدره القرميدي بمنقاره الدقيق أويصفر صفرات خافتة منقطعة تنسجم منتهى الانسجام مع جو ذلك النهار البديع.

وسكر الولد بحركات العصفور في صفراته، وماع قلبه، وتخدر دماغه، وبات يتمنى لو يقفز العصفور الى شباكه ثم يسمح له أن يأخذه هنيهة في يديه ويقبل منقاره وعينيه، مثلما بات يخشى أن يطير من الشجرة ولا يعود، وعن له أن يكلمه بلغته فصفر صفرة خافتة – حزينة، واذا بالعصفور يستدير نحوه فيتأمله لحظة ويطير فانقبض قلبه وغامت عيناه مخافة أن يكون قد نفره لغير ما رجعة ولكنه ما لبث أن عاد.... فتشجع الولد وصفر له مرة أخرى فما اضطرب العصفور ولا طار بل اقترب من الشباك وراح يهز ذنبه وينكث صدره باطمئنان. ويحدج الولد من طرف عينيه.

عندها ذهب "صبحي" الى أبعد من ذلك فجاء بقليل من الحب ورشه في أسفل الشباك. وراح يخاطب العصفور آنا بالصفير وآونة بالكلام فيقول له : تعال ! تعال ! صبحي يحبك ! يحبك كثيرا. "يا بو الحن" صبحي يريد أن يطعمك !

صبحي يريد أن يقبلك تعال لا خوف عليك البتة من صبحي، تعال ! تعال وكل. ولكن "أبو الحن" بقي حذرا طيلة ذلك النهار فكان يغيب ويرجع دون أن يقترب من الشباك الا بمقدار.

وتوالت الأيام على ذلك المنوال الى أن كان يوم قفز فيه العصفور الى الشباك وأخذ ينقر الحب الذي عليه، وبعد أيام بلغ به الاطمئنان حدا لم يخف معه من أن يتناول الحب من الولد الذي أحس عندئذ كما لو أن الدنيا بأسرها أصبحت ملك يمينه، فقد كانت غبطته بصداقة "بو الحن" فوق ما يستطيع أي قلم أو لسان أن يعبر عنه وانتهى الأمر بالصديقين أن بات في مستطاع "صبحي" أن يأخذ العصفور في يده ويشبعه تقبيلا ولثما. وذلك في نظره — كل السعادة التي ما بعدها سعادة.

ذات يوم وقد خشي صبحي أن يكون قد ضايق رفيقه بطول مداعبته له دفع به عاليا في الهواء فرفرف هنيهة وهبط على أعلى غصن في الشجرة وبغتة سمع الولد طلقا ناريا، واذا العصفور يهوي الى الارض بلا حراك، واذا برجل بركض لاهثا، وينحني ليلتقط العصفور القتيل، في تلك اللحظة. وبأسرع من رقة الجفن قفز صبحي من الشباك الى ظهر الرجل فبطحه أرضا وتناول حجرا كان بالقرب منه وراح يدق به رأسه وهو يصيح بأعلى صوته : خذها خذها لاعشت تأكل العصافير.

ميخائيل نعيمة

(مجلة الهلال)

11 - رثاء كناري

رَبَّاهُ مَا الَّذِي أَسْكَتَ الْكَنَارَ فِي هَذَا الصَّبَاحِ وَكَنَارِي يُوقِظُ الشَّمْسَ غِنَاؤُهُ، وَيُنَبِّهُ الْبَيْتَ تَغْرِيدُهُ، وَيَخْلَعُ عَلَى النَّهَارِ الطَّالِعِ تَصْفِيقُ جَنَاحَيْهِ بُشْرَى وَمَرَحًا وَحُبُورًا ؟

وَقَاكَ اللهُ السُّوءَ يَاحَبِيبِي وَحَمَاكَ مِنْ كُلِّ ضَارٍّ وَكَاسِرٍ وَخَفَّفَ عَنْكَ عَذَابَ الْأَسْرِ، وَمَتَّعَكَ بِنِعْمَةِ السُّلْوَانِ فِي قَفَصِكَ النُّحَاسِيِّ الْمُعَلَّقِ عَلَى الشُّرْفَةِ أَمَامَ الْأَجْوَاءِ الطَّلْقَةِ وَالْحَدَائِقِ الْغَنَّاءِ !

ولَمَّا طَالَ بِهِ السُّكُوتُ قُمْتُ إِلَيْهِ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ سُكُونٌ فِي الْقَفَصِ لاَ عَهْدَ لِي بِهِ وَعَهْدِي بِكَنَارِي دَائِمُ الْقَفْزِ سَرِيعُ الْحَرَكَةِ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْجُدْرَانِ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّقْفِ وَالْأَرْضِ كَكُرَةٍ لاَ تَهْدَأُ وَلاَ تَسْتَرِيحُ .

أَخَذْتُ الْقَفَصَ بِكِلْتَا يَدَيَّ وَأَدْنَيْتُهُ مِنِّي... رَأَيْتُ الْكَنَارَ مُلْقًى عَلَى ظَهْرِهِ فِي أَرْضِ الْقَفَصِ وَرِجْلاَهُ مُسْبَلَتَانِ كَمَا يَنَامُ الْأَطْفَالُ لاَ كَمَا تَنَامُ الطُّيُورُ، وَأَلْقَيْتُ الْقَفَصَ مِنْ يَدِي فَانْفَتَحَ بَابُهُ الصَّغِيرُ، وَمَا عَلَيْهِ إِذَا انْفَتَحَ فَلَنْ يَهْرُبَ الْكَنَارُ بَعْدَ الْيَوْمِ !

ثُمَّ حَفَرْتُ لِلْكَنَارِ حُفْرَةً صَغِيرَةً فِي الْحَدِيقَةِ وَدَفَنْتُهُ بَيْنَ الْأَزْهَارِ وَالْأَوْرَاقِ.. يَا كَنَارِي الرَّاحِلَ !

أَتَرَاكَ مُتَّ غَمًّا، أَمِ انْتَحَرْتَ، أَمْ لَجَّ بِكَ حُبُّ الْحُرِّيَّةِ وَالْإِنْفِلَاتِ فَلَمْ تُطِقْ عَلَى حَيَاةِ الْعُبُودِيَّةِ صَبْرًا ؟

وَلَكِنْ يُحَيِّرُنِي أَمْرٌ، وَيُشْقِينِي سُؤَالٌ : أَكَانَتْ تِلْكَ الْأَغَارِيدُ تَمْلَأُ بِهَا أَرْجَاءَ مَنْزِلِي أَيَّامًا وَلَيَالِيَ وَشُهُورًا غِنَاءَ جَذْلَانَ، وَزَقْزَقَةَ طَرُوبٍ، أَمْ كَانَتْ - وَنَحْنُ لَا نَدْرِي - تَرْجِيعَ كَئِيبٍ وَأَنَّاتِ مَحْزُونٍ وَآهَاتِ يُصَعِّدُهَا قَلْبٌ دَامٍ فَيَطْرَبُ لَهَا النَّاسُ بَيْنَنَا تَذُوبُ حُشَاشَةُ الْكَنَارِ ؟ بِاللهِ خَبِّرْنِي يَا كَنَارِي الْجَبِيبَ !.

خليل تقي الدين

خواطر ساذج (باختصار)

12 ـ تعاون الغربان

نَشَبَ جَنَاحُ أَحَدِ الْغُرْبَانِ فِي مُشْتَبَكِ الْغُصُونِ وَجَهِدَ الطَّائِرُ الْأَسِيرُ أَنْ يُخَلِّصَ جَنَاحَهُ بِالاضْطِرَابِ وَالاجْتِذَابِ وَالْخَفْقِ فَمَا اسْتَطَاعَ، وَكَانَ قَدْ حَطَّ بِالْقُرْبِ مِنْهُ غُرَابٌ فَهَبَّ يَنْعَبُ نَعِيبَ الْمُسْتَغِيثِ ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَجْذِبَ بِمِنْقَارِهِ الْجَنَاحَ النَّاشِبَ فَأَعْيَاهُ ذَلِكَ فَارْتَدَّ يَثِبُ مِنْ حَوْلِهِ صَاعِدًا هَابِطًا وَهُوَ يَنْعَبُ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى صَوْتِ الإِغَاثَةِ غُرَابَانِ فَحَوَّمَا هُنَيْهَةً فَوْقَ أَخِيهِمَا الْمُصَابِ ثُمَّ أَطْلَقَا فِي الْفَضَاءِ نَعِيقَهُمَا الْمُنْذِرَ. فَلَمْ تَكُنْ غَيْرُ لَحَظَاتٍ حَتَّى تَتَابَعَتِ الْغُرْبَانُ فَكَانَ مِنْهَا عَلَى ذَوَائِبِ الدَّوْحَةِ الْفَيْنَانَةِ عِصَابَةٌ وَعَقَدَتْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مَنَاحَةً وَظَلَّتْ هَذِهِ الْمَنَاحَةُ بَقِيَّةَ النَّهَارِ لَا يَنْقَطِعُ لَهَا صَوْتٌ وَلَا تَفْتُرُ لَهَا حَرَكَةٌ. وَكَأَنَّمَا كَانَتِ الْغُرْبَانُ تَضْرَعُ إِلَى النَّاسِ أَنْ يُسْعِفُوا أَخَاهَا الْمِسْكِينَ بِحِيَلِهِمِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَكِنَّ النَّاسَ كَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا عَلَى طَوَارِئِ الشَّارِعِ تَجَمُّعَ الْبُلْهِ لِيَنْظُرُوا إِلَى الْحَادِثِ الْعَجِيبِ نَظَرَ الْفُضُولِ ! وَقَلَّمَا تَجِدُ بَيْنَ الْبَلَهِ وَالْفُضُولِ مَكَانًا لِلْمُرُوءَةِ !

فَلَمَّا دَنَا اللَّيْلُ وَاسْتَيْأَسَتِ الْغُرْبَانُ انْصَرَفَ بَعْضُهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا الْآخَرُ وَلَمْ تُقَصِّرِ الْأَغْرِبَةُ الْبَاقِيَةُ فِي مُوَاسَاتِهِ وَالتَّرْفِيهِ عَنْهُ حَتَّى لَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ رَأَى غُرَابًا يَزُقُّهُ بِالْحَبِّ وَالْمَاءِ .

أحمد حسن الزيات

« وحي الرسالة »

13 ـ دجاجة تصف زوجها

ـ لَقَدْ شَغَفَنِي زَوْجِي حُبًّا وَتَمَلَّكَ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي وَلَوْ كَانَ لِي أَنْ أَقْتَطِعَ مِنْ لَحْمِي شَطْرًا وَأُطْعِمَهُ إِيَّاهُ لَفَعَلْتُ وَلَوْ كَانَ لِي أَنْ أَكْسُوَهُ أَجْمَلَ ثِيَابِي لَمَا تَرَدَّدْتُ.

ـ جَمَالُهُ فِتْنَةٌ لاَ مَثِيلَ لَهَا وَصُورَتُهُ سِحْرٌ لاَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ أَوَدُّ أَحْيَانًا أَنْ يَنْقَلِبَ جِسْمِي كُلُّهُ عَيْنًا وَاسِعَةَ الْحَدَقَةِ لِتَسْتَمْتِعَ بِجَمَالِهِ وَلِتَغْتَرِفَ مِنْ جَلاَلِهِ مَا شَاءَ لَهَا أَنْ تَفْعَلَ. وَكَمْ أَوَدُّ أَنْ يَنْقَلِبَ جِسْمِي كُلُّهُ أُذْنًا وَاسِعَةً مُرْهَفَةً لِتَتَلَقَّفَ صَوْتَهُ الْجَمِيلَ وَلِتَسْتَمِعَ إِلَى أَنَاشِيدِهِ الرَّائِعَةِ وَغِنَائِهِ الْعَذْبِ.

ـ أَمَّا ذَلِكَ ٱلْعُرْفُ الْقِرْمِزِيُّ اللَّيِّنُ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ مَفْرِقِهِ فَقِطْعَةٌ فَنِّيَّةٌ مِنْ صُنْعِ خَالِقٍ مُتْقِنٍ بَارِعٍ، وَأَمَّا ذَلِكَ الْفَمُ الْجَمِيلُ الدَّقِيقِ الَّذِي أَوْدَعَهُ اللهُ أَعْذَبَ لِسَانٍ، وَأَمَّا ذَانِكَ الْجَنَاحَانِ الْمُلَوَّنَانِ بِأَجْمَلِ الْأَلْوَانِ، وَأَمَّا تَانِكَ السَّاقَانِ الدَّقِيقَتَانِ وَتِلْكَ الْأَصَابِعُ الزُّمُرُّدِيَّةُ وَتِلْكَ الْأَظَافِرُ الْعَاجِيَةُ وَتِلْكَ الْمِشْيَةُ الْمُتَهَادِيَةُ، فَصُنْعُ

خَالِقٍ جَمِيلٍ أَحَبَّ الْجَمَالَ فَطَبَعَ خَلْقَهُ بِطَابِعِهِ، وَأَنْشَأَهُمْ مِنْ صُورَتِهِ فَجَاؤُوا أَجْمَلَ مَخْلُوقَاتٍ مِنْ صُنْعٍ أَجْمَلِ خَالِقٍ.

ـ مَا أَبْهَجَ صَبَاحَنَا حِينَ يَخْرُجُ زَوْجُنا مِنْ مَخْدَعِهِ وَيَمْشِي مِشْيَةَ الْمُدِلِّ بِجَمَالِهِ وَيَصْعَدُ فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَيَفْتَتِنُ فِي الْإِنْشَادِ وَالشَّدْوِ فِي صَوْتٍ هُوَ السِّحْرُ الْحَلَالُ. إِنَّا لَنَخْرُجُ فِي الصَّبَاحِ وَنَقِفُ ذَاهِلَاتٍ مِنْ فَرْطِ مَا نَشْعُرُ بِهِ مِنْ رَوْعَةٍ وَنَشْوَةٍ وَكَمْ نَتَمَنَّى أَنْ يَقِفَ الزَّمَانُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لِيَسْتَمِرَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي نَغَمَاتِهِ.

اسحاق موسى الحسيني
(مذكرات دجاجة)

دجاجة أم يعقوب

أم يعقوب عجوز أوفت على السبعين ، وهي في عرف أبناء قريتها أرملة، أما في عرف نفسها فامرأة ذات بعل، والسر في ذلك أن زوجها – وكان تاجر أغنام – سافر منذ سبعين سنة الى الموصل ولم يرجع، ولا قام في كل تلك المدة الطويلة أي دليل على بقائه في الحياة، ولكن أم يعقوب كانت تقول إن في قلبها "هاتفا" ماانفك يؤكد لها أن زوجها حي يرزق "والانسان قلبه دليل" أما أنهم أطلقوا عليها كنية "أم يعقوب" فمن باب المجاملة وحسن الجوار وعلى سبيل التفاؤل لا أكثر.

اذا نظرت الى أم يعقوب تتوكأ على عصاها المعقوفة الرأس. وقد تقوس ظهرها حتى ليكاد جبينها يلامس الارض حسبتك من غير شك تبصر عجوزا تمشي الى قبرها وليس بينها وبينه غير بضع خطوات، . ثم حسبتك لو نفخت عليها لهوت على الحضيض، ولكنك متى عرفت أنها ما فقدت سنا من أسنانها ولا ضرسا من أضراسها وأنها ما تزال تدخل الخيط في ثقب الابرة. وترفأ ثيابها وتغسلها بيدها. وأن لها ذاكرة ما محت الايام شيئا من مخزوناتها ولسانا ما فلت الاحداث من حدته أقول لعلك لو عرفت ذلك لما تسرعت في حكمك على أم يعقوب ولصدقت قولها إنها لن تدفن قبل أن تدفن المائة الاولى وبعضا من الثانية، فهي تكره الموت أشد الكراهة ولا تنفك تردد : « الموت ؟ لا كان الموت أنا أريد أن أعيش ! »

أما جارة أم يعقوب فأرملة لا تقل بخلا عن أم يعقوب. ولكن في نفسها

دناءة ليست في أم يعقوب وقد اتهمتها هذه غير مرة بسرقة أشياء من بيتها وهي التي اكنتها أم "التآليل" لكثرة التآليل على أنفها وذقنها، وكان بينها وبين جارتها قطيعة مزمنة لاوصل بعدها. فلا "صباح الخير" ولا "مساء الخير" بل نظرة مسمومة وتمتمات محمومة، وابتهالات دائمة من الجانبين لعل السماء تمطر الجانب الثاني نارا وكبريتا.

الا أن ربك أرحم من أن يضرب بكل عصاه، فلا يصفع بيد الا ليتلقى المصفوع بالاخرى وهو ما نكد أم يعقوب بعداوة أم التآليل حتى أعاد فأثلجه بصداقة "السنيورة" والسنيورة هي دجاجتها وأحب المخلوقات قاطبة الى قلبها. والحق أن السنيورة — هكذا تلفظها — سيدة وسيدة نبيلة من بنات جنسها، سوادها سواد الغراب، ولمعان ريشها لمعان ريشه، أما مشيتها فمشية الحجل أو مشية الدراج، ولها عرف تورد والتوى الى اليسار حتى ليكاد يغطي عينيها، وساقان نحيفتان زرقاوان تنتهيان بأصابع ممشوقة ومسلحة بمخالب ليس بأشد منها في حفر التراب ونكش المزابل وكانت المتعة المثلى لقلب أم يعقوب أن تجلس على عتبة بيتها عند اشتداد الحر في الصيف ترقب دجاجتها تحفرحفرة في التراب الناعم فتضطجع فيها على جنبها، ثم تروح تذر التراب من خلال ريشها الكرة بعد الكرة الى ان يغلبها الشعور بالنظافة والسعادة فتستسلم الى غبطتها الدجاجية وتنام نـــوم الابـــرار.

لقد بلغ هيام أم يعقوب بدجاجتها حدا ما كانت تستطيع معه مفارقة البيت لزيارة الجيران، فاذا عاتبتها جارة في ذلك أجابتها : "ياعيني أنت، ويا روحي، من أين لي الوقت ؟ أنا امرأة في رقبتي مسؤولية، فمن يطعم دجاجتي إن لم أطعمها ومن يسقيها إن لم أسقها ؟ ومن يحرسها إن لم أحرسها ؟ وأولاد الحرام في هذه الايام أكثر من الثعالب وبنات آوى"

كان يوم تفقدت أم يعقوب القن على عادتها، واذ لم تجد فيه البيضة المنتظرة هلع قلبها فضربت كفا بكف ثم راحت تؤنب نفسها بصوت عال : « قبحك الله

أم يعقوب ما أغباك لقد وقعت في المكروه الذي كنت تحذرين فتنكرت دجاجتك لقنها وباضت في قن أم التآليل. » والواقع أن أم يعقوب كان يساورها أشد القلق كلما رأت « السنيورة » تخالط دجاجات جارتها.

وكان يوم آخر وآخر ولا أثر لبيض جديد في القن حتى كادت أم يعقوب تفقد رشدها فأخذت السنيورة بين يديها وهزت إصبعها في وجهها سائلة : أين بضت البارحة يا ناكرة الجميل ؟ وقبل البارحة وقبل قبل البارحة ؟" ولكن السنيورة ما أجابت بأكثر من قرقرة مبهمة و ظل سرها مكتوما.

انقضى اسبوعان على تلك الحال ، فطفح الكيل وانبرت أم يعقوب لام التآليل تطالبها بعشر بيضات وتنعتها بأشنع النعوت. وكان شجار عنيف بين الجارتين وكانت شتائم ضج منها الهواء واقشعر لها الجيران، ولكن ما أسفرت عن نتيجة حاسمة فلا أم التآليل أقرت ببيضة واحدة ولا أم يعقوب تخلت عن تهمة من اتهاماتها العديدة ضد أم التآليل، ثم كان ما هو أكثر من ذلك ، فقد اختطفت السنيورة، واختفت آثارها بعد مشاجرة الجارتين بيوم واحد. فأيقنت أم يعقوب أن أم التآليل – أو احدى بناتها – كانت الجانية على دجاجتها وعليها، وعبثا راحت تستنجد بالجيران، فما كان من ينجدها، ولا بينة لها ضد جارتها. وحاول البعض تعزيتها بقولهم إن الجاني ثعلب، ولكن عقل أم يعقوب ما كان ليقتنع، وقلبها ما كان ليتعزى، فما عتم حيلها أن انهد، وبصرها أن أظلم، ونفسها أن ضاق به صدرها فدفنت نفسها في فراشها واستسلمت للسوداء واليأس والنحيب والصوم وبعد ثلاثة أسابيع للموت.

وفيما الحفل الصغير خارج بالجنازة من البيت وإذا بابنة أم "التآليل" التي لها من العمر عشر سنوات تصيح بأعلى صوتها : "السنيورة، السنيورة هاكم السنيورة"

واذا بدجاجة في مؤخرها ريشة معقوفة الى فوق تتقدم من البيت بخطوات وئيدة غير آبهة للجمهور، وفي مشيتها الكثير من الاعتزاز بالنفس. ومن خلفها تسعة فراخ تحاول اللحاق بها وهي تتلفت اليها وتشجعها بـ"تكتكة" لا تعرف الوجل، واذا الدجاجة وفراخها تدخل البيت فتفقده زاوية زاوية وتنتهي الى فراش أم يعقوب فتقف هناك مذهولة وكأنها تقول : "ها أنا والاولاد الذين أعطانيهم الرب فأين أنت يا أم يعقوب ؟...."

ميخائيل نعيمة

14 - المدينة العجيبة

هل رَاقَبْتَ خَلِيَّةَ النَّحْلِ، وَشَاهَدْتَ إِحْكَامَ بِنَائِهَا وَنِظَامَ سُكَّانِهَا ؟ وَهَلْ وَازَنْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُدُنِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا ؟

إِنَّ الْخَلِيَّةَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ فِيهَا الْأُمَرَاءُ وَالْقُوَّادُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالشُّرَطُ وَالْعُمَّالُ وَالْخَدَمُ تَحْكُمُهَا مَلِكَةٌ عَظِيمَةُ السُّلْطَانِ وَاسِعَةُ النُّفُوذِ تُسَمَّى « الْيَعْسُوبَ » تَسْهَرُ لِخِدْمَةِ الرَّعِيَّةِ، وَتُلَازِمُ الْمَدِينَةَ لِتَصْرِيفِ الشُّؤُونِ وَحَوْلَهَا الْجُنُودُ لِحِمَايَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَى خِدْمَتِهَا وَالْمَلِكَةُ هِيَ أَصْلُ النَّسْلِ وَأُمُّ الْخَلِيَّةِ جَمْعَاءَ لِأَنَّهَا الْأُنْثَى وَحْدَهَا وَهِيَ الَّتِي تَبِيضُ دُونَ سَائِرِ السُّكَّانِ .

وَرَعِيَّتُهَا أَقْسَامٌ مُخْتَلِفَةٌ فَمِنْهَا مَا يَجْلِبُ الْمَاءَ مِنَ الْجَدَاوِلِ الْقَرِيبَةِ، وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُ رَحِيقَ الْأَزْهَارِ وَمَا يَبْنِي الْمَسَاكِنَ، أَوْ يَتَعَهَّدُ الصِّغَارَ، أَوْ يَعْنِي بِالْمَرْضَى، أَوْ يَنْقَطِعُ لِحِرَاسَةِ الْمَدِينَةِ مِنْ غَارَاتِ الْأَعْدَاءِ

وَالْمَدِينَةُ هَادِئَةٌ لاَ أَثَرَ فِيهَا لِلْفَوْضَى، أَوْ مُجَاوَزَةِ النِّظَامِ فَكُلٌّ مُنْصَرِفٌ إِلَى عَمَلِه فِي جِدٍّ وَطَاعَةٍ وَانْتِبَاه.

وَإِنَّكَ لَتَعْجَبُ أَشَدَّ الْعَجَبِ حِينَ تَرَى بَابًا صَغِيرًا مِنْ أَبْوَابِ المدينَة تَدْخُلُ مِنْهُ الآلافُ وَتَخْرُجُ فَلاَ تَصْطَدِمُ وَلاَ تَتَنَازَعُ وَلاَ تَضِلُّ الطَّرِيقَ، وَرُبَّمَا رَأَيْتَ مَعْرَكَةً ثَانِيَةً بَيْنَ اثْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا حَارِسٌ وَالآخَرُ لِصٌّ مِنْ مَدِينَةٍ أُخْرَى جَاءَ لِيَسْرِقَ الْعَسَلَ فَيُحَاوِلُ الْحَارِسُ أَنْ يَقْذِفَ بِهِ بَعِيدًا عَنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَيُحَاوِلُ اللِّصُّ أَنْ يَتَغَلَّبَ وَلاَيَزَالاَنِ يَعْتَرِكَانِ حَتَّى يَنْهَزِمَ أَحَدُهُمَا، فَإِنْ هُزِمَ اللِّصُّ رَجَعَ الْحَارِسُ إِلَى عَمَلِهِ مَسْرُورًا وَإِنْ هُزِمَ الْحَارِسُ اسْتَعَانَ بِزَمِيلِهِ حَتَّى يَقْضِيَ عَلَى الدَّخِيلِ.

وَفِي الْمَدِينَةِ فِرْقَةٌ لِنَظَافَةِ الْمَنَازِلِ، وَنَقْلِ الْقُمَامَاتِ وَعَمَلُهَا شَاقٌّ وَلاَ سِيَمَا فِي الشِّتَاءِ إِذْ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ وَيَمُوتُ مِئَاتٌ مِنَ النَّحْلِ كُلَّ يَوْمٍ، فَتَعْمَلُ الْفِرْقَةُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً، وَتَنْقُلُ الْمَوْتَى إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ تَرَاهَا تَحْمِلُ أَجْسَامًا صَغِيرَةً بِيضًا هِيَ الأَجِنَّةُ الَّتِي عَاجَلَهَا الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْحَيَاةِ.

وَمَسَاكِنُ الْمَدِينَةِ سُدَاسِيَّةُ الشَّكْلِ، تَسَعُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَشْغَلَ فَرَاغًا كَبِيرًا، وَمِنْ هَذِهِ الْمَسَاكِنِ مَا يَكُونُ لِلإِقَامَةِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِهَادًا لِتَرْبِيَةِ الصِّغَارِ، أَوْ مَخَازِنَ لِلْعَسَلِ وَالْعَجِيبُ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ الْمَسَاكِنِ أَنَّهَا تُبْنَى مِنَ السَّقْفِ أَوَّلاً ثُمَّ تَتَدَرَّجُ إِلَى أَسْفَلَ حَتَّى يَتِمَّ الْبِنَاءُ.

(المطالعة المختارة)

15 - وصف الأسد

وَلَيْثٍ مُقِيمٍ فِي غِيَاضٍ مَنِيعَةٍ أَمِيرٌ عَلَى الْوَحْشِ الْمُقِيمَةِ فِي الْقَفْرِ
يُوَسِّدُ شِبْلَيْهِ لُحُومَ فَوَارِسٍ وَيَقْطَعُ كَاللِّصِّ السَّبِيلَ عَلَى السَّفْرِ
هِزَبْرٌ لَهُ فِي فِيهِ نَارٌ وَشَفْرَةٌ كَمَا يَشْتَوِي لَحْمَ الْقَتِيلِ عَلَى الْجَمْرِ
سِرَاجَاهُ عَيْنَاهُ إِذَا أَظْلَمَ الدُّجَا

فَإِنْ بَاتَ يَسْرِي بَاتَتِ الْوَحْشُ لَا تَسْرِي

لَهُ جَبْهَةٌ مِثْلَ الْمِجَنِّ وَمِعْطَسٌ كَأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهِ صِبْغَةَ الْحِبْرِ
يُصَلْصِلُ رَعْدٌ مِنْ عَظِيمِ زَئِيرِهِ وَيَلْمَعُ بَرْقٌ مِنْ حَمَالِقِهِ الْحُمْرِ
لَهُ ذَنَبٌ مُسْتَنْبِطٌ مِنْهُ سَوْطَهُ تَرَى الْأَرْضَ مِنْهُ وَهْيَ مَضْرُوبَةُ الظَّهْرِ
وَيَضْرِبُ جَنْبَيْهِ بِهِ فَكَأَنَّمَا لَهُ فِيهِمَا طَبْلٌ مُحِضٌّ عَلَى الْكَرِّ
وَيُضْحِكُ فِي التَّعْبِيسِ فَكَّيْهِ عَنْ مُدًى نُيُوبِ صِلَابٍ لَيْسَ تُهْتَمُّ بِالْفِهْرِ
يَصُولُ بِكَفٍّ عَرْضُ شِبْرَيْنِ عَرْضُهَا خَنَاجِرُهَا أَمْضَى مِنَ الْقُضُبِ الْبُتْرِ
يُجَرِّدُ مِنْهَا كُلَّ ظُفْرٍ كَأَنَّهُ هِلَالٌ بَدَا لِلْعَيْنِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ

عبد الجبار بن حمديس الصقلي

16 - الفيـــــــــل

ذَكَرَ أَحَدُ الرَّحَّالَةِ قَالَ : « رَأَيْتُ مَرَّةً قَطِيعًا فِيهِ خَمْسُونَ فِيلاً، وَكَانَتْ تَصْئِي شَدِيدًا، وَتُكَسِّرُ الْقَصَبَ عَلَى نَحْوِ مِائَتَيْ مِتْرٍ مِنَّا، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا فِي قِتَالٍ بَيْنَهَا، وَأَسْرَعْتُ إِلَيْهَا أَنَا وَالذِينَ مَعِي، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا إِلاَّ وَادٍ عَمِيقٌ، وَكَانَتْ رُؤُوسُ الْقَصَبِ الْهِنْدِيِّ تَتَمَايَلُ وَتَنْحَنِي بِسُرْعَةٍ كَالأَسَلِ مِنْ شِدَّةِ الصِّدَامِ وَأَصْوَاتُ الْخَصْمَيْنِ تُصِمُّ الآذَانَ، وَإِذَا بِأَحَدِهِمَا قَدْ زَأَرَ زَئِيرَ الأَلَمِ وَقَطَعَ الْوَادِيَ ، وَعَبَرَ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَجَعَلَ يُكَسِّرُ عِيدَانَ الْقَنَا مِنْ غَيْظِهِ، وَيَغِطُّ غَطِيطَ الأَلَمِ وَالْغَيْظِ. وَكَانَ الدَّمُ يَشْخُبُ مِنْ جُرْحٍ غَائِرٍ فِي خَاصِرَتِهِ الْيُسْرَى. وَهُوَ مِنَ الأَفْيَالِ الْكَبِيرَةِ بِنَابَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، غَلِيظَتَيْنِ وَالْيُسْرَى مِنْهُمَا أَقْصَرُ مِنَ الْيُمْنَى وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنَّ خَصْمَهُ كَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا، وَإِلاَّ مَا اسْتَطَاعَ قَهْرَهُ - وَإِذَا وَقَعَ الصِّدَامُ بَيْنَ فِيلَيْنِ نِدَّيْنِ فَالْغَالِبُ أَنْ يَسْتَمِرَّ يَوْمًا كَامِلاً أَوْ أَكْثَرَ - فَيَقْتَتِلاَنِ مُدَّةً وَيَفْتَرِقَانِ ثُمَّ يَعُودَانِ إِلَى الْقِتَالِ - وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَدُورَ الدَّائِرَةُ عَلَى أَحَدِهِمَا فَيُقْتَلُ أَوْ يَفِرُّ مِنْ وَجْهِ خَصْمِهِ

مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ وَنَشِرًا مَا تُبْتَرُ الْأَذْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَعَارِكِ.

وَلَمَّا رَأَيْنَا هَذَا الْفِيلَ عَلِمْنَا أَنَّ الدَّائِرَةَ دَارَتْ عَلَيْهِ - وَقَلَّمَا رَأَيْتُ الْبَأْسَ وَالْغَيْظَ مُتَمَثِّلَيْنِ فِي حَيَوَانٍ كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِيهِ - وَكَانَ يَحْصِدُ الْقَنَا الْغَلِيظَ بِخُرْطُومِهِ حَصْدًا وَيَطْحَنُهُ بِقَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّةِ حَنَقِهِ - ثُمَّ وَقَفَ بَغْتَةً كَأَنَّهُ اسْتَرْوَحَنَا وَمَدَّ خُرْطُومَهُ نَحْوَنَا لِكَيْ يَتَحَقَّقَ الْأَمْرَ. وَكُنَّا وَاقِفِينَ خَلْفَ قَصْبَاءَ تَدْرَأُنَا فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَفِرُّ هَارِبًا مِنْ وَجْهِنَا حَالَمَا يَعْلَمُ أَنَّنَا هُنَاكَ وَلَكِنَّ غَيْظَهُ تَغَلَّبَ عَلَى خَوْفِهِ فَبَسَطَ أُذُنَيْهِ وَشَالَ بِذَنَبِهِ وَهَجَمَ عَلَيْنَا.

وَلَمْ تَكُنْ الْقَصْبَاءُ لِتَقِينَا مِنْهُ وَقَدْ تَعُوقُنَا عَنْ تَسْدِيدِ رَصَاصِنَا إِلَيْهِ فَخَرَجْتُ مِنْ وَرَائِهَا وَزَعَقْتُ فِي وَجْهِهِ لَعَلِّي أُخِيفُهُ فَلَمْ يَخَفْ وَلَمْ يَقِفْ فَأَطْلَقْتُ الرَّصَاصَ عَلَى خُرْطُومِهِ لِيَخْرِقَهُ وَيَصِلَ إِلَى جَبْهَتِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَنَا وَاثِقٌ أَنِّي أَصَبْتُهُ وَأَنَّ الضَّرْبَةَ قَاتِلَةٌ.

وَلَمْ يَكَدْ دُخَانُ الْبَارُودِ يَنْكَشِفُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ هَاجِمًا عَلَيَّ. وَقَدْ خَفَضَ رَأْسَهُ وَامْتَدَّ نَابَاهُ أَمَامَهُ كَالْمِنْرَاةِ فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا أَنْ أَحِيدَ مِنْ طَرِيقِهِ وَأَرْتَمِيَ عَلَى الْأَرْضِ - وَلَمْ أَكَدْ أَصِلُ إِلَيْهَا حَتَّى كَادَتْ يَدَاهُ تَطَآنِي وَصَاتَ صَوْتًا

مُزْعِجًا فَعَلِمْتُ أَنَّ خُرْطُومَهُ انْبَسَطَ لأَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُوتَ وَهُوَ مَعْكُوفٌ، وَلاَ يَبْسُطُهُ كَذَلِكَ وَهُوَ هَاجِمٌ بَلْ وَهُوَ هَارِبٌ - وَلَوْ وَقَفَ لَحْظَةً لَطَحَنَ عِظَامِي، لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ هَارِبًا وَقَدْ غَطَّانِي دَمُهُ وَيَبِسَ عَلَى شَعْرِي.

يعقوب صروف

(فصول في التاريخ الطبيعي)

الثعبان * بوطو *

– تسلل "بوطو" الصغير من سور المدرسة الى حديقة مجاورة، وراح يدب في جنباتها يسعى بين أشجارها، وكانت هذه المحلة مثابة لأنواع شتى من الحيوان والطيور والحشرات نفضت عنها طلائع الربيع غبار الخمول، فنشطت بعد جمود الشتاء. وهبطت تستقبل الفصل الجديد، فإذا ما لاح الفجر وبدأ نوره الرطيب، رددت الأفنان تغريد الأطيار، وملأ البشر والبهجة أرجاء الحديقة وإذا سجا الليل وانتشر الظلام وهدأت الانفاس وسادت الوحشة والسكون، تجاوب نقيق الضفادع، ونعيق البوم، فكانت نذرا ترتعد لها أفراخ الطير في أعشاشها وصغار الحيوان والزواحف في أجحارها لاتدري : أتدهمها العوادي بياتا وهي نائمة، أم تنتظرها الى الصباح وهي سارية.

– وأحس "بوطو" رعدة تتمشى في جسده، فانحاز الى جانب مستور وجعل يرقب بعين حائرة ما يجري حوله، فراعه انقضاض البوم كالصاعقة على تلك الصغار المسكينة تهدم أوكارها وتمزق أحشاءها، ورأى أمامه الافاعي زاحفة كالسيل تطارد فرائسها في جوف الليل، وفلول الجرذان تسابق الريح في جريها تلتمس الملجأ من ها فأيقن "بوطو" المسكين بالشر الذي يتهدده، والموت الذي يتوعده فاعتصم بقطعة من الحجر، وجد تحتها جحرا صغيرا كمن فيه حتى تهدأ العاصفة وطال كمونه

ولم يكن قد طعم منذ ليال، وألح عليه الجوع فدفعه الى المخاطرة فخرج يلتمس ما يسد به الرمق، وهو حذر جد الحذر، ومرت بجانبه "سحلية" مسرعة روعته لاول وهلة، إذ ظنها عدوا فاتكا وجعل يتبعها بعينيه، وما هي الا طرفة العين وانتباهتها حتى بصر بالسحلية في فم ثعبان يبتلعها، وبعد قليل أبصر ضفدعا كبيرا، فتقدم نحوه وحملق فيه، فجمد الضفدع في مكانه فانقض عليه وعضه بنابه عضة تركته صريعا، وحاول ابتلاعه، ولكن أنى لفمه الدقيق أن يتسع لذلك الضفدع الكبير، فارتد عنه يائسا، وسار يفتش عن فريسة أخرى تلائمه فاهتدى أخيرا الى غدير صغير ملىء بصغار الضفادع، وقد وشت حواشيه أعشاب تؤوي كثيرا من السحالي، فاتخذ من هذا الغدير مستقرا ومقاما وطاب له العيش فيه فظل عدة أشهر لا يفارقه.

— قوي "بوطو" في هذا الغدير واشتد ومرن على الطراد والصيد وهاجه الطمع الى البحث عن كنز آخر أغنى وأوفر، فخرج يتهادى وقد أشرع عنقه زهوا، وانتفخت أوداجه تيها، وامتلأ رأسه غرورا، ولم يجرح كبرياءه إلا أن رأى جماعة من الصقور تحوم في الجو ثم تهوي فجأة على ثعبان أقوى منه عضلا وأشد بأسا فتركته صريعا، ومزقته إربا وأسرع جهده في الفرار إلى منجى لاتدركه فيه عين الصقر.

— ولكن الخطر في هذه المرة كان يتهدده من فوق رأسه، ومن تحته فلم يكد يندس سواد جسمه في مخبئه حتى أدركه "ابن عرس" فتشبث بذنبه وجعلا يتجاذبانه فآب ابن عرس بجزء من الذنب ونجا "بوطو" واعتكف في ملجئه حينا يعاني آلام مصابه حتى اندمل جرحه وغادر الجحر.... وما كان أشد عجبه حين خرج الى الخلاء فاذا هو لا يكاد يرى شيئا مما حوله، فخيل إليه أن طول ثوائه في الجحر قد أعماه ولم يكن عمى ما أصابه، ولكنها غشاوة عارضة من كدورة سائل عكر ينضحه جسمه تحت قشرة جلدية شفافة هي "ثوبه" أو سلخه الذي يبدله

من حين الى حين. وفي وسط الغشوة التي أحاطت به طفق يستخدم لسانه يتحسس به الطريق حتى اصطدم بجذع نخلة، فجعل يحك بالجذع الى أن تمزق الغشاء عن شفتيه ووضح له سبيل التخلص منه فاستمر يعالجه حتى سلحه عنه وتركه مقلوبا، وكان قد أنهكه هذا المجهود فاستكن بضعة أيام استجم فيها وارتد بصيرا. وتفتحت شهيته وعاوده النشاط للسعي في طلب القوت من جديد، وبقي يغدو ويروح، يأتيه رزقه رغدا وقد غفلت عنه عيون الاحداث، ونامت عنه عيون الاعداء. ووجد في هذه الجنة أمنا ودعة وجريا على الطبيعة الكامنة في جنسه ولم يحاول الانتقال عن هذه البقعة الهادئة.

حسين فرج زين العابدين
(مع الحياة)

17 - الاركا والاخطبوطة

.... وَلَـمْ يَكُنْ إلاَّ لَمْحَةُ بَصَرٍ حَتَّى غَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ اللُّجَجِ، ثُمَّ عَادَتْ بِأُخْطُبُوطَةٍ كَبِيرَةٍ حَمَلَهَا جَهْلُهَا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَخْبَإِهَا بَيْنَ الصُّخُورِ، فَلَمْ تَكَدِ « الْأَرْكَا » تَلْمَحُهَا حَتَّى غَاصَتْ وَرَاءَهَا وَالْتَقَمَتْهَا، وَمَدَّتْ « الْأُخْطُبُوطَةُ » قَوَائِمَهَا لِتُمْسِكَ بِشَفَتَيْ « الْأَرْكَا » لَعَلَّهَا تَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ الْعَاجِلِ. وَلَكِنْ لاَ نَجَاةَ إِذَا حَلَّ الْأَجَلُ فَابْتَلَعَتْهَا « الْأَرْكَا » لُقْمَةً سَائِغَةً. وَعَادَتْ إِلَى وَجْهِ الْمَاءِ فَالْتَقَتْ بِابْنِهَا وَكَانَ نَازِلاً فِي أَثَرِهَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُسْرِعَ سُرْعَتَهَا وَقَدْ دَلَّتْهُ سَلِيقَتُهُ عَلَى أَنَّ الْبَقَاءَ حَيْثُ كَانَ وَأُمُّهُ لَيْسَتْ مَعَهُ لاَ تُؤْمَنُ عَوَاقِبُهُ لِأَنَّ الْأَعْدَاءَ نَهُ بِالْمِرْصَادِ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ « الْأُخْطُبُوطَةُ » عَلَى كِبَرِهَا إِلاَّ لُقْمَةً فِي فَمِ « الْأَرْكَا » لَكِنَّهَا تَلَمَّظَتْ بِهَا وَزَادَتْ شَهْوَتُهَا لِلطَّعَامِ فَجَعَلَتْ تَجُولُ مُفَتِّشَةً عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ قَلِيلٌ حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُ الْمَاءِ مِنَ الْأَزْرَقِ إِلَى الْأَخْضَرِ الزَّبَرْجَدِيِّ دَلاَلَةً عَلَى وُجُودِ مُرْتَفَعٍ فِي الْبَحْرِ تَصِلُ إِلَيْهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ. وَكَانَ عَلَى هَذَا الْمُرْتَفَعِ « وَرَنْكٌ » جَنَاحَاهُ كَجَنَاحَيِ الْخُفَّاشِ

وَذَنَبُهُ كَالسَّوْطِ الْكَبِيرِ فَنَظَرَ وَإِذَا « الْأَرْكَا » فَوْقَهُ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ فَأَوْجَسَ شَرًّا، وَنَزَلَ عَنِ الْمُرْتَفَعِ بِأَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ لِيَغُوصَ فِي لُجَّةِ الْمَاءِ، لَكِنَّ « الْأَرْكَا » رَأَتْهُ وَغَاصَتْ وَرَاءَهُ فِي خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ كَأَنَّهَا صَاعِقَةٌ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَعَادَ مِنْ طَرِيقِهَا وَوَثَبَ إِلَى الْأَعْلَى وَثْبَةً مُرِيعَةً، فَعَلاَ فَوْقَ الْمَاءِ، وَكَادَ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ لَكِنَّ الْوَثْبَةَ وَالطَّيْرَةَ لَمْ تَدُومَا إِلاَّ لَحْظَةً مِنَ الزَّمَانِ فَلَمْ يَكَدْ يَرْجِعُ إِلَى وَجْهِ الْمَاءِ حَتَّى كَانَتِ «الْأَرْكَا» تَحْتَهُ فَفَغَرَتْ فَاهَا وَاسْتَلْقَتْهُ فَخَابَطَ وَصَارَعَ حَتَّى غَلِيَ الْمَاءُ بِجِهَادِهِ وَلَكِنْ حُمَّ الْأَجَلُ وَانْصَبَغَ الْبَحْرُ بِالنَّجِيعِ و« الْوَرْكُ » مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْكَبِيرَةِ الدَّاسِمَةِ فَشَبِعَتِ « الْأَرْكَا » مِنْهُ وَزَادَتْ فَضَلاَتُهُ فَغَاصَتْ إِلَى قَاعِ الْبَحْرِ طَعَامًا لِلْخَشَاشِ الَّتِي تَلْتَقِطُ فُتَاتَ غَيْرِهَا كَالسَّرَاطِينِ وَنَحْوِهَا.

يعقوب صروف (بتصرف)
« فصول في التاريخ الطبيعي »

18 - سمكتان

حَمَلْتُ الشِّصَّ وَالْخَيْطَ وَالْقَصَبَةَ، وَانْسَلَلْتُ وَحِيدًا بَيْنَ الْبُيُوتِ وَلَمَّا بَلَغْتُ النَّهْرَ أَخَذْتُ قَصَبَتِي وَرَبَطْتُ شِصِّي وَجَعَلْتُ فِيهِ الطُّعْمَ، ثُمَّ أَلْقَيْتُهُ عَلَى بَرَكَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَلَبِثْتُ أَتَأَمَّلُ النَّهْرَ الْهَادِئَ فَبَدَتْ لِيَ الْأَسْمَاكُ الْكَبِيرَةُ تَسِيرُ بِبُطْءٍ وَرَزَانَةٍ حَتَّى إِذَا دَنَتْ مِنَ اللُّحْمَةِ أَزِفَتْ بِازْدِرَاءٍ، وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا كَأَنَّهَا تُبَاهِي الصَّيَّادَ بَيْنَمَا كَانَتِ الصَّغِيرَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّهْمِ غَيْرَ مُبَالِيَةٍ بِشَيْءٍ وَظَهَرَتْ عَلَى سَطْحِ النَّهْرِ الْفَقَاقِيعُ الْكَثِيرَةُ فَعَلِمْتُ أَنَّ السَّمَكَ يَتَحَدَّثُ فَأَنْصَتُّ: سَمَكَتَانِ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ رَزِينَةٌ وَطَائِشَةٌ تَقَارَبَتَا فَقَالَتِ الْكَبِيرَةُ بِلَهْجَةِ الْعَطُوفِ: « إِيَّاكِ وَهَذِهِ اللُّحْمَةَ فَإِنَّ فِيهَا الْعَذَابَ وَالْمَوْتَ وَاعْلَمِي أَنَّ فَوْقَنَا أَرْضًا يَابِسَةً لَا يَعِيشُ فِيهَا السَّمَكُ، وَأَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ نَارًا حَامِيَةً تَشْوِي السَّمَكَ، وَأَنَّ فِيهَا صَيَّادًا يَصْطَادُكِ، وَيُضْرِمُ النَّارَ فَيَشْوِيكِ وَيَأْكُلُكِ !.... »

فؤاد أفرام البستاني

19 - صيد السمك

وَأَتَاهَا الصَّيَّادُ بِالشِّصِّ يَحْكِي ... ذَنَبَ الْعَقْرَبِ اخْتَفَى لِيَغِرَّا

كَمَنَ الْمَوْتُ فِيهِ ثُمَّ تَخَفَّى ... جَاعِلاً فَوْقَهُ مِنَ اللَّحْمِ سِتْرَا

فَأَتَتْهُ الْأَسْمَاكُ تَحْسَبُهُ رِزْقًا ... وَكَانَتْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ سَكْرَى

لَمْ تَكَدْ مِنْهُ تَنْهَشُ اللَّحْمَ حَتَّى ... شَكَّ مِنْهَا الشِّصُّ الْمُعَقَّفُ نَحْرَا

فَغَدَتْ فِي الْمِيَاهِ تُولِي اضْطِرَابًا ... وَتَرُومُ الْفِرَارَ وَالْخَيْطُ جَرَّا

سَقَطَتْ فِي الصَّعِيدِ يَشْكُو لِسَانُ ... الدَّمِ فِي حَلْقِهَا مِنَ النَّاسِ غَدْرَا

كَمْ مَضَتْ فِي الْمِيَاهِ تَرْقُصُ بِشْرًا ... فَغَدَتْ فِي التُّرَابِ تَرْقُصُ قَسْرَا

تَبْتَغِي السَّبْحَ فِي التُّرَابِ فَلَا تَسْتَطِ ... يعُ سَبْحًا وَلَيْسَ تَسْتَطِيعُ مَسْرَى

أَصْبَحَتْ مِثْلَ مُقْعَدٍ وَسَطَ نَارٍ ... يَتَلَوَّى إِذْ لَمْ يُطِقْ أَنْ يَفِرَّا

تَلْهَمُ الرِّيحَ عَنْ ظَمًا بَدَلَ الْمَاءِ ... لَتَرْوَى وَالْقَلْبُ يَزْدَادُ جَمْرَا

كُلَّمَا حَاوَلَتْ مِنَ الْمَاءِ قُرْبًا ... أَبْعَدُوهَا فَحَدَّقَتْ فِيهِ حَسْرَى

تَعِبَتْ فَارْتَمَتْ وَأَسْلَمَتِ الرُّوحَ ... بِجَنْبِ الْمِيَاهِ تَلْهَثُ حَرَّى

احمد الصافي النجفي

20 - السمكة والشص

سَبَقَتْ لِلشِّصِّ حِرْصًا وَسَفَاهَا ... رُبَّ سَبَّاقٍ إِلَى الْحَتْفِ تَنَاهَى
يُكْذِبُ الْمُوغِلُ فِي الْأَطْمَاعِ نَفْسًا ... فَتُرِيهِ الْبُطْلَ حَزْمًا وَانْتِبَاهَا

وَيْحَهَا أَسْكَرَهَا الطَّعْمُ غُرُورَا ... فَتَمَنَّتْ فَتَعَاطَتْ فَدَهَاهَا
لَاحَ لَمَّاعًا شَهِيًّا مُسْتَطَابًا ... كَخَيَالَاتِ الْأَمَانِي فِي رُؤَاهَا
رَاقَهَا فَاسْتَأْثَرَتْ وَالْتَقَمَتْهُ ... فَاحْتَوَتْ وَيْلًا وَهَوْلًا فِي حَشَاهَا
وَأَحَسَّتْ فِي حَنَايَاهَا انْتِشَابًا ... مُؤْلِمَ الْوَخْزِ فَلَمْ تَدْرِ اتِّجَاهَا
فَهْيَ فِي صَرْعٍ وَحَبْلٍ تَتَلَوَّى ... تَبْذُلُ الْجُهْدَ فَتُؤْذِيهَا قُوَاهَا
أَسْرَعَ الصَّائِدُ فِي الْحِيلَةِ جَذْبًا ... فَقَضَتْ ؛ وَاهًا عَلَيْهَا ثُمَّ وَاهَا !
لَوْ تَرَاهَا قَبْلَ هَذَا تَتَمَطَّى ... حُرَّةً تَخْتَالُ فِي أَبْهَى حُلَاهَا
سَبَحَتْ فِي اللُّجَّةِ الزَّرْقَا تَهَادَى ... وَتُرِي أَتْرَابَهَا حُسْنَ مَشَاهَا
دَرَعَتْ تَخْفِقُ دَوْمًا فَتَرَاءَتْ ... كَذُبَالٍ فِي الدُّجَى زَعْنَفَتَاهَا

وَهْيَ تَـزْوَرُّ وَتَعْـدُو وَتَثَنَّـى ... كَتَثَنِّي الْبَرْقِ فِي الْأُفْقِ تَبَاهَى

تَـرْتَدِي الْأَضْوَاءَ صَفْوًا صَقَلَتْهَا ... لَمْعَةُ الْمَاءِ فَزَادَتْ فِي بَهَاهَا

لَعِبَ الْمَوْجُ بِنُورِ الشَّمْسِ حَتَّى ... غَزَلَ الظِّـلُّ خُيُوطًا لِسَدَاهَـا

ثُمَّ سَـوَّاهُ نَسِـيجًا عَبْقَـرِيًّـا ... حُلَلاً يَحْتَارُ فِيهَا مَنْ يَرَاهَـا

وَكَأَنَّ اللهَ قَدْ أَضْفَى عَلَيْهَـا ... قُزَحَ الْأَلْوَانِ بَرَّاقًـا سَنَاهَـا

وَبَدَا لِلضِّـدِّ وَالضِّـدّ اشْتِبَـاكٌ ... رَائِعُ الْحِسِّ بَـدِيعٌ لاَ يُضَـاهَى

وَيْكَ هَلْ يُشْبِعُ هَذَا الْحُسْنُ فِيهَا ... شَرَهًا فِي النَّفْسِ يُودِي بِهَنَاهَا

أَوْ يُـرَوِّي غُلَّـةً قَـدْ جَبَلَتْهَـا ... حِكْمَةٌ فِي الْخَلْقِ لاَ يُدْرَى مَدَاهَا

مصطفى خريف

(الشعـاع)

21 - الفراشة النابتة

مَا لِلْفَرَاشَةِ لاَ تَطِيرْ مَطْرُوحَةً بَيْنَ الزُّهُورْ ؟
سَكْرَى تُرَى أَمْ قَلْبُهَا كَفُؤَادِيَ الْمُضْنَى كَسِيرْ ؟
أَطْرَى وَأَنْعَمُ مَلْمَسًا مِنْ رَاحَةِ الطِّفْلِ الصَّغِيرْ
أَبْهَى وَأَبْهَجُ مَنْظَرًا مِنْ مَطْلَعِ الصُّبْحِ الْمُنِيرْ
أَنْدَى وَأَلْطَفُ مِنْ نَسِيـ ـمِ الْفَجْرِ عَنْ سَطْحِ الْغَدِيرْ
أَجْرَى وَأَلْيَنُ مِنْ مُرُو رِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الْأَثِيرْ
أَشْهَى وَأَطْيَبُ مِنْ سَلاَ مِ النَّفْسِ فِي ظِلِّ الضَّمِيرْ
وَأَحَبُّ مِنْ تَغْرِيدَةِ الْـ ـعُصْفُورِ فِي الرَّوْضِ النَّضِيرْ
وَأَرَقُّ مِنْ لَحْنِ الصِّبَا وَأَدَقُّ مِنْ وَتَرِ الشُّعُورْ
حَامَتْ عَلَيْهَا الْعَيْنُ تَجْـ ـلُو الْحُسْنَ مِنْ أَمَدٍ قَصِيرْ
فَدَنَوْتُ أَخْتَلِسُ الْخُطَى مُتَرَفِّقًا كَيْ لاَ تَطِيرْ
وَطَرَحْتُ نَفْسِي فَوْقَهَا وَيْلُ الصَّغِيرِ مِنَ الْكَبِيرْ
فَإِذَا الْفَرَاشَةُ زَهْرَةٌ وَإِذَا الْمُتَيَّمُ فِي غُرُورْ

رشيد سليم الخوري

22 - الفراشة المحتضرة

لَوْ كَانَ لِي غَيْرُ قَلْبِي عِنْدَ مَرْآكِ ... لَمَا أَضَافَ إِلَى بَلْوَايَ بَلْوَاكِ

فِيمَ ارْتِجَاجُكِ؟ هَلْ فِي الْجَوِّ زَلْزَلَةٌ ... أَمْ أَنْتِ هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ فَتَّاكِ؟

وَكَمْ تَدُورِينَ حَوْلَ الْبَيْتِ حَائِرَةً ... بِنْتَ الرُّبَى لَيْسَ مَأْوَى النَّاسِ مَأْوَاكِ

قَالُوا: فَرَاشَةُ حَقْلٍ لَا غَنَاءَ بِهَا ... مَا أَفْقَرَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَغْنَاكِ

سِيمَاءُ غَاوِيَةٍ أَطْوَارُ شَاعِرَةٍ ... عَلَى زَهَادَةِ عُبَّادٍ وَنُسَّاكِ

طُغْرَاءُ مَمْلَكَةٍ وَشَّى حَوَاشِيَهَا ... مَنْ ذَوَّبَ الشَّمْسَ أَلْوَانًا وَوَشَّاكِ

يَا رَوْضَةً فِي سَمَاءِ الرَّوْضِ طَائِرَةً ... وَطَائِرًا كَالْأَقَاحِي ذَا شَذًى ذَاكِ

مَضَى مَعَ الصَّيْفِ عَهْدٌ كُنْتِ لَاهِيَةً ... عَلَى بِسَاطٍ مِنَ الْأَحْلَامِ ضَحَّاكِ

تُمْسِينَ عِنْدَ مَجَارِي الْمَاءِ نَائِمَةً ... وَلِلْأَزَاهِرِ وَالْأَعْشَابِ مَغْدَاكِ

فَكُلَّمَا سَمِعَتْ أُذُنَاكِ سَاقِيَةً ... حَثَثْتِ لِلسَّفْحِ مِنْ شَوْقٍ مَطَايَاكِ

وَكُلَّمَا نَوَّرَتْ فِي السَّفْحِ زَنْبَقَةٌ ... صَفَّقْتِ مِنْ طَرَبٍ وَاهْتَزَّ عِطْفَاكِ

فَمَا رَشَفْتِ سِوَى عِطْرٍ وَلَا انْفَتَحَتْ ... إِلَّا عَلَى الْحَسَنِ الْمَحْبُوبِ عَيْنَاكِ

وَكَمْ رَكَضْتِ فَأَغْرَيْتِ الصِّغَارَ ضُحًى بِالرَّكْضِ فِي الْحَقْلِ مَلْهَاهُمْ وَمَلْهَاكِ

منَّوْا بِأَسْرِهِمْ إِيَّاكِ أَنْفُسَهُمْ فَأَصْبَحُوا بِتَمَنِّيهِمْ أُسَارَاكِ

جَرَوْا قُصَارَاهُم حَتَّى إِذَا تَعِبُوا وَقَفْتِ سَاخِرَةً مِنْهُمْ قُصَارَاكِ

لَوْلَا جَنَاحَاكِ لَمْ تَسْلَمْ طَرِيدَتُهُمْ قَدْ نَجَّيَاكِ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْجَاكِ؟

هَا أَنْتِ كَالْحَقْلِ فِي نَزْعٍ وَحَشْرَجَةٍ وَهَتْ قُوَاكِ كَمَا اسْتَرْخَى جَنَاحَاكِ

أَصْبَحْتِ لِلْبُؤْسِ فِي مَغْنَاكِ تَائِهَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ مَغْنَاكِ

ايليا أبو ماضى

23 - حديقـــــــــة

كَانَ أَلَذُّ مَا أَتَذَوَّقُهُ مِنْ جَمَالِ بَغْدَادَ وَقْفَةً فِي حَدِيقَةِ (النَّادِي الْعَسْكَرِيِّ) كُلَّ صَبَاحٍ ! فَكُنْتَ تَرَانِي أَحْرِصُ عَلَيْهَا حِرْصَ الْعَابِدِ الْمُتَحَنِّثِ عَلَى أَدَاءِ صَلَاتِهِ. كُنْتُ أَغْشَى كُلَّ يَوْمٍ هَذَا الْمُجْتَلَى السَّاحِرَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى، أَوْ فِي مُتُوعِ النَّهَارِ فَأَجِدُ الشَّمْسَ قَدْ لَأْلَأَتْ ذَوَائِبَ النَّخْلِ وَغَوَارِبَ النَّهْرِ، وَأَخَذَتْ تَرْشُقُ بِأَشِعَّتِهَا الظِّلَالَ النَّدِيَّةَ مِنْ خِلَالِ الشَّجَرِ، وَبَنَاتِ الْهَدِيلِ يَبْحَثْنَ كَعَادَتِهِنَّ فِي فُرُوعِ التِّينِ وَأَغْصَانِ التُّوتِ بِأَرْجُلِهِنَّ وَمَنَاقِرِهِنَّ وَهُنَّ يُرَجِّعْنَ عَلَى التَّقَاعُدِ أَلْحَانَ الْخَرِيفِ، وَالْحَدِيقَةَ مَطْلُولَةَ النَّبَاتِ مَنْضُورَةَ الزَّهْرِ تَتَنَفَّسُ بِالْفَاغِيَةِ تَنَفُّسَ الطِّفْلِ الْحَالِمِ ، وَالسُّكُونَ مَرْهُوبَ الْجَلَالِ أَنِيسَ الْوَحْشَةِ يَعْمُقُ ثُمَّ يَعْمُقُ حَتَّى تَكَادُ تَسْمَعُ النَّبَاتَ وَهُوَ يَنْبُتُ.... وَطِفْلَيْنِ جَمِيلَيْنِ يَجِيئَانِ أَحْيَانًا فَيَجْلِسَانِ فِي الشُّرْفَةِ أَوْ يَمْشِيَانِ فِي الْحَدِيقَةِ، فَلَوْلَا نُشُوزُ خَادِمِهِمَا الْكَهْلِ وَمَنْظَرُ هِنْدَامِهِ الزَّرِيِّ الشَّكْلِ لَحَسِبْتُهُمَا زَهْرَتَيْنِ مِنْ زُهُورِهَا أَوْ عُصْفُورَيْنِ

مِنْ طُيُورِهَا ! فَأَسِيرُ فِي الرَّوْضَةِ مُتَّئِدَ الْخُطَى مُرَتِّلَ النَّفَسِ مُرْهَفَ الْحِسِّ، تَارَةً بَيْنَ مَمَاشِيهَا وَتَارَةً فَوْقَ حَوَاشِيهَا فَأَقِفُ عِنْدَ كُلِّ شَجَرَةٍ وَأُحَيِّي كُلَّ زَهْرَةٍ وَأَسْأَلُ النَّبْتَةَ الْوَلِيدَةَ بِالْأَمْسِ مَا حَظُّهَا الْيَوْمَ مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ وَنِعْمَةِ الْوُجُودِ ثُمَّ أَصْعَدُ دَرَجَةً إِلَى الشُّرْفَةِ وَأَنْعَمُ سَاعَةً بِتِلْكَ الْوَقْفَةِ فَأَتَنَسَّمُ بِهَوَاءِ النَّهْرِ مِلْءَ رِئَتِي وَآخُذُ جُمْلَةَ الْمَنْظَرِ بِمَجَامِعِ عَيْنِي وَأَيُّ مَنْظَرٍ يَسْحَرُ اللُّبَّ وَيَمْلِكُ الطَّرْفَ كَهَذَا الْمَنْظَرِ الْفَاتِنِ؟ !

أحمد حسن الزيات
(بتصرف)

24 - جنة ساحرة

لَنَا صَاحِبٌ هُوَ أَعْظَمُ الْأَصْحَابِ نَشَاطًا، وَأَوْفَرُهُمْ جِدًّا وَأَكْثَرُهُمْ مَيْلاً إِلَى الزِّرَاعَةِ، وَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ ضَيْعَةً وَاسِعَةً، فَانْقَطَعَ لَهَا وَتَفَنَّنَ فِي إِصْلاَحِهَا، وَأَنْشَأَ فِي جَانِبٍ مِنْهَا الْحَبَّ وَالْقُطْنَ وَالْقَصَبَ، وَزَرَعَ فِي جَانِبٍ آخَرَ أَنْوَاعَ الْخُضَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَغَرَسَ فِي قِسْمٍ وَاسِعٍ حَدِيقَةً لِلْبُرْتُقَالِ وَاللَّيْمُونِ وَالتُّفَّاحِ وَالنَّخِيلِ، وَزَانَهَا بِأَلْوَانٍ مِنَ الْأَزْهَارِ تَتَأَلَّقُ فِي أَغْصَانِهَا تَأَلُّقَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ فِي التِّيجَانِ الْمُرَصَّعَةِ، وَأَجْرَى الْمِيَاهَ حَوْلَ الْأَغْرَاسِ كُلِّهَا وَلَمْ يَتْرُكْ بُقْعَةً جَدْبَةً وَلاَ أَرْضًا صَلْبَةً إِلاَّ هَزَّ تُرْبَتَهَا وَأَحْيَا مَوَاتَهَا فَاسْتَحَالَتْ ضَيْعَتُهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ تَفِيضُ أَزْهَارًا وَثِمَارًا وَتَسِيلُ عُيُونًا وَغُدْرَانًا.

وَأَعْجَبُ مَا يَرُوقُ فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ الزَّاهِرَةِ مَنْظَرُ الْمِيَاهِ الْمُتَدَفِّقَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الْأَشْجَارِ كَأَنَّهَا عُقُودٌ وَقَلاَئِدُ وَتَتَلَوَّى فِي سَيْرِهَا وَتَدَفُّقِهَا كَمَا تَتَلَوَّى الْحَيَّاتُ الْمَذْعُورَةُ الْهَائِمَةُ عَلَى

وَجْهِهَا ثُمَّ تَتَلاَقَى أَطْرَافُهَافَتُكَوِّنُ بِرَكًا صَغِيرَةً مُسْتَدِيرَةً يَحُفُّ بِهَا الْعُشْبُ الأَخْضَرُ كَمَا تَحُفُّ الأَهْدَابُ بِالْعُيُونِ.

وَحَوْلَ تِلْكَ الرَّوْضَةِ هَضْبَةٌ عَالِيَةٌ تَتَدَرَّجُ فِي ارْتِفَاعِهَا وَقَدْ غُرِسَ الدَّوحُ الْبَاسِقُ فِي بِقَاعِهَا الْمُنْخَفِضَةِ،وَالأَشْجَارُ الْمُتَوَسِّطَةُ فِي الأَمَاكِنِ الْمُتَوَسِّطَةِ، وَالشُّجَيْرَاتُ الْقَصِيرَةُ فِي الْمَشَارِفِ الْعَالِيَةِ فَاسْتَوَتْ رُؤُوسُ الأَشْجَارِفِي عُلُوِّهَا وَارْتِفَاعِهَا. فَإِذَا مَا وَقَفَ الْمَرْءُ عَلَى الرَّبْوَةِ وَأَشْرَفَ عَلَى الرَّوْضَةِ تَجَلَّى أَمَامَهُ مَنْظَرُهَا بِخَمَائِلِهِ وَأَزْهَارِهِ وَعُيُونِهِ وَغُدْرَانِهِ وَأَشْجَارِهِ وَعُشْبِهِ وَظِلاَلِهِ وَأَضْوَائِهِ، وَإِذَا أَلْقَى نَظْرَةً إِلَى السَّمَاءِ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَيْنَ سَمَاوَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ سَمَاءٌ تُنْبِتُ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ وَالأَقْمَارَ وَأُخْرَى تُنْبِتُ الأَنْوَارَ وَالأَثْمَارَ.

وَيَزِيدُ فِي بَهَاءِ الْحَدِيقَةِ وَفِتْنَتِهَا مَنْظَرُ الشَّمْسِ سَاعَةَ الأَصِيلِ وَقَدْ تَعَلَّقَ قُرْصُهَا مُتَوَهِّجًا كَاللَّهَبِ الأَحْمَرِ يَنْثُرُ تِبْرَهُ فِي الْفَضَاءِ وَيُرْسِلُ أَنْوَارَهُ عَلَى أَعَالِي الأَشْجَارِ فَتَتَسَاقَطُ مِنْ بَيْنِ الأَغْصَانِ كَأَنَّهَا الدَّنَانِيرُ الْمُبَعْثَرَةُ وَيَسْتَحِيلُ الزَّهْرُ فِي سُكُونِ ذَلِكَ الْجَوِّ وَهُدُوئِهِ أَحْجَارًا جَامِدَةً مِنَ الزُّمُرُّدِ وَالْيَاقُوتِ وَالأَلْمَاسِ.

وَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ أَقْبَلَتْ مَعَهُ الطُّيُورُ أَسْرَابًا تَرْسُمُ فِي صَفْحَةِ

السَّمَاء خُطُوطًا مُسْتَقِيمَةً وَمُتَعَرِّجَةً وَدَوَائِرَ تَامَّةً وَنَاقِصَةً، وَتُغَرِّدُ أَغَارِيدَهَا الْمُخْتَلِفَةَ الْأَلْحَانِ كَأَنَّهَا فِرَقٌ مُوسِيقِيَّةٌ بَارِعَةٌ تَتَّحِدُ نَغَمَاتُهَا وَتَخْتَلِفُ رَنَّاتُهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الظَّلَامِ وَنَشَرَ الْفَجْرُ رَايَتَهُ الْبَيْضَاءَ فِي السَّمَاءِ طَارَتْ مَعَ أَشِعَّتِهِ وَأَضْوَائِهِ وَذَهَبَتْ حَيْثُ تَشَاءُ.

فَمَا أَسْعَدَ صَاحِبَنَا بِتِلْكَ الْجَنَّةِ السَّاحِرَةِ ! وَمَا أَهْنَأَهُ بِذَلِكَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ !

مصطفى لطفي المنفلوطي

25 - حقل الفول

بَلَغَتْ جُمْلَةُ أَطْوَالِ مَا زَرَعْتُهُ مِنْ صُفُوفِ الْفُولِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ، وَكَانَ الْفُولُ يَنْظُرُ « التَّمْشِيطَ » بِفَارِغِ الصَّبْرِ فَقَدْ نَمَا مَا زُرِعَ مِنْهُ أَوَّلاً نُمُوًّا عَظِيمًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مَا زُرِعَ مِنْهُ أَخِيرًا. فَهَا أَنَا ذَا أُعِزُّهُ وَأَتَعَهَّدُهُ وَأَمْشُطُهُ وَأَعْزُقُهُ وَأُرَاقِبُهُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً. كَانَ هَذَا شُغْلِي الْيَوْمِيَّ وَإِنَّهَا لَصَفْحَةٌ جَمِيلَةٌ عَرِيضَةٌ رَائِعَةٌ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَكَانَ يُعَاوِنُنِي فِي عَمَلِي هَذَا النَّدَى وَالْمَطَرُ اللَّذَانِ يَرْوِيَانِ هَذِهِ الرَّبْوَةَ الْجَافَّةَ، كَمَا عَاوَنَنِي مَا قَدْ يَكُونُ فِي التُّرْبَةِ ذَاتِهَا مِنْ خِصْبٍ قَلِيلٍ لِأَنَّهَا تُرْبَةٌ أَكْثَرُهَا هَزِيلٌ مُجْهَدٌ عَقِيمٌ أَمَّا أَعْدَائِي فَكَانَتِ الدِّيدَانُ وَالْأَيَّامُ الْبَارِدَةُ، وَأَلَدُّهُمَا جَمِيعًا الْمَرَامِيطُ فَقَدْ قَرَضَتْ رُبْعَ فَدَّانٍ، وَأَتَتْ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ مِنَ الْفُولِ وَلَكِنْ أَيُّ حَقٍّ يُخَوِّلُ لِي أَنْ أَطْرُدَ هَذِهِ الْحَشِيشَةَ وَأَمْثَالَهَا وَأُفْسِدَ عَلَيْهَا حَدِيقَةَ أَعْشَابِهَا الْقَدِيمَةَ ؟

فَالْفُولُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُصْبِحَ شَاقًّا عَلَيْهَا أَنْ تَقْرِضَهُ وَلَسَوْفَ يَمْضِي فِي سَبِيلِهِ يُوَاجِهُ أَعْدَاءً جُدُدًا غَيْرَهَا .....

كُنْتُ كُلَّمَا سَحَبْتُ بِالْمُشْطِ تُرْبَةً جَدِيدَةً كَيْ أَضَعَهَا حَوْلَ صُفُوفِ الْفُولِ حَمَلْتُ الرَّمَادَ الَّذِي سَبَقَ أَنْ خَلَّفَتْهُ وَرَاءَهَا أُمَمٌ كَانَتْ تَعِيشُ مِنْ قَبْلُ تَحْتَ قُبَّةِ هَذِهِ السَّمَاءِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْبَدَائِيَّةِ السَّحِيقَةِ .....

وَإِذَا مَا اصْطَدَمَتْ مِعْزَقَتِي بِالْأَحْجَارِ رَنَّتْ مُوسِيقَاهَا وَدَوَى صَدَاهَا فِي الْغَابَاتِ وَفِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ فَكَانَتْ مُصَاحَبَةً مُوسِيقِيَّةً تُرَافِقُ عَمَلِي ذَلِكَ الْعَمَلَ الَّذِي أَغَلَّ لِي فِي الْحَالِ مَحْصُولاً عَظِيمًا لَايُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ .

« والدُن »

البيـــــادر

ها نحن في ليلة من ليالي أوت، السنابل مفروشة على البيدر في انتظار النورج في الصباح، وأنا قد افترشت بعضها، وتدثرت ببعضها ورحت أدغدغ بأناملي، ما جاورني منها، فتارة أرفعها الى فمي فأقبلها، وأخرى أدنيها من أنفي فأشمها، وطورا أمر بها على جبيني وأجفاني ...

تلك هي المتعة الاولى من متعات البيادر، وثمة ثانية هي متعة الوقوف أو الجلوس على النورج، والدوران على البيدر دورة بعد دورة حتى لتكاد تنسى أن على الارض أو في الاجواء، من حولها حركات تسير في خطوط مستقيمة أو منعرجة، ولا تبصر في الكون غير دوائر في دوائر، وأمامك ثوران يدوران الهوينا ويجران خلفهما النورج، وبين الفينة والفينة يملأن شدقيهما بالسنابل فلا تزجرهما بل تقول لهما من أعماق قلبك "صحتين" "صحتين" عالما أن لهما في سنابلك شركة وحقا.

الشمس تشويك وغبار التبن يدخل عينيك ومنخريك، فلا تتذمر من الشمس ولا تتأفف من غبار التبن. وللسنابل حفيف تحت أسنان النورج ليس يعرف حلاوة وقعه غير أبناء البيادر. وللنسيم جولات تلطف من حرارة الشمس على جبينك، وللجبال الغائمة في وهج النهار، شفاه تتمتم لك البركة. وعيون تشع لك السلام.

وثمة متعة ثالثة : هي التذرية للفصل بين الحب والتبن بين اللباب والقشور. فما أعرف مشهدا أبهج للعين وأدعى الى التأمل من مشهد بيادر كثيرة مبعثرة هنا وهناك على سفوح الجبال ومناكب الاودية تلعب فيها المذراة دورها في آن واحد، فلا ترى

أني التفت سوى دفعات من التبن والقمح تتسابق صعودا في الهواء، وهبوطا الى الارض، فيطير التبن ثم يسقط متماهلا الى ناحية من البيدر. أما القمح فيعود سريعا الى الكومة التي ارتفع منها فليس من حبة واحدة إلا ترتفع في الجو وتعود الى الارض مئات المرات والمذري مع ذلك لاينفد صبره، ولا ترتخي عضلاته، بل ينظر الى الحبوب نظر العاشق الى معشوقه، وأكبر همه أن تسعفه الريح في انجاز عمله (يا رب نسمة هـواء).

وهكذا تراه لا ينفك يدفع بالقمح والتبن الى فوق حتى تتم العجيبة فاذا التبن في جانب من البيدر والقمح في آخر....

أما المتعة الرابعة والأخيرة فمتعة الغربلة، وأروع ما في هذا الفصل من رواية البيادر التي كلها روعة هي رقصة الغربال.

فما أن تهزه يد المغربل حتى ينتفض كل ما فيه انتفاضة لا تدري أانتفاضة جذل هي أم انتفاضة وجل ... فالحبوب تدور على ذاتها وبعضها على بعض كأنها جماعة من الدراويش في ليلة ذكر، والأحساك تتكتل وتتجمع فوق الحبوب تجمع الرغوة في أعلى القدر والتراب والزؤان والحبوب الهزيلة الدميمة تنهل من ثقوب الغربال انهلال الدمع من العين أو الطل من السحاب، والحصى ترتطم وتتدافع وتختبىء تحت الحبوب في أسفل الغربال ناسية أن عين المغربل لن تغفل عنها أينما كانت وأن يده ستنشلها في النهاية من محابئها وتطرح بها جانبا. إن في رقصة الغربال لسحرا يسلخ كل ذي خيال عن نفسه ويطير به الى أجواء بعيدة.

ميخائيل نعيمة
(باختصار)

26 - الزهرة السجينة

رَآهَا يَحُلُّ الْفَجْرُ عَقْدَ جُفُونِهَا ... وَيُلْقِي عَلَيْهَا تِبْرَهُ فَيَذُوب

فَعَالَجَهَا حَتَّى اسْتَوَتْ فِي يَمِينِهِ ... وَعَادَ إِلَى مَغْنَاهُ وَهْوَ طَرُوبُ

وَشَاءَ فَأَمْسَتْ فِي الْإِنَاءِ سَجِينَةً ... لِتَتَشْبَعَ مِنْهَا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

لَهَا الْحُجْرَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْقَصْرِ إِنَّمَا ... أَحَبَّ إِلَيْهَا رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ

وَأَجْمَلُ مِنْ نُورِ الْمَصَابِيحِ عِنْدَهَا ... حُبَاحِبُ تَمْضِي فِي الدُّجَى وَتَؤُوبُ

وَأَبْهَى مِنَ الدِّيبَاجِ وَالْخَزِّ عِنْدَهَا ... فِرَاشٌ مِنَ الْعُشْبِ الْخَضِيلِ رَطِيبُ

وَأَحْلَى مِنَ السَّقْفِ الْمُزَخْرَفِ بِالدُّمَى ... فَضَاءٌ تُشِعُّ الشُّهْبُ فِيهِ رَحِيبُ

تَحِنُّ إِلَى مَرْأَى الْغَدِيرِ وَصَوْتِهِ ... وَتُحْرَمُ مِنْهُ وَالْغَدِيرُ قَرِيبُ

وَلَيْسَ لَهَا لِلْبُؤْسِ فِي نَسَمِ الرُّبَى ... نَصِيبٌ وَلَمْ يَسْكُنْ لَهُنَّ هُبُوبُ

إِذَا سُقِيَتْ زَادَتْ ذُبُولاً كَأَنَّمَا ... يُرَشُّ عَلَيْهَا فِي الْمِيَاهِ لَهِيبُ

وَكَانَتْ قَلِيلُ الظِّلِّ يُنْعِشُ رُوحَهَا ... وَكَانَتْ بِمَيْسُورِ الشُّعَاعِ تَطِيبُ

بِهَا مِنْ أُنُوفِ النَّاشِقِينَ تَوَعُّكٌ ... وَمِنْ نَظَرَاتِ الزَّائِرِينَ نُدُوبُ

وَفِيهَا كَمَقْطُوعِ الْوَرِيدَيْنِ صُفْرَةٌ ... وَفِيهَا كَمِصْبَاحِ الْبَخِيلِ شُحُوبُ

تَمَشَّى الظَّنَى فِيهَا وَأَيَّارُ فِي الْحِمَى ... وَجَفَّتْ وَسِرْبَالُ الرَّبِيعِ قَشِيبُ

ايليا أَبو مَاضِي

27 - ابنة من الخشب

تِلْكَ هِيَ عَصَايَ... عَرَفْتُهَا أَوْقُلْ حَمَلْتُهَا مُنْذُ نَحْوِ رُبُعِ قَرْنٍ.. مُنْذُ أَنْ كُنْتُ وَكِيلاً لِلنِّيَابَةِ فِي مَدِينَةِ طَنْطَا.. مُنْذُ ذَلِكَ التَّارِيخِ وَهِيَ تُلاَزِمُنِي كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ ذِرَاعِي.. تَنْتَقِلُ مَعِي وَتَسِيرُ مِنْ مَصِيرٍ إِلَى مَصِيرٍ... لاَ تَضْجَرُ مِنِّي وَلاَ تَزْهَدُ فِي صُحْبَتِي، لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ ابْنَةً مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ لَقَالَتْ لِيَ الْيَوْمَ : دَعْنِي... إِنِّي لَسْتُ مِنْ جِيلِكَ ! وَالْتَفَتَتْ إِلَى زَوْجِهَا وَبَيْتِهَا وَلَكِنَّ عَصَايَ لَمْ تَعْصِنِي بَلْ تَبِعَتْنِي وَأَطَاعَتْنِي وَقَاسَمَتْنِي الْأَيَّامَ الْبِيضَ وَالْأَيَّامَ السُّودَ.. إِنَّ عَصَايَ مَعِي دَائِمًا... قَانِعَةٌ بِحَيَاتِهَا الْهَادِئَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ بِجِوَارِي... تَسْمَعُ كُلَّ مَا يَدُورُ حَوْلِي... وَتَهُزُّ رَأْسَهَا فِي يَدِي عَجَبًا أَوْ سُخْرًا أَوْ صَبْرًا.. وَتَكْتُمُ كَثِيرًا... وَتَهْمِسُ قَلِيلاً... مَا مِنْ شَكٍّ عِنْدِي فِي أَنَّهَا تُرِيدُ أَحْيَانًا أَنْ تَتَكَلَّمَ... وَلَكِنَّهَا تَصْمُتُ أَدَبًا... لأَنِّي لَمْ أَدْعُهَا إِلَى الْكَلاَمِ. لَقَدْ لَحَظَهَا الْكَثِيرُونَ مِنْ قَدِيمٍ.. وَأَشَارَ إِلَيْهَا أَحْيَانًا بَعْضُ الْكَاتِبِينَ وَالرَّاسِمِينَ.. وَحَيَّاهَا بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ بِقَوْلِهِمْ لِي : « أَهِيَ

دَائِمًا مَعَكَ لاَتُفَارِقُكَ ؟ ! ». نَعَمْ هِيَ بِعَيْنِهَا... لاَ أَبْتَغِي بِهَا بَدِيلاً.. وَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ... هَذِهِ الْعَصَا الْبَسِيطَةُ مِنَ الْخَشَبِ الأَبْيَضِ الزَّهِيدِ... لَقَدْ هَرِمَتْ وَاعْتَلَّتْ ... وَنَخَرَ فِيهَا الدَّاءُ... وَلَكِنِّي أَتَنَاوَلُهَا بِالْعِلاَجِ.. وَالْخَوْفُ عَلَى حَيَاتِهَا يَخْلَعُ قَلْبِي.. حَتَّى كَثُرَتْ فِي جَسَدِهَا الْمَسَامِيرُ... إِنَّهَا يَجِبُ أَنْ تَعِيشَ... لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَوَّرَ يَدِي بِدُونِ يَدِهَا.. تِلْكَ الَّتِي عَاشَتْ مَعِي خَيْرَ سَنَوَاتِ الْعُمُرِ..!

توفيق الحكيم

(من كتاب عصا الحكيم

28 ـ اللوزة المزهرة

لاَحَ نَيْرُوزُ ضَحُوكًا فَارْتَـدَتْ لَوْزَتِي حِينَ بَدَا ثَوْبَ الزُّهُـور
بَعْدَ عُرْيٍ جَمَدَ الْقَلْبُ لَهُ وَشَكَـا الصَّفْصَافُ مَهْمُومَ الزَّفِيرِ

لَوْزَتِي إِضْمَامَةٌ مِـنْ نَرْجَسٍ شَفَّهَا الْبَوْحُ فَفَاحَتْ بِالْعُطُورِ
زَهْرُهَا بِيضُ نُجُومٍ عُلِّقَـتْ كَلآلِي الْفَجْرِ فِي الْغُصْنِ النَّضِيرِ
هَائِجَاتٍ بِـارْتِقَـاصَاتِ السَّنَى مُشْعَلاَتٍ كَقَنَادِيلِ الْغَـدِيـرِ
تَنْفُـثُ الْوَجْـدَ حُبَابًـا رَاعِشًـا يَمْلأُ الظَّلْمَاءَ بِالنُّورِ النَّثِيرِ...
وَإِذَا الصُّبْحُ تَبَـدَّى بَـاسِمًـا وَسَرَى الْجَدْوَلُ مَنْغُومَ الْخَرِيـرِ
هَبَطَ النَّحْلُ عَلَيْهَا نَغَـمًـا مُسْكِرَ الْجِرْسِ يُدَوِّي فِي الأَثِيرِ
رَاشِفًا مَا رَاقَهُ مُـسْتَنْفِـدًا سُكَّرَ الثَّغْـرِ.. وَرَفَّافَ الْعَبِيـرِ

لَوْزَتِي تَـاجُ ضَبَـابَاتِ الرُّبَى دَغْدَغَتْهُ الشَّمْسُ بِالنُّورِ الْغَرِيرِ
كُلَّمَا هَبَّتْ رِيَاحٌ صَفَّقَـتْ فَوْقَهُ الأَنْجَامُ تَنْزُو كَالثُّغُورِ
وَتَهَاوَتْ نُتَفًـا رَفَّـافَـةً كَرِقَاعِ الثَّلْجِ مَغْمُوسٍ بِنُـورِ
بَيْنَهَا صُفْرُ فَرَاشَاتٍ هَفَـتْ بِجَنَاحَيْنِ مِنَ الْوَجْدِ الْمُثِيـرِ

فؤاد الخشن

(مجلة الاديب يونيو 1958)

29 - النخيـــــل

أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبْ ... وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرْأَى عَجَبْ

مَآذِنُ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ... ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَذَبْ

وَلَيْسَ يُؤَذِّنُ فِيهَا الرِّجَالُ ... وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْغُرُبْ

وَبَاسِقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرِّمَالِ ... نَمَتْ وَرَبَتْ فِي ظِلَالِ الكُتُبْ

كَسَارِيَةِ الفُلْكِ أَوْ كَالْمَسَلَّةِ ... أَوْ كَالْفَنَارِ وَرَاءَ الْعَبَبْ

تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكَثِيبِ ... إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ ذَهَبْ

تَخَالُ إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الضُّحَى ... وَجَرَّ الْأَصِيلُ عَلَيْهَا اللَّهَبْ

وَطَافَ عَلَيْهَا شُعَاعُ النَّهَارِ ... مِنَ الصَّحْوِ أَوْ مِنْ حَوَاشِي السُّحُبْ

وَصِيفَةَ فِرْعَوْنَ فِي سَاحَةٍ ... مِنَ الْقَصْرِ وَاقِفَةً تَرْتَقِبْ

قَدِ اعْتَصَبَتْ بِفُصُوصِ الْعَقِيقِ ... مُفَصَّلَةً بِشُذُرِ الذَّهَبْ

وَنَاطَتْ قَلَائِدَ مَرْجَانِهَا ... عَلَى الصَّدْرِ وَاتَّشَحَتْ بِالْقَصَبْ

وَشَدَّتْ عَلَى سَاقِهَا مِئْزَرًا ... تَعَقَّدَ مِنْ رَأْسِهَا لِلذَّنَبْ

أحمد شوقي

المحور الثالث

الانسان في الكـون

1 - مدينة الموصل

هِيَ مَدِينَةٌ عَتِيقَةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ، وَقَلْعَتُهَا الْمَعْرُوفَةُ بِالْحَدْبَاءِ عَظِيمَةُ الشَّأْنِ شَهِيرَةُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ عَلَيْهَا سُورٌ مُحْكَمُ الْبِنَاءِ مُشَيَّدُ الْبُرُوجِ وَتَتَّصِلُ بِهَا دُورُ السُّلْطَانِ، وَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْبَلَدِ شَارِعٌ مُتَّسِعٌ مُسْتَطِيلٌ مِنْ أَعْلَى الْبَلَدِ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَعَلَى الْبَلَدِ سُورَانِ اثْنَانِ وَثِيقَانِ، أَبْرَاجُهُمَا كَثِيرَةٌ مُتَقَارِبَةٌ، وَفِي بَاطِنِ السُّورِ بُيُوتٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ مُسْتَدِيرَةٌ بِجِدَارِهِ قَدْ تَمَكَّنَ فَتْحُهَا فِيهِ لِسَعَتِهِ.

وَلِلْمَوْصِلِ رَبَضٌ كَبِيرٌ فِيهِ الْمَسَاجِدُ وَالْحَمَّامَاتُ وَالْفَنَادِقُ وَالْأَسْوَاقُ، وَبِهِ مَسْجِدٌ جَامِعٌ عَلَى شَطِّ الدِّجْلَةِ تَدُورُ بِهِ شَبَابِيكُ حَدِيدٍ، وَتَتَّصِلُ بِهِ مَصَاطِبُ تُشْرِفُ عَلَى دِجْلَةَ، فِي النِّهَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْإِتْقَانِ، وَأَمَامَهُ مَارِسْتَانٌ وَبِدَاخِلِ الْمَدِينَةِ جَامِعَانِ : أَحَدُهُمَا قَدِيمٌ وَالْآخَرُ حَدِيثٌ وَفِي صَحْنِ الْحَدِيثِ مِنْهُمَا قُبَّةٌ فِي دَاخِلِهَا بِرْكَةُ رُخَامٍ مُثَمَّنَةٌ مُرْتَفِعَةٌ عَلَى سَارِيَةِ رُخَامٍ يَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ بِقُوَّةٍ وَانْزِعَاجٍ فَيَرْتَفِعُ مِقْدَارَ الْقَامَةِ ثُمَّ يَنْعَكِسُ فَيَكُونُ لَهُ مَرْأًى حَسَنٌ.

ابن بطوطة

2 - ضاحية أبي سعيد

بَلَغْتَ مُنَاكَ يَا جَبَلَ الْمَنَارِ ... فَجُرَّ كَمَا تَشَا ذَيْلَ افْتِخَارِ
وَيَا عَلَمًا عَلاَ أَعْلاَكَ نُورٌ ... عُرِفْتَ بِهِ وَلَمْ تُعْرَفْ بِنَارِ
لَئِنْ يَكُنِ الْهُدَاةُ هُدُوا بِصَخْرٍ ... فَصَخْرُكَ قَدْهَدَى سُفُنَ الْبِحَارِ
وَقَدْ رَفَعَتْ بِكَ الْخَضْرَا يَمِينًا ... تُحَيِّي فِي الْمَهَامِهِ كُلَّ سَارِ
وَتُرْشِدُ حَائِرًا مَا اسْوَدَّ لَيْلٌ ... وَتَبْدُو كَالْمُرَحِّبِ بِالنَّهَارِ
وَفِي عُرْضِ الْخَلِيجِ نَرَاكَ رَأْسًا ... يَلُوحُ مُكَلَّلاً إِكْلِيلَ غَارِ
تُكَلِّلُهُ شُجَيْرَاتٌ تَسَامَتْ ... رَبَانَتْ فِي نَمَاءٍ وَازْدِهَارِ
وَأَوْلَتْكَ الطَّبِيعَةُ بِافْتِنَانٍ ... مَفَاتِنَ قَدْ دَعَتْ لِلْإِعْتِبَارِ
يَرَاهَا مَنْ أَتَاهَا فِي ازْدِهَاءٍ ... تُحَيِّي بِالْيَمِينِ وَبِالْيَسَارِ
مَنَازِلُ قَدْ تَجَلَّتْ فِي بَيَاضٍ ... تُحِيطُ بِهَاالْحَدَائِقُ فِي اخْضِرَارِ
وَجَو يَكْتَسِي حُسْنًا بَدِيعًا ... يُرِيكَ صَبَاحُهُ لَوْنَ الْبَهَارِ
وَإِنْ أَوْفَتْ ذُكَاءُ عَلَى غُرُوبٍ ... تَرَى آفَاقَهُ كَالْجُلَّنَارِ
وَمَهْمَا لاَحَ بَدْرٌ فِي سَمَاهُ ... تَبَدَّى ضَاحِكًا بَيْنَ الدَّرَارِي
وَحَاذَى الْبَحْرُ رَهْوًا شَاطِئَيْهِ ... كَمَا تَبْدُو مِرْآةٌ فِي إِطَارِ

يَمُوجُ بِمَوْجِهِ وَإِذَا تَدَانَـــى إِلَى الشَّطَّيْنِ يَبْدُو فِي انْكِسَارِ
وَتُلْقِي الشَّمْسُ إِشْعَاعًا فَيَبْـدُو كَمَا يَبْـدُو الْحُبَابُ عَلَى الْعُقَارِ
وَتَلْقَاهُ إِذَا مَـا مَـازَجَتْـــهُ يَشِـعُّ كَمِثْلِ ذَوْبٍ مِنْ نُضَارِ
وَتَمْخُرُهُ الْجَـوَارِي مَائِسَـاتٍ وَكَمْ يَزْدَادُ حُسْنًا بِـالْجَـوَارِي
لَقَدْ لاَحَتْ بِأَشْرِعَـةٍ تُحَاكِـي حَمَامًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ جَارِ

ابو الحسن بن شعبان

3 ـ الحمـــــامات

.. يَقُومُ عَلَى الشَّاطِىءِ مِنْ جِهَتِهِ الْيُمْنَى « نَزْلُ الْخَلِيجِ » حَيْثُ يَأْوِي السُّيَّاحُ وَالزَّائِرُونَ. وَعَلَى الْيَسَارِ يَجْثُمُ حِصْنٌ قَدِيمٌ مِنْ آثَارِ الْعَهْدِ التُّرْكِيِّ مُغَطًّى بِشَبَابِيكَ صَائِدِي الْأَسْمَاكِ، يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ جِهَاتِهِ الثَّلَاثِ بِوَاسِطَةِ أَبْوَابٍ مُقَوَّسَةٍ تُسَلِّمُكَ إِلَى أَرْوِقَةٍ مُسَقَّفَةٍ عَلَى مِثَالِ سُوقِ « التُّرْكِ » ـ بِالْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْعَاصِمَةِ التُّونِسِيَّةِ ـ وَبِجَانِبِهِ مَقْبَرَةٌ تَضُمُّ رُفَاتَ الْمُجَاهِدِينَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ خِلَالَ حُرُوبِ «الْحَمَّامَاتِ» التَّارِيخِيَّةِ.

لِنَصْعَدْ عَلَى هَذَا الْحِصْنِ وَنُشْرِفْ مِنْ عُلُوِّهِ عَلَى بَلْدَةِ « الْحَمَّامَاتِ » فَهِيَ لَا تَلُوحُ لَنَا مِنَ الشَّاطِىءِ وَلَا مِنَ الطَّرِيقِ إِذْ تَحْجُبُهَا عَنَّا الْبَلْدَةُ الْحَدِيثَةُ بِبِنَايَاتِهَا الْعَصْرِيَّةِ وَحَدَائِقِهَا الْغَنَّاءِ الْمُشْتَبِكَةِ الْفَوَّاحَةِ بِالْفُلِّ وَالرَّيَاحِينِ.

وَهَانَحْنُ أُولَاءِ عَلَى سَطْحِ الْحِصْنِ، انْظُرْ أَمَامَكَ فَهَذِهِ بَلْدَةُ « الْحَمَّامَاتِ » تَنْكَشِفُ لَكَ بَيْضَاءَ تُطَوِّقُهَا خُضْرَةُ الْحَدَائِقِ وَالْأَجِنَّةِ كَأَنَّهَا بَاقَةٌ مِنْ زَهْرِ الْفُلِّ رَشَقَتْهَا يَدُ بُسْتَانِيٍّ فَنَّانٍ وَزَانَتْهَا

بِدَائِرَةٍ مِنَ الرَيْحَانِ. هنَاكَ يَقْطُنُ أَهْلُ « الْحَمَّامَاتِ » ذَوُو الشَّمَائِلِ اللَّطِيفَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْوَدِيعَةِ، وَمِنْ هُنَاكَ تَصْدُرُ بَاقَاتُ الْفُلِّ الشَّذِيِّ إِلَى الْعَاصِمَةِ، فَيَتَهَافَتُ عَلَيْهَا النَّاسُ شِيبًا وَشُبَّانًا رِجَالاً وَحِسَانًا تُزَيِّنُ الْعَمَائِمَ وَتُجَلِّلُ الصُّدُورَ، وَتَتَّخِذُ مِنْهَا الْغَوَانِي قَلَائِدَ تُطَوِّقُ الْأَجْيَادَ وَالنُّحُورَ، تُزْرِي بِقَلَائِدِ الْجَوْهَرِ وَعُقُودِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ.

لِنَعُدْ إِلَى الشَّاطِئِ. فَقَدْ أَقْبَلَ الْأَصِيلُ وَحَانَتْ سَاعَةُ الْمَرَحِ وَالْإِمْتَاعِ بِالْخَلِيجِ انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْأَسْرَابِ مِنَ الْعَذَارَى وَالشُّبَّانِ تَتَرَاقَصُ وَتَقْفِزُ عَلَى رِمَالِهِ نَشْوَةً وَاغْتِبَاطًا ! وَانْظُرْ هُنَاكَ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ أَلَا تَرَى تِلْكَ السَّفَائِنَ الصَّغِيرَةَ ذَاتِ الشِّرَاعِ مُنْتَشِرَةً عَلَى صَفْحَةِ الْخَلِيجِ هُنَا وَهُنَاكَ تَسِيرُ بِرِفْقٍ تَحْمِلُ أَشْرِعَتَهَا كَأَجْنِحَةِ الْحَمَائِمِ بِأَلْوَانٍ زَاهِيَةٍ مُبْهِجَةٍ تَرْتَسِمُ كَالنُّقَطِ : فَهَذِهِ سَفِينَةٌ ذَاتُ شِرَاعٍ أَحْمَرَ اللَّوْنِ وَهَذِهِ أُخْرَى بِشِرَاعٍ بُرْتُقَالِيٍّ وَثَالِثَةٌ شِرَاعُهَا أَصْفَرُ فَاقِعٌ يَكْتَضُّ جَوْفُهَا بِالصَّيَّادِينَ الضَّاحِكِينَ السُّعَدَاءِ.

مَنْظَرٌ خَلَّابٌ سَاحِرٌ وَعَشِيَّةٌ تَشْرَحُ النَّفْسَ وَتَبْهَجُ الْخَاطِرَ هَكَذَا تَمُرُّ الْعَشَايَا بِخَلِيجِ « الْحَمَّامَاتِ » .

الهـادي العبيدي

4 - في بلاد الجريد

أَصْبَحْنَا يَوْمَ الخَمِيسِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى «تُوزُرَ» فَارْتَحَلْنَا عَنْ نَفْزَاوَةَ ظُهْرًا مُقَرِّبِينَ لِمَرْحَلَتِنَا مِنَ الْغَدِ، وَشَرَعْنَا فِي أَوَّلِ السَّبْخَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِـ «تَاكْمِرْتَ» فَقَطَعْنَا يَسِيرًا مِنْهَا وَبِتْنَا هُنَاكَ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ ارْتَحَلْنَا وَأَخَذْنَا فِي اجْتِيَازِ أَوَّلِ السَّبْخَةِ . فَلَمْ نَزَلْ نَقْطَعُهَا سُرًى وَسَيْرًا إِلَى الزَّوَالِ مِنَ الْغَدِ، وَقَدْ وَجَدْنَا فِيهَا مَعَالِمَ قَائِمَةً مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ تَمْنَعُ السَّالِكَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ طَرِيقِهَا الْمَسْلُوكَةِ يَمِينًا وَشِمَالاً لِأَنَّ مَا عَلَى يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا مِنَ الْأَرْضِ مَغَائِصُ لاَ تَثْبُتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ، وَلاَ يَسْلُكُهَا أَحَدٌ جَاهِلٌ بِهَا إِلاَّ غَاصَ فِيهَا وَالْتَأَمَتِ الْأَرْضُ فِي الْحِينِ وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَقَدْ ذَكَرَ «أَبُو الْحَجَّاجِ» يَصِفُ مَسِيرَ «يُوسُفَ بْنِ الْمَنْصُورِ» إِلَى «تُوزُرَ» فَقَالَ : «وَتَمَادَى بِهِ السَّيْرُ إِلَى الْمَلاَّحَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِتُوزُرَ وَهِيَ مِنْ غَرَائِبِ الدُّنْيَا الَّتِي أَغْفَلَهَا الْمُؤَرِّخُونَ وَأَهْمَلَ وَصْفَهَا الْأَخْبَارِيُّونَ، فَإِنَّهَا أَمْيَالٌ فِي أَمْيَالٍ سَطْحًا وَاحِدًا كَالدَّجْنِ الْمَسْبُوكِ، أَوِ الْمَرْمَرِ الْمَحْبُوكِ يَكَادُ يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ لِصِفَائِهِ

وَكَأَنَّمَا هُوَ غَدِيرٌ جَمَدَ بِمَائِهِ.... وَآنَ وَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالنَّاسُ يَمْشُونَ فِيهَا فَصَلَّوْا عَلَى بِسَاطٍ مِنَ الْكَافُورِ أَوْ سَطْحٍ مِنَ الْبِلَّوْرِ.... وَلَمَّا تَمَادَى عَلَيْهَا تَكْرَارُ الْحَافِرِ، وَتَرَدُّدُ الْآثَارِ تَخَرَّقَ مِنْهَا نَحْوُ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِيمَا يَقْرُبُ مِنَ الْبَرِّ فَكُلُّ مَا تَخَلَّفَ مِنَ الْحُمُولَةِ وَالْأَثْقَالِ ابْتَلَعَتْهُ. وَسَاخَتِ الْجِمَالُ بِأَحْمَالِهَا فَمَا أُخْرِجَتْ إِلَّا بَعْدَ نَحْرِهَا حَيْثُ سَاخَتْ فَهَلَكَ بِذَلِكَ جُمْلَةٌ مِنَ الزَّامِلَةِ، وَرَزَحَ الظَّهْرُ وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْحُمُولَةِ..... » وَأَمَّا أَنَا فَشَاهَدْتُ الرَّجُلَ يَدْفَعُ سَافِلَةَ الرُّمْحِ فِي الْأَرْضِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ إِلَى عَالِيَتِهِ وَلَوْ ازْدَادَ رَفْعًا لَازْدَادَ نُزُولًا فَإِذَا جَذَبَهُ عَادَتِ الْأَرْضُ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى. وَلَقَدْ وَجَدْنَا كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ قَدْ سَمَطَ وَأَبْعَدَهُ الرِّيحُ عَنْ مَكَانِهِ.... وَإِلَى جَانِبِ عَمُودٍ مِنْهَا امْرَأَةٌ قَدْ ضَمَّتْ يَدَهَا عَلَى طِفْلَةٍ فَمَاتَتَا مَعًا. وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ هَذِهِ السَّبْخَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُشْرَبَ بِهَا مَاءٌ عَذْبٌ فَإِنَّ الْمَاءَ إِذَا اسْتُصْحِبَ فِيهَا عَادَ بِهَوَائِهَا مِلْحًا أُجَاجًا عَلَى طَبْعِهَا.

عن « رحلة التيجاني »
(بتصرف)

5 - مدينة كراتشي

عِنْدَمَا انْبَلَجَ نُورُ الصَّبَاحِ، وَقَفْتُ فِي شُرْفَةِ الْفُنْدُقِ أَتَامَلُ مَدِينَةَ «كَرَاتْشِي» وَهِيَ تَنْتَشِرُ حَوْلِي أَمْيَالاً وَأَمْيَالاً، فَأَخَذْتُ لِجَمَالِهَا الْحَزِينِ وَنَظَافَتِهَا التَّامَّةِ، وَأَنَاقَةِ مَبَانِيهَا الْمُمْتَدَّةِ حَتَّى حَافَةِ الصَّحْرَاءِ الَّتِي تَحْتَضِنُ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَلاَثِ جِهَاتٍ...

وَ«كَرَاتْشِي» مَدِينَةٌ حَدِيثَةٌ لَمْ يَمْضِ عَلَى انْشَائِهَا غَيْرُ بِضْعِ عَشَرَاتٍ مِنَ السِّنِينَ وَهِيَ لِذَلِكَ تُعْتَبَرُ أَنْظَفَ مُدُنِ الْهِنْدِ وَأَكْثَرَهَا نِظَامًا : فَطُرُقَاتُهَا طَوِيلَةٌ مُعَبَّدَةٌ تَقُومُ عَلَى جَانِبَيْهَا مَبَانٍ صَغِيرَةٌ قَلِيلَةُ الْإِرْتِفَاعِ لاَ تَزِيدُ عَلَى طَبَقَةٍ أَوْ طَبَقَتَيْنِ، وَيَقَعُ حَيُّ الْمَسَاكِنِ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ شُيِّدَتْ فِيهِ مَنَازِلُ بَيْضَاءُ أَنِيقَةٌ تُحِيطُ بِهَا حَدَائِقُ وَاسِعَةٌ وَلَكِنَّهَا مَنَازِلُ مُنْخَفِضَةٌ طَابَعُهَا الْبَسَاطَةُ فِي الْبِنَاءِ وَالتَّأْثِيثِ.

وَالنَّاحِيَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْمَدِينَةِ تَحْوِي حَيًّا تِجَارِيًّا عَظِيمًا يَقْصُدُهُ الْغُرَبَاءُ عَقِبَ نُزُولِهِمْ بِأَرْضِ الْهِنْدِ لِلتَّفَرُّجِ عَلَى مَا يَحْوِيهِ مِنْ نَفَائِسَ، وَعَلَى جَوَانِبِ طُرُقَاتِ الْحَيِّ تَقُومُ الْحَوَانِيتُ الشَّرْقِيَّةُ

الْمَلِيئَةُ بِالْجَوَاهِرِ وَالْحَرِيرِ الْمُطَرَّزِ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ حَتَّى لَيَبْلُغَ ثَمَنُ قِطْعَةِ النَّسِيجِ مِنْهَا ثَرْوَةً كَامِلَةً فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَقَدْ صَنَعَتْ هَذَا الْحَرِيرَ أَيْدٍ هِنْدِيَّةٌ لِتُتَّخَذَ مِنْهُ مَلَابِسُ السَّيِّدَاتِ الْمُتْرَفَاتِ وَهِيَ الْمَلَابِسُ الْمَعْرُوفَةُ بِاسْمِ « الصَّارِي » وَالصَّارِي قِطْعَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ الْمُطَرَّزِ يَبْلُغُ طُولُهَا سِتَّةُ أَمْتَارٍ، وَتُلَفُّ حَوْلَ الْجِسْمِ بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْمَنْسُوجَاتِ الْغَالِيَةَ الْمُطَرَّزَةَ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَوْفُورَةٌ فِي الْهِنْدِ، يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجِدَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى حِينِ يُقَاسِي الشَّعْبُ أَزْمَةً خَطِيرَةً فِي كِسَاءِ الطَّبَقَاتِ الْوُسْطَى الْفَقِيرَةِ.

أَمِينة السعيد

(مشاهد في الهند)

6 - في سماء الجزيرة

حَمَلَتْنَا الطَّائِرَةُ مِنْ جِدَّةَ فِي مَشْرِقِ الصُّبْحِ، وَحَلَّقَتْ بِنَا عَالِيًا. ثُمَّ مَضَتْ تَشُقُّ أَجْوَازَ الْفَضَاءِ، وَتَطْوِي الْبِيدَ وَالْقِفَارَ، وَنَحْنُ نُحَدِّقُ مِنْ نَوَافِذِهَا الصَّغِيرَةِ فِي الصَّحْرَاءِ الْمُمْتَدَّةِ مِنْ تَحْتِنَا، فَلاَ نَرَى خِلاَلَ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ مُتَتَالِيَاتٍ غَيْرَ التِّيهِ الَّذِي ضَلَّ فِي مِثْلِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ عَامًا، تَتَدَافَعُ أَمْوَاجُ الرِّمَالِ مُلْتَهِبَةً فِي وَهَجِ الظَّهِيرَةِ، وَتَتَطَايَرُ ذَرَّاتُهَا فَتَعْقِدُ مِنْ حَوْلِنَا سُحُبًا كَالْقِبَابِ يَلُفُّ هَذَا الْقَفْرَ الْيَبَابَ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ مُتَتَالِيَاتٍ عَبْرَ الْمَهْمَهِ الْقَفْرِ لَمْ تَلْمَحْ فِيهَا أَثَرًا لِحَيَاةٍ أَوْ مَعْلَمًا مِنْ مَعَالِمِ الطَّرِيقِ وَلاَ سَمِعْنَا سِوَى أَزِيزِ الطَّائِرَاتِ وَهِيَ تَتَعَثَّرُ فِي كُهُوفِ الْهَوَاءِ بَيْنَ مَثَارِ النَّقْعِ

وَنَظَرْتُ إِلَى رِفَاقِ السَّفَرِ فِي الطَّائِرَةِ فَإِذَا فِيهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْبَدْوِ قَدْ رَكِبُوا مَتْنَ الْهَوَاءِ، وَامْتَطَوْا جَنَاحَ هَذَا الطَّيْرِ عَلَى بِسَاطٍ مِنَ الرِّيحِ، وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ أَدْرَكَ عَهْدَ النَّاقَةِ، وَشَقَّ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي مَسِيرِهِ عَبْرَ هَذِهِ الْفَيَافِي الَّتِي ظَلَّتْ - حَتَّى أَمْسِ - مَأْوًى لِلْجِنِّ

وَمَلْعَبًا لِلْغِيلاَنِ وَمَرَاحًا لِلْوَحْشِ.

وَانْتَبَهْتُ إِلَى بَدَوِيَّةٍ كَانَتْ تَجْلِسُ أَمَامِي مُخْتَفِيَةً فِي عَبَاءَتِهَا الْخَشِينَةِ السَّوْدَاءِ. انْثَنَيْتُ أَسْأَلُهَا : إِنْ كَانَ لَهَا بِرُكُوبِ الطَّائِرَةِ عَهْدٌ مِنْ قَبْلُ ؟ فَأَجَابَتْ فِي صَوْتٍ هَامِسٍ حَرَصَتْ عَلَى أَلاَّ يَبْلُغَ مَسَامِعَ الرِّجَالِ الْغُرَبَاءِ : بَلْ هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ أَخْرُجُ فِيهَا مِنْ نَجْدٍ وَمَا عَرَفْتُ قَطُّ غَيْرَ الْإِبِلِ وَسِيلَةً لِلْانْتِقَالِ. قُلْتُ : فَمَاذَا تَرَيْنَ فِي رِحْلَةِ الْيَوْمِ ؟ أَجَابَتْ عَلَى الْفَوْرِ : ـ عَجَبٌ أَيُّ عَجَبٍ، إِنَّهَا وَاللهِ سَاحِرٌ مِنْ مَرَدَةِ الْجَانِّ، أَوْمُعْجِزَةٌ وَارِثٌ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ. وَحَمَلَ لَنَا مُضِيفُ الطَّائِرَةِ لَحْمًا طَرِيًّا وَخُبْزًا شَهِيًّا وَشَرَابَ « الْكُوكَا كُولاَ » فَأَخَذْتُ أَرْقُبُ صَاحِبَتِي وَهْيَ لاَتَجْرَأُ عَلَى لَمْسِ الشَّرَابِ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهُ حَرَامٌ. وَكُنَّا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَدْ دَنَوْنَا مِنَ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ، فَحَدَّقْنَا فِيهِ مَأْخُوذِينَ وَحَامَتِ الطَّائِرَةُ حَوْلَ مَطَارِ الظَّهْرَانِ، وَقَدْ تَنَاثَرَتْ فِيهِ الْحَضَائِرُ وَالْمَبَانِي كَأَنَّهَا أَعْشَاشُ الطَّيْرِ، وَجَثَمَتِ الطَّائِرَاتُ عَلَى أَرْضِهِ شَبِيهَةً بِجَرَادٍ مُنْتَشِرٍ وَلَبِثَتِ الطَّائِرَةُ تَدْرُجُ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْضَ سَاعَةٍ وَنَحْنُ فِي ذُهُولٍ مُسْتَغْرِقٍ لاَ نَكَادُ نُصَدِّقُ أَنَّنَا عَبَرْنَا الصَّحْرَاءَ مَا بَيْنَ جَدَّةَ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالظَّهْرَانِ قُرْبَ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ فِي غَفْوَةٍ حَالِمَةٍ مَا بَيْنَ ضُحًى وَأَصِيلٍ.

الدُّكْتُورَةُ بنْت الشاطىء

7 - الجبل الابيض

يَطُلُّ عَلَى الْكَـوْنِ مِنْ شَاهِـقٍ كَنِسْرٍ يُـرَفْـرِفُ مِـنْ حَالِقِ
وَتَلْمَعُ فَوْقَ ذُرَاهُ الثُّلُـوجُ وَتَبْرُقُ كَالْأَمَـلِ الْـبَـارِقِ
لَـهُ قِمَّـةٌ كُلِّلَتْ بِالْمَشِيبِ عَـلَى كَـاهِلٍ كَالصِّبَا بَاسِـقِ
وَشَابَ ... وَلَـكِنَّـهُ لَـمْ يَـزَلْ فَتِيَّ الْـغَوَارِبِ وَالْـعَـاتِـقِ
فَمَا قَـوَّسَتْهُ هُمُومُ السِّنِيـنَ وَلاَ ضَرْبَةُ الزَّمَنِ الصَّـاعِـقِ
تَسَامَـى إِلَى جَنَبَاتِ السَّمَـاءِ وَطَالَ عَلَى رَأْسِهَـا السَّـامِـقِ
يَلُوحُ عَلَيْهِ اتِّـزَانُ الْـوَقُـورِ وَتَبْدُو بِـهِ ثِـقَـةُ الْوَاثِـقِ

هُـنَـاكَ صَعِـدْنَا إِلَى مَتْنِـهِ وَطُفْنَا عَلَى نَـبْعِـهِ الدَّافِـقِ
وَقَـدْ ثَـارَ جَدْوَلُـهُ ثَـوْرَةً تُذَكِّرُنِـي غَضْبَـةَ الْحَانِـقِ
صَعِـدْنَـا هُنَـاكَ إِلَى عَالَـمٍ لَذِيذِ الْمُـنَى خَـالِصٍ رَائِقِ
تَخَلَّصَ مِنْ صَرَخَاتِ الْحَيَـاةِ وَمِنْ إِنْسِهَا النَّاعِبِ النَّـاعِـقِ

وَمِنْ زَفْرَةِ الْحِقْدِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَمِنْ دَخْنَةِ النَّفَسِ الْخَانِقِ

هُنَاكَ رَأَيْتُ شُعَاعَ الْغُرُوبِ يَدِبُّ عَلَى الثَّلْجِ كَالسَّارِقِ
وَسَارَ بَيَاضُ الثُّلُوجِ الْكَثِيفُ عَلَى حُمْرَةِ الشَّفَقِ الْغَاسِقِ
وَقَامَتْ عَلَى مَزْجِ أَلْوَانِهِ يَدُ الصَّانِعِ الْمَاهِرِ الْحَاذِقِ
تُصَوِّرُ كُلَّ طَرِيفِ الْجَمَالِ وَكُلَّ بَدِيعِ الْحِلَى شَائِقِ

محمد عبد الغني حسن
(من وراء الأفق)

8 - في جوف الظلام

كَانَ يَسْعَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْقَاتِمَةِ، قَدْ هَدَأَ مِنْ حَوْلِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَجَثَمَ عَلَى الْكَوْنِ سُكُونٌ رَهِيبٌ مُرْهِقٌ، وَلَوْ قَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَرَأَى فِيهَا نُقَطًا مِنَ النُّورِ ضَئِيلَةً مُنْتَشِرَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ يُطْرِقُ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَمْضِي أَمَامَهُ يَمُدُّ دَرَجَهُ كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَخْتَرِقَ بِهِ هَذِهِ الْحُجُبَ الْكَثِيفَةَ مِنَ الظَّلَامِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ يَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينٍ وَلَا عَنْ شِمَالٍ وَإِنَّمَا كَانَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْجَمَادِ قَدْ صُوِّرَتْ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ وَلَوْ قَدْ عَدَا أَوْ أَسْرَعَ الْخَطْوَ لَجَازَ أَنْ يُشَبَّهَ بِسَهْمٍ يَشُقُّ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الْمُتَكَاثِفَةَ أَمَامَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْرِعُ الْخَطْوَ وَكَانَ يَسْعَى هَادِئًا مُطْمَئِنًّا لَا يَتَرَدَّدُ فِي سَعْيِهِ كَأَنَّمَا تَدْفَعُهُ إِلَى أَمَامٍ قُوَّةٌ خَفِيفَةٌ رَفِيقَةٌ فَهُوَ يَسْعَى سَعْيًا مُسْتَأْنِيًا رَفِيقًا لَا يَتَعَجَّلُ شَيْئًا وَلَا يَقِفُ عِنْدَ شَيْءٍ وَإِنَّمَا يَمْضِي إِلَى غَايَتِهِ كَمَا يَمْضِي الزَّمَانُ إِلَى غَايَتِهِ فِي أَنَاةٍ وَمَهْلٍ وَحَزْمٍ وَلَوْ كَانَ شَاعِرًا أَوْ رَاوِيَةً لِلشِّعْرِ أَوْ عَلَى حَظٍّ مِنَ الثَّقَافَةِ لَذَكَرَ تِلْكَ الْأَصْبُعَ الْوَرْدِيَّةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِأَنْ تَنْجَلِيَ أَوْ لِتُصَوِّرَ سَهْمًا ضَئِيلًا مِنَ

الْفضَّة النَّقيَّة يَمْضِي فِي الظُّلْمَة الْمُتكَاثفَة فَتَنْهَزِمُ أَمَامَهُ هَذه الظُّلُمَاتُ مُتَهَالكَةً، وَتَسَاقَطُ أَمَامَهُ نُجُومُ السَّمَاء فِي الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ كَأَنَّمَا يَدْعُو بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى الْفرَارِ. وَلَكنَّهُ رَأَى نُورَ الْفَجْرِ يَمُدُّ لِسَانَهُ الدَّقِيقَ وَرَاءَ النَّهْرِ، وَسَمِعَ صَوْتًا قَدْ أَقْبَلَ مِنْ وَرَائِهِ فِي الْجَوِّ ضَئِيلاً نَحِيلاً مَاضِيًا أَمَامَهُ إِلَى الشَّرْقِ كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بالتَّحِيَّةِ وَالتَّرْحِيبِ ذَلِكَ الضَّوْءَ الضَّئِيلَ.

ثُمَّ رَأَى النُّورَ يَمْتَدُّ طُولاً وَيَنْبَسِطُ عَرْضًا حَتَّى أَحَسَّ كَأَنَّ الْجَوَّ كُلَّهُ قَدْ أَخَذَ يَمْتَلِىءُ نُورًا وَغِنَاءً، فَأَمَّا النُّورُ فَكَانَ يُوقِظُ الْأَشْيَاءَ وَيُنْبِئُهَا بِمَطْلَعِ الْفَجْرِ وَأَمَّا الصَّوْتُ فَكَانَ يُوقِظُ الْأَحْيَاءَ وَيُنْبِئُهُمْ بِأَنَّ الصَّلَاةَ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ...

طه حسين

9 - ليلـــــــة !

فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعمائَةٍ لِلْهِجْرَةِ كَانَتْ مَدِينَةُ « بَاجَةَ » بِالْأَنْدَلُسِ يَلُفُّهَا ظَلَامٌ دَامِسٌ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ الْقَمَرُ فِي طَلِيعَةِ اللَّيْلِ قَلِيلاً يُرْسِلُ شُعَاعَهُ فِي رِعْدَةٍ وَضُعْفٍ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْغَرْبِ الْتَقَمَتْهُ لُجَّةُ اللَّيْلِ فَغَاصَ فِيهَا وَتَرَكَ وَرَاءَهُ الْمَدِينَةَ فِي تَجَهُّمٍ وَسُكُونٍ وَحِدَادٍ، وَكَانَتِ الرِّيَاحُ تَعْصِفُ مِنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ شَدِيدَةً عَاتِيَةً، فَتَسُوقُ السَّحَائِبَ أَمَامَهَا بِسِيَاطٍ مِنَ الْبُرُوقِ، وَتَزْجُرُهَا بِهَزِيمٍ مِنَ الرَّعْدِ غَاضِبٍ عَنِيفٍ، وَكَانَتْ النُّجُومُ لاَ تَكَادُ تُطِلُّ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَا هَذِهِ السَّحَائِبِ الرَّاجِفَةِ الْمُسْرِعَةِ حَتَّى تَخْتَفِيَ كَأَنَّهَا لَمَحَاتُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ يَلْتَمِعُ فِي سَوَادِ الْخُطُوبِ، أَوْ تَلْوِيحُ غَرِيقٍ جَاءَهُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَهُوَ يَرْسُبُ وَيَطْفُو حَتَّى يَحُولَ الْمَوْجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ.

فَزِعَ النَّاسُ إِلَى بُيُوتِهِمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ اللَّيْلاَءِ وَالْتَجَأَ الْمُسَافِرُونَ إِلَى فَنَادِقِهِمْ، وَخَلَتِ الدُّرُوبُ مِنَ السَّابِلَةِ فَلاَ يَجِدُ الْمُطِلُّ مِنْ خِلاَلِ نَافِذَتِهِ إِلاَّ الْعَسَسَ وَالْحُرَّاسَ يَذْهَبُونَ وَيَجِيئُونَ

وَبِأَيْدِيهِمُ الْعِصِيُّ الْغَلِيظَةُ يَضْرِبُونَ بِهَا الْأَرْضَ فِي عُنْفٍ وَقُوَّةٍ حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنَ اللُّصُوصِ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ مِقْدَارَ صَوْلَتِهِمْ وَمَدَى فَتْكِهِمْ.

وَكَانَ يُسْمَعُ بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ عُوَاءُ كَلْبٍ أَضَرَّ بِهِ الْبَرْدُ وَأَذَاهُ الْمَطَرُ فَالْتَجَأَ إِلَى حَائِطٍ يَعْصِمُهُ مِنَ الْمَاءِ، وَأَخَذَ يَرْتَعِدُ ارْتِعَادَ الْمَقْرُورِ، وَيُرْسِلُ صَوْتًا مُسْتَطِيلاً حَزِينًا زَادَهُ سَوَادُ اللَّيْلِ هَمًّا وَحُزْنًا.

وَسَكَنَتِ الطُّيُورُ فِي عِشَاشِهَا فَوْقَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ وَالتِّينِ إِلاَّ بُومَةً سَكَنَتْ فِي جُحْرٍ مِنْ بَيْتٍ خَرِبٍ رَاحَتْ تُرْسِلُ نَعِيبًا مُؤْلِمًا تَنْقَبِضُ لَهُ النَّفْسُ وَتَضْطَرِبُ الْأَعْصَابُ وَيُوحِي بِالْمَوْتِ وَالْفَجِيعَةِ وَالدَّمَارِ.

علي الجارم

10 - الليل بالجريد

الْعَهْدُ هَلُمَّ نُجَدِّدُهُ ... فَالدَّهْرُ قَدِ انْبَسَطَتْ يَدُهُ

وَتَغَرَّدَ فَوْقَ النَّخْلِ يَمَا ... مُ كَمْ يُشْجِيكَ تَغَرُّدُهُ

وَالْبُلْبُلُ هَزَّ الْغُصْنَ وَغَنَّى لَحْنَ الْحُبِّ يُرَدِّدُهُ

يَتْلُو تَسْبِيحَ صَبَابَتِهِ ... فَيُرَتِّلُهُ وَيُجَوِّدُهُ

وَالْغَابُ تَبَسَّمَ عَنْ زَهَرٍ ... شَتَّى الْأَلْوَانِ تُنَضِّدُهُ

طَمَحَتْ لِلنَّجْمِ بَوَاسِقُهَا ... فَهَوَاهَا النَّجْمُ وَفَرْقَدُهُ

مَنَحَاهَا الرِّفْعَةَ فَارْتَفَعَتْ ... تَعْنُو لِلّٰهِ وَتَعْبُدُهُ

فَحَبَاهَا اللهُ مَحَاسِنَهُ ... وَمَكَارِمَهُ، جَلَّتْ يَدُهُ

....أَرَأَيْتَ الْبَدْرُ يُلَاحِظُنَا؟ ... فَيُثِيرُ الْفِتْنَةَ مَشْهَدُهُ

وَجَرِيدُ النَّخْلِ كَأَهْدَابٍ ... يَغْشَاهَا النَّوْمُ فَتُبْعِدُهُ

وَأَنِينُ النَّايِ يُزِيلُ الْهَمَّ ... وَيُحْيِي الْقَلْبَ تَنَهُّدُهُ

وَبِسَاطُ الرَّمْلِ جَمِيلٌ كَالْبِلَّوْرِ وَثِيرٌ مَقْعَدُهُ

يَشْذَا الرَّيْحَانِ يُفِيضُ الْأُنْسَ وَيَنْشُرُهُ وَيُجَدِّدُهُ

مصطفى خريف

11 - استقبال الربيع

وَرَدَ الرَّبِيعُ فَمَرْحَبًا بِـــوُرُودِهِ ... وَبِنُورِ بَهْجَتِـــهِ وَنُـــورِ وُرُودِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ ... وَأَنِيقِ مَبْسَمِهِ وَوَشْيِ بُـــرُودِهِ
فَصْلٌ إِذَا افْتَخَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّـــهُ ... إِنْسَانُ مُقْلَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيـــدِهِ
يُغْنِي الْمِزَاجَ عَنِ الْعِلاَجَ نَسِيمُهُ ... بِاللُّطْفِ عِنْـــدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَـا حَبَّـــذَا أَزْهَـــارُهُ وَثِمَـــارُهُ ... وَنَبَاتُ نَاجِمِهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كُسِيَ الْغَلاَئِلَ بَعْدَمَا ... أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ الصِّبَى بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى ... مَاءُ الشَّبِيبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّـــهُ ... مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
فَانْظُرْ لِنَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ ... طَرْفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَانْظُرْ إِلَى الْمَنْثُورِ فِي مَنْظُومِهِ ... مُتَنَوِّعًا بِفُصُولِـــهِ وَعُقُـــودِهِ

صفى الدين الحلي

12 - الصيـــــف

إِذَا كَانَ الرَّبِيعُ عِطْرًا وَزَهْرًا وَجَمَالاً، فَالصَّيْفُ جَمَالٌ وَعِطْرٌ وَثَمَرٌ، هُوَ أَرْحَبُ الْفُصُولِ صَدْرًا وَدَارًا، وَأَوْسَعُهُمْ بِسَاطًا وَأَغْزَرُهُمْ مَادَّةً. كُلُّنَا نُحِبُّ الصَّيْفَ فَأَوْلاَدُنَا يَتَرَقَّبُونَ قُدُومَهُ لِتُطْلِقَ الْمَدَارِسُ سَرَاحَهُمْ فَيَسْرَحُونَ وَيَمْرَحُونَ، يَحْتَالُونَ لِلْعَصَافِيرِ بِالدَّبْقِ، وَلِلْحِجَالِ بِالْمُطَارَدَةِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَا فِي الرَّحَلاَتِ مِنْ جَمَالٍ وَأُنْسٍ. يَطْوُونَ الْكُتُبَ لِيَفْتَحُوا كِتَابَ الطَّبِيعَةِ الأَسْمَى، يَقْرَأُونَ فِيهِ سُطُورَ الْجَمَالِ الرَّائِعِ وَالْحُسْنِ الْبَدِيعِ. فَالصَّيْفُ يَعْتِقُ النَّاشِئِينَ مِنْ عُبُودِيَّةِ النِّظَامِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَهُ انْتِظَارَ الْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ. أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَيُطَلِّقُ عُمْرَانَ مَدِينَتِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَرَفِيهٍ اجْتِمَاعِيٍّ لِيَتَمَتَّعَ بِمَحَاسِنِ الصَّيْفِ فِي الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ حَيْثُ تَبْدُو لَهُ الْمَنَاظِرُ الَّتِي كَانَ يَرَاهَا عَلَى الشَّاشَةِ الْبَيْضَاءِ وَلاَ يَهْفُو قَلْبُهُ لَهَا إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَهِيجُهُ الذِّكْرَى.

هَؤُلاَءِ هُمُ التَّلاَمِيذُ. أَمَّا أَهْلُ الدَّسَاكِرِ وَالْقُرَى وَالدَّارَاتِ فَيَنْتَظِرُونَ الصَّيْفَ لِتَدُرَّ لَهُمْ بُيُوتُهُمُ الْمَالَ وَيَدْفَعُونَ مَا عَلَيْهِمْ فِي الآجَالِ، وَالْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُهُ لِيَبِيعَ بَعْضَ غَلَّتِهِ وَيُوسِعَ بِثَمَنِهَا عَلَى أَهْلِهِ وَبَنِيهِ.

مارون عبود

(باختصار)

13 - الاصـــــطياف

مِنَ الْمَدِينَةِ وَضَوْضَائِهَا وَالشَّوَارِعِ وَغُبَارِهَا وَالْمكَاتِبِ وَأَرْقَامِهَا وَالتِّجَارَةِ وَهُمُومِهَا.

إِلَى رَابِيَةٍ عَالِيَةٍ هَادِئَةٍ صَامِتَةٍ مُتَوَّجَةٍ بِالصَّنَوْبَرِ الْغَضِّ يَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِ بَيْتٍ صَغِيرٍ مُعَمَّمٍ بِالْقَرْمِيدِ الْأَحْمَرِ يَنْفَسِحُ أَمَامَهُ الْأُفُقُ الْوَاسِعُ، وَيَطُوفُ بِهِ أَرِيجُ الْأَزْهَارِ،وَتُغَرِّدُ لَهُ الْأَطْيَارُ فِي الْأَسْحَارِ مُعَلَّقٌ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَتَكَادُ تَنْسَى فِيهِ مَتَاعِبَ الْحَيَاةِ وَأَوْبِئَةَ الْمَفَاسِدِ وَالْأَخْلَاقِ.

إِلَى النُّهُوضِ فِي الصَّبَاحِ عَلَى نَشِيدِ الْبُلْبُلِ، وَهَيْنَمَةِ الْأَغْصَانِ تُرْسِلُ إِلَيْكَ الشَّمْسُ مِنَ النَّافِذَةِ خُيُوطَ نَارِهَا تَلْمَسُكَ فِي الْجَبِينِ تُقَبِّلُ شَعْرَكَ تَقُولُ لَكَ انْهض وَانْظُرْ مَلِكَةَ الْبَهَاءِ صَاعِدَةً فِي حُلَلِهَا الذَّهَبِيَّةِ تُرَافِقُهَا الْغُيُومُ الْبَيْضَاءُ سَابِحَةً كَأَجْوَاقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَوْلِهَا.

إِلَى كِتَابٍ أَدَبِيٍّ تَتَأَبَّطُهُ، إِلَى عَيْنٍ خَرَّارَةٍ بَيْنَ صُخُورٍ قَائِمَةٍ

فِي ظِلِّ سَنْدَيَانَةٍ هَرِمَةٍ تَقْرَأُ تَارَةً وَتَارَةً تَفْتَحُ صَدْرَكَ لِلنَّسِيمِ تَتَزَوَّدُ مِنْهُ صِحَّةً وَعَافِيَةً. وَتُرْسِلُ طَرْفَكَ إِلَى قُرًى فِي سَفْحِ الْجَبَلِ أَمَامَكَ كَأَنَّهَا قَطِيعُ الْأَغْنَامِ دَهَمَهَا الذِّئْبُ وَهِيَ مُتَجَاوِرَةٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ضِمْنَ إِطَارٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْخَضْرَاءِ أَوْ مِنْ حُقُولِ الْقَمْحِ الذَّهَبِيَّةِ.

إِلَى الْبُنْدُقِيَّةِ تَغْدُو بِهَا إِلَى الْأَدْغَالِ، إِلَى الْأَوْدِيَةِ الْعَمِيقَةِ وَالْقِمَمِ الْعَالِيَةِ، تَتَرَقَّبُ الطَّيْرَ وَتَتْبَعُهُ، إِلَى سَمَرٍ تَحْتَ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ، وَالْقَمَرُ يَتَهَادَى بَيْنَهَا كَالْفَتَى الْأَغَرِّ، وَالْمَدِينَةُ مُمْتَدَّةٌ أَمَامَكَ تَشِعُّ بِالْأَنْوَارِ، تَنْفَصِلُ مِنْهَا مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ آخَرَ نُجُومُ السَّيَّارَاتِ فَتَخْتَفِي فِي مُنْعَطَفَاتِ الطُّرُقِ، ثُمَّ تَبْدُو عَلَى أَكْتَافِ الرَّوَابِي، ثُمَّ تَسْمَعُ دَوِيَّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

عن يوسف غصوب
(بتصرف)

14 - في الريـــــف

عَرَفُوا الْجَمَالَ الزَّائِفَ الْمَجْلُوبَا ... وَعَرَفْتُ فِيكَ جَمَالَكَ الْمَوْهُوبَا

قَدَّسْتُ فِيكَ مِنَ الطَّبِيعَةِ سِرَّهَا ... أَنْعِمْ بِشَمْسِكَ مَشْرِقًا وَغُرُوبَا

وَلَقَدْ نَزَلْتُكَ فَادَّكَرْتُ طُفُولَتِي ... وَتَمَائِمِي، طُوبَى لِعَهْدِكَ طُوبَى

زَعَمُوكَ مَرْعًى لِلسَّوَامِ وَلَيْتَهُمْ ... زَعَمُوكَ مَرْعًى لِلْعُقُولِ خَصِيبَا

فَهْيَ الْقَرَائِحُ أَنْتَ مَصْدَرُ وَحْيِهَا ... كَمْ بِتَّ تُلْهِمُ شَاعِرًا وَخَطِيبَا

حَيَّيْتُ فِيكَ الثَّابِتِينَ عَقَائِدًا ... وَالطَّاهِرِينَ سَرَائِرًا وَقُلُوبَا

كَسَتِ الطَّبِيعَةُ وَجْهَ أَرْضِكَ سُنْدُسًا ... وَحَبَتْ نَسِيمَكَ إِذْ تَضَوَّعَ طِيبَا

بُسُطٌ تُظَلِّلُهَا الْغُصُونُ فَأَيْنَمَا ... يَمَّمْتَ خِلْتَ سُرَادِقًا مَنْصُوبَا

وَحَنَتْ عَلَى الْمَاءِ الْجُذُوعُ كَأَنَّهَا ... أُمٌّ تَضُمُّ وَلِيدَهَا الْمَحْبُوبَا

وَبَدَا النَّخِيلُ غُصُونُهُ فَيْرُوزَجٌ ... يَحْمِلْنَ مِنْ صَافِي الْعَقِيقِ حُبُوبَا

أَرَأَيْتَ عِمْلاَقًا عَلَيْهِ مِظَلَّةٌ ... أَوْ مَارِدًا مِلْءَ الْقُلُوبِ مَهِيبَا

يَا رُبَّ سَاقِيَةٍ لِغَيْرِ صَبَابَةٍ ... أَنَّتْ وَأَجْرَتْ دَمْعَهَا الْمَسْكُوبَا

وَحَمَامَةٍ سَمِعَ الْفُؤَادُ هُتَافَهَا فَحَسِبْتَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مُجِيبَا

وَتَرَى الْجَدَاوِلَ فِي الْأَصِيلِ كَأَنَّهَا مِنْ فِضَّةٍ فِيهَا النُّضَارُ أُذِيبَا

يَابَدْرُ أَنْتَ ابْنُ الْقُرَى وَأَرَاكَ فِي لَيْلِ الْحَوَاضِرِ إِنْ طَلَعْتَ غَرِيبَا

نَشَرَ السُّكُونُ عَلَى الْقُرَى أَعْلَامَهُ فَتَكَادُ تَسْمَعُ لِلْفُؤَادِ وَجِيبَا

بَدَتِ الْحَيَاةُ هُنَاكَ فِي رَيْعَانِهَا وَلَوْ آنَّهَا صَارَتْ تَدِبُّ دَبِيبَا

وَلَقَدْ يَنَامُ الْقَوْمُ مِلْءَ الْعَيْنِ فِي زَمَنٍ يُقِضُّ مَضَاجِعًا وَجُنُوبَا

وَهْيَ السَّعَادَةُ كَمْ أَوَتْ كُوخًا وَكَمْ هَجَرَتْ أَشَمَّ مِنَ الْقُصُورِ رَحِيبَا

محمود غنيم

15 - في الغابــة

سِرْتُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَ لِلْهَوَاءِ عِطْرٌ خَفِيفٌ مِنْ رَائِحَةِ الأَوْرَاقِ وَالأَزْهَارِ، وَكَانَتْ أَلْوَانُ الشَّجَرِ مُخْتَلِفَةً، وَأَشْكَالُهُ مُتَبَاعِدَةً فَمِنْهُ مَا كَانَ غَزِيرَ الْوَرَقِ، وَمِنْهُ مَا كَانَ ضَخْمَ الْجِذْعِ، وَمَا كَانَ دَقِيقًا يَتَسَلَّقُ مُتَوَكِّئًا عَلَى غَيْرِهِ.

وَجَعَلْتُ أَتَنَقَّلُ فِي الْغَابَةِ مِنْ بُقْعَةٍ ضَاحِيَةٍ يَغْمُرُهَا نُورُ الْقَمَرِ إِلَى أُخْرَى ظَلِيلَةٍ تَتَرَاقَصُ فَوْقَهَا الظِّلَالُ، وَكَانَ اللَّيْلُ السَّاجِي يَفْعَلُ فِي نَفْسِي فِعْلَ السِّحْرِ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِمُرُورِ الزَّمَنِ وَلاَ بِطُولِ السَّيْرِ وَلَمْ أَتَلَفَّتْ إِلَى وَرَائِي لأَنْظُرَ أَيْنَ صِرْتُ مِنْ صَاحِبِي، حَتَّى رَأَيْتُنِي بَعْدَ حِينٍ أَمَامَ صَخْرَةٍ وَعْرَةٍ لَمْ أَنْظُرْهَا إِلاَّ عِنْدَمَا صِرْتُ عَلَى خَطَوَاتٍ مِنْهَا، كَأَنَّهَا خَرَجَتْ فَجْأَةً مِنْ جَوْفِ الأَرْضِ لِتَعْتَرِضَ سَبِيلِي فَاتَّجَهْتُ نَحْوَهَا، فَوَجَدْتُهَا صَخْرَةً مُهَشَّمَةً مُذَبَّبَةَ الجَوَانِبِ، كَأَنَّ سَطْحَهَا كُلَّهُ مِنْ أَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ، وَهِيَ تَنْطَوِي عَلَى كَهْفٍ مُظْلِمٍ يَبْعَثُ الرَّهْبَةَ فِي النَّفْسِ، تَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ قَنَاةٌ فِيهَا مَاءٌ صَافٍ كَأَنَّهُ بِلَّوْرٌ مُذَابٌ يَنْسَابُ جَارِيًا وَهُوَ يُغَنِّي بِخَرِيرٍ

يَلَذ لِلْأَسْمَاعِ خَافِتٍ يُشْبِهُ التَّهَاتُفَ بالضحِكِ فِي مِزَاحِ الْعَذَارَى

وَكَانَ يَهْبِطُ إِلَى حَوْضٍ مِنَ الصَّخْرِ مُهَشَّمٍ مَصْقُولٍ يَلْمَعُ النُّور فَوْقَهُ فَإِذَا هُوَ يَبْدُو أَخْضَرَ مِثْلَ قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَرْجَدِ مِنْ أَثَرِ مَا عَلَيْه نَ الطُّحْلُبِ الدَّقِيقِ، فَوَقَفْتُ لَحَظَاتٍ أَتَأَمَّلُ الْمَنْظَرَ الْبَدِيعَ، وَكَأَنَّ عَيْنِي لَمْ تَقَعْ مِنْ قَبْلُ عَلَى مِثْلِه، فَشَمَلَتْنِي نَشْوَةٌ، وَاهْتَزَّتْ نَفْسِي طَرَبًا، وَنَسِيتُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ هِجْرَتِي وَوِحْدَتِي، حَتَّى لَقَدْ نَسِيتُ جُوعِي، وَوَجَدْتُنِي أُدَنْدِنُ بِالْغِنَاءِ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيَّ الْأَلْحَانُ الْمُشْجِيَةُ فَجَلَسْتُ عَلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَجَعَلْتُ أُقَلِّبُ عَيْنِي وَأَتَمَتَّعُ بِالْمَنْظَرِ وَمَلَأْتُ صَدْرِي مِنَ الْهَوَاءِ الْعَطِرِ. وَوَجَدْتُ كُلُّ حَوَاسِّي نَصِيبًا مِنَ اللَّذَّةِ مِنْ خَرِيرِ الْمَاءِ مُنْسَابًا فِي جَدَاوِلِه إِلَى رِيحِ الزَّهْرِ الْمُشْتَعِلِ فِي خَمَائِلِه إِلَى لَوْنِ الْوَرْدِ النَّاعِسِ فِي غَلائِلِه، جَلَسْتُ هُنَالِكَ وَقْتًا لاَ أَدْرِي أَقَصِيرًا كَانَ أَمْ طَوِيلاً، ثُمَّ شَعُرْتُ فُجْأَةً بِشَيْءٍ مِنَ الرَّهْبَةِ يَمَسُّنِي مِنَ السُّكُونِ الْعَمِيقِ الَّذِي حَوْلِي، فَمَا كِدْتُ أَتَنَبَّهُ لَهُ حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّنِي فِي عَالَمٍ صَاخِبٍ مُضْطَرِبٍ، سَمِعْتُ خَفْقَ الْأَوْرَاقِ عَلَى الْأَعْوَادِ وَوَسْوَسَةَ النَّسِيمِ بَيْنَ الْغُصُونِ وَخَشْخَشَةَ الْحَشَرَاتِ بَيْنَ الْحَشَائِشِ، فَاضْطَرَبَ خَيَالِي وَقَفَّ شَعَرُ رَأْسِي، وَلَمْ أُطِقِ الْبَقَاءَ فِي مَكَانِي، إِذْ لَمْ أَجِدْ أَمَامِي

إلاَّ غَابَةً شَجْرَاءَ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ يَسْطَعُ مِنْ فَوْقِهَا وَيَتَخَلَّلُهَا. فَخُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَكَانَ قَدِ امْتَلأَ أَرْوَاحًا مِنَ الْجَانِّ تَتَلاَعَبُ وَتَتَوَاثَبُ مِنْ حَوْلِي، وَأَسْرَعْتُ فِي سَيْرِي وَأَنَا أَتَلَفَّتُ وَرَائِي وَلاَ أَتَبَيَّنُ لِي طَرِيقًا.

فريد أبو حديد

16 - طلوع الفجر في الحقول

رَجَعَتْ زَيْنَبُ إِلَى الدَّارِ، وَالأَشْيَاءُ قَدْ بَدَأَتْ تَتَمَيَّزُ وَالسِّكَّةُ يَعْمُرُهَا السَّارِحُونَ وَالرَّائِحَاتُ « لِلْمِلْيَة » وَالنَّهَارُ يُطَارِدُ اللَّيْلَ الْعَنِيدَ، لاَ يُفِيدُهُ عِنَادُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ شَيْئًا، فَيَصْرُدُهُ وَيَأْخُذُ مَكَانَهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، ثُمَّ رَجَعَتْ لِدَوْرِهَا الثَّانِي وَقَدْ بُهِتَ الشَّرْقُ مُبَشِّرًا بِآلِهَةِ النَّارِ وَالنُّورِ، بَاعِثًا عَلَى مُجَاوِرَاتِ الأُفُقِ قُبْلَةَ الصَّبَاحِ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَتْ هِيَ فِي خُطُوَاتِهَا اسْتَضَاءَتِ السَّمَاءُ، ثُمَّ بَزَغَ الْقُرْصُ فِي لَوْنِهِ الذِي وَدَّعَ بِهِ الْبَسِيطَةَ لأَمْسِهِ الدَّابِرِ، مُتَهَادِيًا يَتَسَلَّقُ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ، وَيُرْسِلُ عَلَى الْمَزَارِعِ الْهَائِلَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ جِلْبَابًا جَدِيدًا يَظْهَرُ فِيهِ بَهَاؤُهُ وَرَوْنَقُهُ، فَغِيطَانُ الْقُطْنِ تَزْهُو بِخُضْرَتِهَا وَزَهْرِهَا الَّذِي يُنَضِّدُ بِسَاطَهَا السُّنْدُسِيَّ الْهَائِلَ، وَأَرَاضِي الْغَلَّةِ فِي لَوْنِهَا الذَّهَبِيِّ الْبَدِيعِ اللاَّمِعِ تُجَعِّدُ فِي الْفَضَاءِ دَفَقَاتِ النُّورِ يَزْدَادُ سُطُوعًا كُلَّمَا ارْتَقَتِ الشَّمْسُ فِي دَارَتِهَا وَالْحَصِيدُ بِشُقُوقِهِ الْوَاسِعَةِ مَبْهُوتٌ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَجْرَدَ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِالأَمْسِ مَوْطِنَ النَّبَاتِ الْجَمِيلِ، وَانْتَظَمَ عَلَى الطَّرِيقِ سِلْكٌ طَوِيلٌ مِنَ الأَشْبَاحِ السَّوْدَاءِ، تَعْلُوهَا مَخْرُوطَاتُ الْفَخَّارِ. وَهُنَّ جَمِيعًا يُسْرِعْنَ وَعَلَيْهِنَّ سِيمَا الْهُدُوءِ وَالسَّكِينَةِ وَجُسُومُهُنَّ الْمَصْقُولَةُ تَنْسَابُ فِي جَوِّ الصُّبْحِ الْهَادِئِ يَمُوجُ فِيهِ النَّسِيمُ فَيَبْعَثُ إِلَى رُؤُوسِهِنَّ النَّائِمَةِ عَالَمًا كَبِيرًا مِنْ خَيَالاَتٍ لاَ تَنْتَهِي.

محمد حسين هيكل

17 - حريـــــــق

سَائِلُوا اللَّيْلَ عَنْهُـــمُ وَالنَّهَارَا ... كَيْفَ بَاتَتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْعَذَارَى

كَيْفَ أَمْسَى رَضِيعُهُمْ فَقَدَ الْأُمَّ ... وَكَيْفَ اصْطَلَى مَعَ الْقَوْمِ نَارَا

كَيْفَ طَاحَ الْعَجُوزُ تَحْتَ جِدَارٍ ... يَتَدَاعَى وَأَسْقُـــفٌ تَتَجَـــارَى

رَبِّ إِنَّ الْقَضَاءَ أَنْحَى عَلَيْـهِمْ ... فَاكْشِفِ الْكَرْبَ وَاحْجُبِ الْأَقْدَارَا

وَمُرِ النَّـــارَ أَنْ تَكُـــفَّ أَذَاهَـــا ... وَمُرِ الْغَيْثَ أَنْ يَسِيلَ انْهِمَارَا

أَيْنَ طُوفَانُ صَاحِبِ الْفُلْكِ يَرْوِي ... هَذِهِ النَّارَ فَهْيَ تَشْكُو الْأُوَارَا ؟

أَشْعَلَتْ فَحْمَةَ الدَّيَاجِي فَبَاتَتْ ... تَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ شَـــرَارَا

غَشِيَتْهُمْ وَالنَّحْسُ يَجْرِي يَمِينًا ... وَرَمَتْهُمْ وَالْبُؤْسُ يَجْرِي يَسَارَا

فَأَغَارَتْ وَأَوْجُهُ الْقَوْمِ بِيـضٌ ... ثُمَّ غَارَتْ وَقَدْ كَسَتْهُنَّ قَارَا

أَكَلَتْ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلَّـــتْ ... لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَـــارَا

أَخْرَجَتْهُمْ مِنَ الـــدِّيَارِ عُـــرَاةً ... حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفِـــرَارَا

يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا ... أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا

حُلَّةً لَا تَقِيهِمُ الْبَرْدَ وَالْـحَـرَّ ... وَلَا عَـنْـهُمْ تَـرُدُّ الْغُبَـارَا

حافظ ابراهيم

18 - عاصفة في بحر الهند

لَمَّا اجْتَزْنَا رَأْسَ الرَّجَاءِ الصَّالِحِ، وَرَأَيْنَا مَدْخَلَ تُرْعَةِ (الْمُوزَنْبِيكْ) عَصَفَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْجَنُوبِ رِيحٌ رَاعِفَةٌ، وَقَدْ كَانَتِ السَّمَاءُ صَافِيَةً فَكُنَّا لاَ نَرَى فِيهَا إِلاَّ قِطَعًا صَغِيرَةً مِنَ السَّحَابِ مِنْ لَوْنِ النُّحَاسِ كَأَنَّهَا بُخَارٌ لَوْنُهُ بَيْنَ الأَحْمَرِ وَالأَصْفَرِ، فَكَانَتْ هَذِهِ السُّحُبُ تَقْطَعُ السَّمَاءَ بِسُرْعَةٍ أَشَدَّ مِنْ سُرْعَةِ الطَّيْرِ، وَلَكِنَّ الْبَحْرَ كَانَتْ تَشُقُّهُ خَمْسُ أَوْ سِتُّ مَوْجَاتٍ مُسْتَطِيلَةٍ عَالِيَةٍ كَأَنَّهَا سَلاَسِلُ تِلاَلٍ تَفْصِلُ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ أَوْدِيَةٌ عَرِيضَةٌ عَمِيقَةٌ وَقَدْ كَانَ كُلُّ تَلٍّ مِنْ هَذِهِ التِّلاَلِ الْمَائِيَّةِ ذَا طَابَقَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ طَبَقَاتٍ وَكَانَتِ الرِّيحُ تَسْلَخُ عَنْ رُؤُوسِهَا ذَاتِ الزَّوَايَا زَبَدًا كَأَنَّهُ عُفْرَةٌ طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا أَلْوَانُ قَوْسِ قُزَحٍ، وَتَحْمِلُ مِنْهَا غُبَارًا أَبْيَضَ كَانَ يَنْتَشِرُ بَعِيدًا عَنْهَا فِي أَوْدِيَةِ هَذِهِ التِّلاَلِ وَهُوَ مِثْلُ الْغُبَارِ الْمُنْتَشِرِ فِي الشَّوَارِعِ فِي الصَّيْفِ وَأَرْعَبُ شَيْءٍ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّا كُنَّا نَرَى بَعْضَ رُؤُوسِ هَذِهِ التِّلاَلِ - وَقَدْ زَجَتْهَا الرِّيحُ بِشِدَّةٍ - تَنْبَسِطُ عَلَى شَكْلِ قِبَابٍ عَظِيمَةٍ يَسْتَدِيرِ

بَعْضُهَا حَوْلَ بَعْضٍ، وَهِيَ تَهْدِرُ وَتُزْبِدُ، وَلَوْ وَقَفَ فِي وَجْهِهَا أَضْخَمُ مَرْكَبٍ لَانْهَارَ تَحْتَ أَنْقَاضِهَا، وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ مَرْكَبِنَا، وَحَالَةُ الْبَحْرِ تَتَظَافَرَانِ عَلَى إِدْخَالِ الْفَزَعِ عَلَيْنَا، لَقَدْ حَطَّمَتِ الصَّاعِقَةُ فِي اللَّيْلِ شِرَاعَنَا الْكَبِيرَ، وَذَهَبَتِ الرِّيحُ فِي الصَّبَاحِ بِشِرَاعِ مُؤَخَّرَةِ الْمَرْكَبِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا غَيْرُهُ حَتَّى عَجَزَ الْمَرْكَبُ عَنِ السَّيْرِ.

فَكَانَتِ الرِّيحُ وَالْأَمْوَاجُ تَقْذِفُ بِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، وَقَدْ كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمُؤَخَّرَةِ مُتَعَلِّقًا بِحِبَالِ الشِّرَاعِ أُحَاوِلُ أَنْ آلَفَ هَذَا الْمَشْهَدَ الْمُخِيفَ. وَكُنْتُ إِذَا دَنَا مِنَّا جَبَلٌ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ أَرَى رَأْسَ هَذَا الْجَبَلِ عَلَى بُعْدِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ قَدَمًا مِنْ فَوْقِي، وَلَكِنْ إِذَا مَرَّ صَفْحُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُفْزِعِ تَحْتَ مَرْكَبِنَا مَالَ بِهِ مَيْلاً شَدِيدًا فَتَنْغَمِسُ خَشَبُ الشِّرَاعِ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مُنْتَصَفِهَا، وَيُوشِكُ الْمَرْكَبُ أَنْ يَنْقَلِبَ بِنَا رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ، وَإِذَا عَلاَ الْمَرْكَبُ رَأْسَ الْمَوْجِ انْتَصَبَ ثُمَّ انْقَلَبَ فَجْأَةً عَلَى مُنْحَدَرِهِ الْمُعَاكِسِ، فِي خَطَرٍ لاَ يَقِلُّ عَنِ الْخَطَرِ الْأَوَّلِ، وَالْمَوْجُ يَمُرُّ مِنْ تَحْتِهِ مُسْرِعًا إِسْرَاعَ سُدُودِ الْمَاءِ وَكَأَنَّهُ ثَلِيلٌ مِنْ زَبَدٍ.

شفيق جبري

19 - عاصفة ثلجية

جَاءَ يَوْمٌ كَانَ هوَاؤُهُ الْبَارِدُ يُنْبِئُنَا بِعَاصِفَةٍ ثَلْجِيَّةٍ، فَخَرَجْنَا إِلَى الطُّرُقَاتِ فَرِحِينَ لنَرَى الثَّلْجَ يَتَسَاقَطُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وعَلَى مَلاَبِسِنَا، وَيُغَطِّي الْأَشْجَارَ وَالْأَكْوَاخَ وَالطُّرُقَاتِ بِطَبَقَةٍ بَيْضَاءَ نَاصِعَةٍ وَازْدَادَ تَرَاكُمًا وَارْتِفَاعًا حَتَّى كَادَ يُغَطِّي كُلَّ شَيْءٍ وَتَخْتَفِي تَحْتَهُ الْقَرْيَةُ بِأَكْمَلِهَا... كُنَّا قَدْ أَسْرَعْنَا إِلَى بَيْتِنَا الصَّغِيرِ فِي الْقَرْيَةِ وَجَلَسْنَا حَوْلَ الْمَدْفَأَةِ نَصْطَلِي بِنِيرَانِهَا الْهَادِئَةِ نَطْلُبُ الدِّفْءَ وَالتَّسْلِيَةَ بَعْدَ أَنْ أَحْكَمْنَا إِغْلاَقَ الْبَابِ، وَأَصْبَحْنَا فِي عُزْلَةٍ تَامَّةٍ عَنِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ.

وَقَضَيْنَا السَّاعَاتِ الطِّوَالَ نَسْتَمِعُ إِلَى الْقِصَصِ الْمُمْتِعَةِ وَالْأَحَادِيثِ الْقَرَوِيَّةِ السَّاذِجَةِ وَالْفُكَاهَاتِ الطَّرِيفَةِ.

بَقِينَا فِي تِلْكَ الْعُزْلَةِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ - وَالْعَاصِفَةُ لاَ تَنْقَطِعُ فَنَسْمَعُ زَئِيرَهَا وَنَرْتَعِدُ عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَيْنَا أَصْوَاتُ سُقُوطِ الْأَشْجَارِ ثُمَّ سَكَنَتِ الْعَاصِفَةُ أَخِيرًا، وَعَادَتِ الشَّمْسُ إِلَى الظُّهُورِ، وَأَخَذَتِ الثُّلُوجُ تَذُوبُ قَلِيلاً قَلِيلاً، وَأَسْرَعَ الرِّجَالُ إِلَى الطُّرُقَاتِ يَرْفَعُونَ

عَنْهَا الثُّلُوجَ، وَيَجْعَلُونَ مِنْهَا أَكْوَامًا كَالتِّلاَلِ الْمُرْتَفِعَةِ عَلَى جَانِبَيْ الطَّرِيقِ.

وَلاَ أَنْسَى تِلْكَ السَّاعَاتِ الْمَرِحَةَ السَّعِيدَةَ الَّتِي كُنْتُ أَقْضِيهَا فِي رُكُوبِ عَرَبَاتِ الإِنْزِلاَقِ الَّتِي يَكْفِي لانْزِلاَقِهَا أَنْ يَدْفَعَهَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ فَتَسِيرُ بِنَا مُسْرِعَةً تَخْتَرِقُ مِيَاهَ الْبُحَيْرَةِ الْمُتَجَمِّدَةِ وَتَقْفِزُ فَوْقَ الثَّغَرَاتِ الَّتِي تُقَابِلُهَا فِي طَرِيقِهَا، وَكَانَتْ سَعَادَتُنَا لاَ تُوصَفُ، وَمُغَامَرَتُنَا الْجَرِيئَةُ تَبْلُغُ حَدَّ الْجُنُونِ عِنْدَمَا تَرْتَفِعُ بِنَا الْعَرَبَةُ فِي انْزِلاَقِهَا بَعِيدَةً عَنِ الأَرْضِ، وَكَأَنَّنَا قَطَعْنَا صِلاَتِنَا بِتِلْكَ الأَرْضِ الْجَامِدَةِ الْيَابِسَةِ، وَأَخَذْنَا نَسِيرُ عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ ...

هيلين كللر

20 - زلـزال الاصـنام

أَسَفِي عَلَى الْأَصْنَامِ رُجَّتْ دُورُهَا ... تَحْتَ الظَّلَامِ وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا

مَا رَجَّهَا الزِّلْزَالُ حَتَّى رَدَّهَا ... بَعْدَ الْأَنَاقَةِ دِمْنَةً وَأَحَالَهَا

فَتَرَى الدِّيَارَ عَلَى الدِّيَارِ أَكَبَّهَا ... وَتَرَى الْجِبَالَ عَلَى الْجِبَالِ أَمَالَهَا

خَرَّتْ مُطَأْطِأَةَ الرُّؤُوسِ فَبَدَّدَتْ ... حَوْلَ السُّفُوحِ صُخُورَهَا وَرِمَالَهَا

فَكَأَنَّهَا سُفُنٌ بِبَحْرٍ هَائِجٍ ... صَخْبٍ تَمِيلُ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا

ولَرُبَّ دَارٍ هَزَّهَا مِنْ أُسِّهَا ... وَأَدَارَهَا مِثْلَ الرَّحَى وَأَجَالَهَا

وَلَرُبَّ دَارٍ زَجَّهَا فِي هُوَّةٍ ... فَمَحَا مَبَانِيَهَا وَأَقْبَرَ آلَهَا

وَتَرَى أَعَاصِيرَ الرِّيَاحِ أَثَارَهَا ... حَرْبًا تُسَدِّدُ لِلْكُبُودِ نِبَالَهَا

وَتَرَى الْكَوَاكِبَ فِي سَوَادٍ قَاتِمٍ ... مِثْلَ الثَّكَالَى اسْتَشْعَرَتْ أَسْمَالَهَا

وَتَرَى أَخَادِيدَ الشُّقُوقِ رَهِيبَةً ... فِي الْعُمْقِ تُوغِلُ فِي الثَّرَى إِيغَالَهَا

فَكَأَنَّهَا أَحْنَاءُ أَوْدِيَةٍ بَدَتْ ... لَكِنْ بِنِيرَانِ الْبُخَارِ أَسَالَهَا

وَتَرَى بِهَا الْقَتْلَى هُنَا وَهُنَاكَ قَدْ ... طَمَسَ التُّرَابُ عَلَى الثَّرَى أَشْكَالَهَا

بَيْنَا قَضَوْا فِي النَّوْمِ زُلْفَةَ لَيْلِهِمْ ... فِي دُورِهِمْ مُتَفَيِّئِينَ ظِلالَهَا

إِذْ طَافَ بِالْبَلْوَى عَلَيْهِمْ طَائِفٌ ... خَسَفَ الدِّيَارَ وَعَجَّلَ اسْتِئْصَالَهَا

عَجَبًا لَهَا مِنْ رَجَّةٍ أَرْضِيَّةٍ ... مَا شَاهَدَ الْجِيلُ الْحَدِيثُ مِثَالَهَا

دَوَتْ دَوِيَّ الرَّعْدِ ثُمَّ تَدَكْدَكَتْ ... بِالآهِلِينَ وَأَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا

وَتَتَابَعَتْ رَجَّاتُهَا وَتَكَرَّرَتْ ... أَنْكَالُهَا فَتَجَرَّعُوا أَنْكَالَهَا

محمد العيد

(البصائر 8 اكتوبر 1954)

شلالات نياغارا

بلدة الشلالات أنيقة رشيقة، سلمت من شواهق تتسامى فتنطح السحاب أو تتهادى فتدرك الارض السابعة...

بلدة قوامها شارع عظيم تتفرع منه بمنة ويسرة بعض المسالك والطرق، ولا يعييك أن تلم بكل ما فيها أثناء جولة أو جولتين، في ساعة أوبعض ساعة...

وإنك لتسير في مسالك هذه المدينة فإذا أنت تقف الفينة بعد الفينة تنصت الى ذلك الدوي الذي يصافح سمعك لا تعرف له مأتى، كأنما هو هتافات تتجاوب بها الافاق، من بعيد. فتحس لها هزة ورهبة، ولا تملك إلا أن تمعن في الاصغاء لتستجلي ذلك النداء الخفي: ما هو ؟ وما خطبه ؟ وكأن دافعا مجهولا يثير فيك الشغف والتطلع...

وتخترق الحدائق والغابات تملأ عينيك من مفاتن الطبيعة المتبرجة... تلك الطبيعة التي تتخذ لها هناك في فصل الخريف منظرا بدعا ورونقا عجبا اذ تكسي بذلك الرداء البهيج المختلفة ألوانه...

وأكبر ما يروعك مما ترى ذلك البحر المديد من أوراق الشجر يغطي أديم الارض كله... بحر ضحل لا تخشى فيه غرقا، قدماك تخوضانه فتسمع لأمواجه خشخشة كأنما هي حديث مناجاة.

ولا تفتأ تسير وأنت تخوض هذه الأمواج من الورق في فرحة الطفل اللعوب

وتشعر في مسيرك بالشجر ينفض عليك نثار أوراقه، فكأنما هو رذاذ يتساقط عليك كل خطوة تخطوها، فلا تني تميطه عنك لتمضي في الطريق...

وحيثما قلبت النظر استقبلتك الطبيعة بزينتها : أشجار ما برحت مخضرة زاهية، وأخرى نصلت ألوانها بين صفرة وحمرة، وأشجار تعرت من أوراقها، فهي تتجمع وتتكمش أمام هبات النسيم كأنما تستخفي عن أعين الرقباء...

ها أنت ذا تمضي في طريقك، فتحس أن قدميك تسيران بك في نهج معلوم الى غاية مرسومة. وكلما قطعت شوطا توضح الهدير واستبان عصفه ،فإذا أنت خافق القلب واجفه، وإذا أنت تحث خطاك مخترقا تلك الحدائق والمنازه حتى تبلغ المكان المقصود... وهناك يتبين لك أنك على ربوة ترتمي دونها المهاوي البعيدة، وعلى يمينك وشمالك تنصب اللجج لتقذف بنفسها قذفا، كتائب كتائب يزحم بعضها بعضا في منافسة وغلاب.

وانك لتشهد ذلك الصراع الفريد، إذ تحرص كل كتيبة من الموج على أن تسبق غيرها في الظفر بتلك القفزة الرائعة على صدر النهر السحيق.

وما هي إلا أن تحس في نفسك نزعة إلى مجاراة هذه الكتائب المتنمرة، طلبا لتلك النشوة العظمى، نشوة الوثب والانطلاق...

واذا أرسلت بصرك ترقب تلك الكتائب، وهي تتساقط في حميتها ونشوتها، بهرك منها ما تلمح من أبخرة ناصعة تتخذ منها الشمس غلائل ترسم عليها قوسها القزحية بأصباغها الزاهية، وألوانها الفاتنة...

فإن هبط بك المصعد، واحتواك شاطىء النهر، فأنت من الموج المتساقط تجاه ستار غليظ، أو غمام كثيف راعب صوته، كأنما هو زئير جحفل لجب من سباع ضارية في فلاة موحشة، أو كأنه بركان قد ثار وفار، وراح يقذف بالحمم ويرمي بالجنادل والرجم...

على أن روعة الشلالات الأمريكيةلا تتجلى واضحة المفاتن إلاحيث يأخذها بصرك من الشاطىء الكندي، وأروع ما تكون إذا دجا الليل، وراحت تكتسي من سواطع المصابيح الكهربائية المختلفة الألوان حلة رفافة ساحرة.

هنا تتزاوج صبغة الطبيعة وصنعة الانسان فيتألف من ذلك التزاوج منظر يسمو بك من حدود الحقائق الواقعية الى آفاق الخيال.

وكأنك وأنت ترقب هذه الشلالات ذات الأضواء الباهرة قد امتطيت الجواد الطائر المسحور، فطوح بك في عوالم خفية من خلق الاساطير، ولا تلبث أن يخيل إليك أنك تشهد جحيم "دانتي" .وأن هذا الماء الثائر الوهاج الذي تتعدد ألوانه ليس إلا جانبا من جوانب تلك الجحيم تتلهب شعلها، ويتصعد دخانها، ويدوي زفيرها بيد أنها جحيم طيبة مأمونة لا تشعرك خوفا ولا رهبا ولا يصيبك من نارها شواظ، وإنما تملأ قلبك فتنة وروعة. وتثير بين حناياك عبادة الجمال.

إنك لتظل في وقفتك غافلا عن وقتك، يجول بك جوادك الطائر في مملكة الخيال الرحيب، متنقلا من أفق الى أفق، يعرض عليك أفتن ما في الوجود من مناظر وصور.

وما تزال في غفوتك بل في نشوتك حتى يتلطف لك نسيم الليل، فيعابثك بلمساته فتصحو من أحلامك، راجعا الى دنيا الواقع، وتتفقد دثارك لتحكم وضعه على كتفيك، وتدفع بخطاك الى مستقرك. وكأنك آيب من سفر بعيد الشقة، جزت فيه بآماد من الحقب الخوالي.

ويستضيفك مكانك من الفندق. فتمضي متصفحا تلك المصورات التي تقص عليك نبأ الشلالات وتمثل لك مفاتنها، فيسترعي بصرك منظرها تحت وطأة الشتاء.

هذه الكتائب الصخابة العربيدية من الموج يكبح جماحها البرد، فتنقلب كتلا، صما ساكنة...

بينا هي متأهبة لوثبتها الجريئة، إذ هي قد جمدت بغتة واستحال ماؤها المسيال جلاميد من صخر أملس.

إنها ما برحت في وضعها المائي تواصل التدفق، إلا أن كتائبها وهي في مهبطها قد بطلت حركتها، وتماسكت متعلقا بعضها ببعض، كأنما قد فاجأها ما يروع فوقفت مستسلمة ليس بها حراك.

وإن منها كتائب أدركها القر وهي في رأس الشلال على وشك الانحدار، فلبثت معلقة على فم الهاوية، لاهي بقادرة على أن ترتد ولا هي بقادرة على أن تواصل وثوبها الى القاع ... .

وثمة كتائب أخرى، باغتها البرد في منتصف المهوى، فجمدت وانسدت دونها المسالك. تبدو بقوامها الفارع مصلوبة شدت رؤوسها بأمراس الى الحافة، وجذبت أقدامها الى قرارة الهاوية، فهي ماثلة في أغلالها تنتهبها العيون !

ما من كائن حي إلا وله وقت راحة ودعة...فما لهذه الشلالات تتأبى حكم الطبيعة، وتضيق بحكمة الوجود ؟

إن الشتاء ليتيح لها فرصة للصمت والهجوع، تستجم وتستجمع، متهيئة لصراع جديد...

محمود تيمور

"الكاتب المصري" عدد فيفري 1948

21 - النهر المتجمد

يَا نَهْرُ هَلْ نَضَبَتْ مِيَاهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الْخَرِيـــرْ
أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخَارَ عَزْمُكَ فَانْثَنَيْتَ عَنِ الْمَسِيرْ
بِالأَمْسِ كُنْتَ مُرَنِّمًا بَيْنَ الْحَدَائِــقِ وَالزُّهُــورْ
تَتْلُو عَلَى الدُّنْيَا وَمَــا فِيهَــا أَحَــادِيثَ الدُّهُــورْ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ تَسِيرُ لاَتَخْشَى الْمَوَانِعَ فِي الطَّــرِيقْ
وَالْيَوْمَ قَدْ هَبَطَتْ عَلَيْكَ سَكِينَةُ الْقَبْرِ الْعَمِيـــقْ

مَاذَا جَرَى لَكَ بَعْدَ مَا قَدْ كُنْتَ تُنْشِدُ فِي الْمَسَــا
هَلْ دَاهَمَتْكَ مَصَائِبٌ مِثْلِــي فَأَخْرَسَكَ الْأَسَـــى
مَا هَذِهِ الْأَكْفَانُ ؟ أَمْ هَذِي قُيُــودٌ مِــنْ جَلِيدْ
قَدْ كَبَّلَتْكَ وَذَلَّلَتْكَ بِهَــا يَــدُ الْبَــرْدِ الشَّــدِيدْ
هَا حَوْلَكَ الصَّفْصَافُ لاَ وَرَقٌ عَلَــيْهِ وَلاَجَمَــالْ

يَجْثُــو كَئِيبًــا كُلَّمَــا مَرَّتْ بِــهِ رِيحُ الشَّمَالْ

لَكِنْ سَيَنْصَرِفُ الشِّتَــا وَتَعُودُ أَيَّــامُ الرَّبِيــعْ
فَتَفُكُّ جِسْمَكَ مِنْ عِقَالٍ مَكَّنَتْهُ يَــدُ الصَّقِيــعْ
وَتَكُــرُّ مَوْجَتَكَ الْنَّقِيَّــةَ حُرَّةً نَحْوَ الْبِــحَــارْ
حُبْلَى بِأَسْــرَارِ الْبَقَــا تَمْلَــى بِأَنْوَارِ النَّهَــارْ
وَتَعُودُ تَسْبَحُ فِي مِيَاهِكَ أَنْجُمُ اللَّيْلِ الْبَهِيــمْ

ميخائيل نعيمة

22 - نظرة في النجوم

عَظِيمَةٌ هَذه النُّجُومُ وَجَمِيلَةٌ وَجَلِيلَةٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ نُجُومَ الْمَجَرَّةِ وَعَلِمْتَ أَنَّ عِدَّتَهَا تَبْلُغُ الْمَلاَيِينَ، وَأَنَّهَا تَسِيرُ بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ وَأَنَّ بَعْضَ النُّجُومِ يَقْطَعُ نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ وَالْأَرْبَعِينَ مِيلاً فِي الثَّانِيَةِ وَبَعْضَهَا يَقْطَعُ مَا يَزِيدُ عَنِ الْأَرْبَعَمِائَةِ مِيلٍ فِي الثَّانِيَةِ، وَأَنَّ بَعْضَهَا بَلَغَ مِنَ الْبُعْدِ عَنَّا مَالاَ يَصِلُ إِلَيْنَا ضَوْؤُهُ إِلاَّ فِي آلاَفِ السِّنِينَ أَيْقَنْتَ بِهَذِهِ الْعَظَمَةِ وَشَعَرْتَ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِكَ بِحَقَارَتِكَ وَحَقَارَةِ مَشَاغِلِكَ وَحَقَارَةِ أَرْضِكَ كُلِّهَا، وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّ فِي السَّمَاءِ آلاَفًا مِنَ الشُّمُوسِ تُكَوِّنُ كُلُّ شَمْسٍ مِنْهَا مَجْمُوعَةً مِنَ النُّجُومِ كَمَجْمُوعَتِنَا الشَّمْسِيَّةِ سَبَحْتَ فِي عَالَمٍ مِنَ الْعَظَمَةِ لاَ حَدَّ لَهُ وَتَسَاءَلْتَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالْإِعْجَابِ إِلَى أَيِّ طَرِيقٍ هِيَ مَسُوقَةٌ وَإِلَى أَيِّ طَرِيقٍ نَحْنُ مَسُوقُونَ مَعَهَا.

أَيَّتُهَا النُّجُومُ كَمْ مِنَ النَّاسِ نَظَرُوا إِلَيْكِ فَأَعْجِبُوا بِعَظَمَتِكِ وَجَمَالِكِ وَجَلاَلِكِ، وَكَمْ مِنَ الشُّعَرَاءِ تَغَنَّوْا بِكِ! أَيَّتُهَا النُّجُومُ كَمْ حَارَتْ فِيكِ عُقُولُ النَّاسِ فَظَنُّوكِ آلِهَةً وَعَبَدُوكِ مِنْ دُونِ

الله، وَأَتَى الْعِلْمُ الْحَدِيثُ فَغَيَّرَ رَأْيَ النَّاسِ فِيكِ وَأَخْضَعَكِ لِنَوَامِيسِ الطَّبِيعَةِ وَأَبَانَ خُرَافَاتِ الْأَقْدَمِينَ فِيكِ

لَقَدْ قَلَبَ عِلْمُ الْفَلَكِ عَقْلِيَّةَ الْإِنْسَانِ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ، فَقَدْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيِّدُ الْعَالَمِ، وَأَنَّ أَرْضَهُ هَذِهِ مَرْكَزُ الْعَالَمِ، وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ تَدُورُ حَوْلَهَا، فَأَبَانَ لَهُ الْعِلْمُ أَنَّ أَرْضَهُ لَيْسَتْ إِلَّا هِنَةً تَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ، وَأَنَّهَا شَيْءٌ تَافِهٌ فِي الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ، وَأَنَّ كُلَّ الْعَالَمِ مِنْ أَرْضٍ وَنُجُومٍ خَاضِعٌ لِقَوَانِينَ وَاحِدَةٍ كَقَوَانِينِ الْجَذْبِ وَمَا إِلَيْهَا وَأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ أَرْضُهُ هِنَةً فَكَيْفَ بِهِ هُوَ ؟

عن أحمد أمين

23 - الانسان في الكون

ذَلَّلَ الْإِنْسَانُ كُلَّ عَقَبَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فَاتَّخَذَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ وَصَعِدَ بِسُلَّمٍ إِلَى السَّمَاءِ، وَعَقَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِأَسْبَابٍ مِنْ حَدِيدٍ وَخُيُوطٍ مِنْ نُحَاسٍ. انْتَقَلَ بِعَقْلِهِ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ فَعَاشَ فِي كَوَاكِبِهِ، وَعَرَفَ أَغْوَارَهَا وَأَنْجَادَهَا وَسُهُولَهَا وَبِطَاحَهَا وَعَامِرَهَا وَغَامِرَهَا وَرَطْبَهَا وَيَابِسَهَا. وَضَعَ الْمَقَايِيسَ لِمَعْرِفَةِ أَبْعَادِ النُّجُومِ، وَمَسَافَاتِ الْأَشِعَّةِ، وَالْمَوَازِينَ لِوَزْنِ كُرَةِ الْأَرْضِ مَجْمُوعَةً وَمُتَفَرِّقَةً.

غَاصَ فِي الْبِحَارِ فَعَرَفَ أَعْمَاقَهَا، وَفَحَصَ تُرْبَتَهَا، وَأَزْعَجَ سُكَّانَهَا، وَنَبَشَ دَفَائِنَهَا، وَسَلَبَهَا كُنُوزَهَا، وَغَلَبَهَا عَلَى لَآلِئِهَا وَجَوَاهِرِهَا.

نَفَذَ مِنْ بَيْنِ الْأَحْجَارِ وَالْآكَامِ إِلَى الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، فَرَأَى أَصْحَابَهَا، وَعَرَفَ كَيْفَ يَعِيشُونَ، وَأَيْنَ يَسْكُنُونَ، وَمَاذَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، تَسَرَّبَ مِنْ مَنَافِذِ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ فَعَرَفَ النُّفُوسَ وَطَبَائِعَهَا، وَالْعُقُولَ وَمَذَاهِبَهَا، وَالْمَدَارِكَ وَمَرَاكِزَهَا حَتَّى كَادَ يَسْمَعُ حَدِيثَ النَّفْسِ، وَدَبِيبَ الْمُنَى.

اخْتَرَقَ بِذَكَائِهِ كُلَّ حِجَابٍ، وَفَتَحَ كُلَّ بَابٍ، وَلَكِنَّهُ سَقَطَ أَمَامَ بَابِ الْغَدِ عَاجِزًا مَقْهُورًا لَا يَجْرُأُ عَلَى فَتْحِهِ بَلْ لَا يَجْسُرُ عَلَى قَرْعِهِ لِأَنَّهُ بَابُ اللهِ وَاللهُ لَا يُطْلِعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا.

مصطفى لطفي المنفلوطي

برنامج السنة الاولى من التعليم الثانوي

اللغة العربية

أ ـ القراءة المفسرة والمطالعات :

تفسر في السنة الاولى من التعليم الثانوي نصوص وصفية أو مشتملة على قصص شيقة ويجب أن تكون هذه النصوص متصلة **بعالم المحسوسات** يرمي قسم منها الى تنمية ملكة الملاحظة في التلامذة فيدعوهم الى الاطلاع على ما يحيط بهم، ويتجاوز قسم آخر ذلك الغرض فيفتح للتلامذة آفاقا أوسع بتنبيههم إلى بعض خصائص الكون. وجميع الاغراض التي ترمي إليها عامة نصوص السنة الاولى هو التمهيد الى معرفة منزلة الانسان في الكون وظروف نشاطه فيه، والى ادراك قيمة مجهوداته وكده المتواصل وتضحياته المتوالية، تمهيدا يناسب سن التلميذ ومستواه، فيعتمد على المشاهدة والملاحظة والحوادث البسيطة الواضحة الدلالة.

وينبغي أن تكون النصوص ذات قيمة أدبية، ومستمدة من مؤلفات كبار الأدباء من معاصرين وقدماء مع تغليب المعاصرين.

ويراعى في اختيارها قدر المستطاع صلة تفسير النصوص بدراسة اللغه، وبمحاور الاهتمام المعينة لتلك الدراسة في هذه السنة الاولى، كما يلاحظ أيضا وجوب المؤازرة بين مختلف موادِ التعليم وضرورة التنسيق بينها، فيراعى في اختيار بعض النصوص موافقتها لبرامج العلوم والتاريخ والجغرافيا في هذه السنة الاولى.

وأخيرا يجب أن تكون النصوص موافقة لمستوى التلامذة، ومعينة بتدرجها في

المستوى على ملاحظة نمو التلميذ الفكري، ولا نغفل عن أن هذه السنة تنتهي بتوجيه التلميذ الى التعليم الموافق لمواهبه وأن أستاذ العربية سيكون له دور هام في كشف تلك المواهب وفي التوجيه المبني عليها.

والنصوص التي تفسر يحسن أن لاتتطلب أكثر من حصة فلا تتجاوز في الغالب عشرين سطرا.

والى جانب هذه النصوص تنتخب فصول طويلةمن مؤلفاتنثرية.مثل **الإيـــام لطه حسين وكليلة ودمنة** و **قصص** محمود تيمور . يطالعها التلميذ في المنزل وتفسر مختارات منها في القسم لتدريب التلميذ على فهم نصوص مطولة تشتمل على وحدة أدبية.

ولا يغني هذا عن دعوة التلامذة الى مطالعة أكثر ما يمكن من الكتب المناسبة لمستواهم والمحفوظة في مكتبة فصلهم.

ب ـ اللغـــة :

يتعين هنا التذكير بأن دروس اللغة لا تكون منفصلة عن النصوص وتفسيرها ولا يخصص لها حصص، وبأنه لايجوز تلقين المفردات الا بمناسبةما يدرس من آثاركبار الكتاب، وبأنه لا يمكن الوثوق من معرفة التلميذ لها إلا ان أحسن سبكها في جمل ذات معنى.

وعلى سبيل الارشاد لاعلى سبيل التحديد والتضييق يشارهنا الى جملة من **محاور الاهتمام** يدخل ضمنها القسم الأوفر من المادة اللغوية التي يحتاج إليها التلميذ في **السنة الاولى من التعليـم الثـانـوى :**

1 ـ الانسان وما اليه :

جسم الانسان وصفاته البدنية.

حياة الانسان و أطوارها (الطفولة والشباب والشيخوخة).

الاسرة والمنزل .

الحياة المنزلية وأثـاث المنزل.

طعام الانسان وملابسه.

المدرسة والرفقاء – المدرسة مجتمع صغير...

الوطن من حيث هو منبت الانسان ومقر أهله...

2 – الانسان بين الحيوانات والنبات :

صلة الانسان بالحيوان.
الحيوانات الاهلية والوحشية
تسخير الانسان للحيوان.
تعاون الانسان والحيوان.
الرفق بالحيوان...
الانسان وعالم النبات : الحقول والبساتين – الحبوب والفواكه – البقول والازهار – الاشجار والغابات – حياة النبات...

3 – الانسان في الكون :

العالم الصغير والعالم الكبير : منزلة الانسان في الكون.
الارض وجبالها وصحاريها.
السماء وكواكبها – النهار والليل – التوقيت...
المياه الجارية والراكدة – البحار...
الاسفار برا وبحرا وجوا.
اكتشاف الانسان للارض وتطلعه الى معرفة الكون...

ملاحظة :

لاينبغي أن ينقلب الاهتمام بالحيوان والنبات والكون الى دراسة منقوصة ومشوهة لعلمي الطبيعة والجغرافيا، ولا الى تلقين التلامذة العدد الكبير من الالفاظ الاصطلاحية بطريقة جافة مملة، بل يعتنى بمحاور الاهتمام من خلال نصوص تبين صلة الانسان بالعالم **فالانسان هو المحور الاصلي** لكامل دروس اللغة العربية، • الى الاهتمام بشؤونه يجب أن ترمي تلك الدروس.

الفهرس

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
	المحور الاول : الانسان وما إليه		
1	ميلاد طفل	محمد طه الحاجري	4
2	حمل النبيء	طه حسين	6
3	بشرى لأمك	جلال الدين النقاش	8
4	يا أمي	أمين مشرق	9
5	أنا وابنتي	محمد الفائز القيرواني	11
6	أغنية الطفلة	ماري عجمي	12
7	عبث الطفولة	أبو القاسم الشابي	13
8	العاب الصبيان	ابراهيم عبد القادر المازني	15
9	شد الحبل	محمد فريد أبو حديد	16
10	التنكر	ابراهيم عبد القادر المازني	17
11	كرة القدم	الرصافي	18
12	هدية العيد	ابراهيم أحمد أدهم	19
13	الطفل الشريد	أحمد اللغماني	21
14	وحيد في أسرته	ابراهيم عبد القادر المازني	23
15	في دار الغربة	أحمد اللغماني	25
16	وداع في انتظار امين (للمطالعة)	عبد المجيد بن جلون	26
		توفيق يوسف عواد	28
17	حنين الى الوطن	الصادق مازيغ	30
18	يوم الجلاء	علي الطنطاوي	31
19	فجر أوراس	عبد السلام الجزائري	33
20	قريتي وبيتي	توفيق يوسف عواد	35

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
21	هند في غرفة نومها	جرجي زيدان	37
22	في كوخ صائد السمك	مصطفى لطفي المنفلوطي	39
23	حجرة الدسوقي	احمد امين	41
24	قصر عبد الرحمان	احمد امين	42
25	ايوان كسرى	جرجي زيدان	44
26	اللباس في عهد العباسيين	حسن ابراهيم حسن	46
27	اعرابي في الحمام	علي الطنطاوي	48
28	في الشارع	طه حسين	51
29	مهرجان	طه حسين	52
30	مجلس انس	خليل مطران	54
31	ضيف المساء	الجاحظ	55
32	حول الطعام	طه حسين	56
33	الضرير على المائدة	طه حسين	58
34	أي الثلمتين تقدم سدها	بديع الزمان الهمذاني	60
35	خادمتي	المازني	61
36	حياة فلاح	احمد تيمور	62
37	معاز الضيعة	مارون عبود	64
38	أبو بطة	ميخائيل نعيمة	65
39	أبو نعوم	مارون عبود	66
40	أديب	طه حسين	68
41	مصعب بن عمير	طه حسين	70
42	ثبات المؤمن	طه حسين	72
43	الداء	سليمان البستاني	74
44	المسلول	شبلي ملاط	75
45	الواهم	عبد العزيز البشري	76

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
46	شبح الموت	طه حسين	78
47	موت عبد المطلب	طه حسين	80
48	موت الشيخ مبارك	محمود تيمور	81
49	الشهيد	شاعر جزائري	83

المحور الثاني : الانسان بين الحيوانات والنبات

1	من أغاني الرعاة	أبو القاسم الشابي	86
2	عودة القطيع	مارون عبود	88
3	بين خروفين	مصطفى صادق الرافعي	90
4	حماري	توفيق الحكيم	92
5	جهاز البغلة	أمين الريحاني	93
	الفروسية (للمطالعة)	ابراهيم عبد القادر المازني	95
6	وفاء كلب	الجاحظ	98
7	مشهد صيد	شفيق معلوف	99
8	القطط	المازني	100
9	مصرع هرة	عبد الحميد العيادي	102
10	الاوز في بحيرة ليمان	محمود تيمور	105
	صديق العصافير (للمطالعة)	ميخائيل نعيمة	107
11	رثاء كناري	خليل تقي الدين	109
12	تعاون الغربان	أحمد حسن الزيات	111
13	دجاجة تصف زوجها	اسحاق موسى الحسيني	113
	دجاجة أم يعقوب (للمطالعة)	ميخائيل نعيمة	115
14	المدينة العجيبة	المطالعة المختارة	119
15	وصف الأسد	عبد الجبار بن حمديس الصقلي	121
16	الفيل	يعقوب صروف	122

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
	الثعبان بوطو (للمطالعة)	حسن فرج زين العابدين	125
17	الاركا والأخطبوطة	يعقوب صروف	128
18	سمكتان	فؤاد افرام البستاني	130
19	صيد السمك	أحمد الصافي النجفي	131
20	السمكة والشص	مصطفى خريف	132
21	الفراشة النابتة	رشيد سليم الخوري	134
22	الفراشة المحتضرة	ايليا أبو ماضي	135
23	حديقة	أحمد حسن الزيات	137
24	جنة ساحرة	مصطفى لطفي المنفلوطي	139
25	حقل الفول	والدن	142
	البيادر (للمطالعة)	ميخائيل نعيمة	144
26	الزهرة السجينة	ايليا أبو ماضي	146
27	ابنة من الخشب	توفيق الحكيم	147
28	اللوزة المزهرة	فؤاد الخشن	149
29	النحيل	أحمد شوقي	150

المحور الثالث : الانسان في الكون

1	مدينة الموصل	ابن بطوطة	152
2	ضاحية أبي سعيد	أبو الحسن بن شعبان	153
3	الحمامات	الهادي العبيدي	155
4	في بلاد الجريد	رحلة التيجاني	157
5	مدينة كراتشي	أمينة السعيد	159
6	في سماء الجزيرة	الدكتورة بنت الشاطىء	161
7	الجبل الابيض	محمد عبد الغني حسن	163
8	في جوف الظلام	طه حسين	165

الرقم	الموضوع	الكاتب أو الكتاب	الصفحة
9	ليلة	علي الجارم	167
10	الليل بالجريد	مصطفى خريف	169
11	استقبال الربيع	صفي الدين الحلي	170
12	الصيف	مارون عبود	171
13	الاصطياف	يوسف غصوب	172
14	في الريف	محمود غنيم	174
15	في الغابة	فريد أبوحديد	176
16	طلوع الفجر في الحقول	محمد حسين هيكل	179
17	حريق	حافظ ابراهيم	180
18	عاصفة في بحر الهند	شفيق جبري	181
19	عاصفة ثلجية	هيلين كللر	183
20	زلزال الأصنام	محمد العيد	185
	شلالات نياغارا (للمطالعة)	محمود تيمور	187
21	النهر المتجمد	ميخائيل نعيمة	191
22	نظرة في النجوم	أحمد أمين	193
23	الانسان في الكون	مصطفى لطفي المنفلوطي	195
	برنامج اللغة العربية	عن برامج التعليم الثانوي	196

رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

جميع الحقوق محفوظة

© S.T.D. - SOCIETE TUNISIENNE DE DIFFUSION
5, AVENUE DE CARTHAGE - TUNIS - 1967